حسن المناقب السرية

المنتزعة من

السيرة الظاهرية

تأليف

شافع بن علي بن عباس

تحقيق ونشر

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

الرياض - الطبعة الثانية
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حسن المناقب السرية

المنتزعة من

السيرة الظاهرية

تأليف

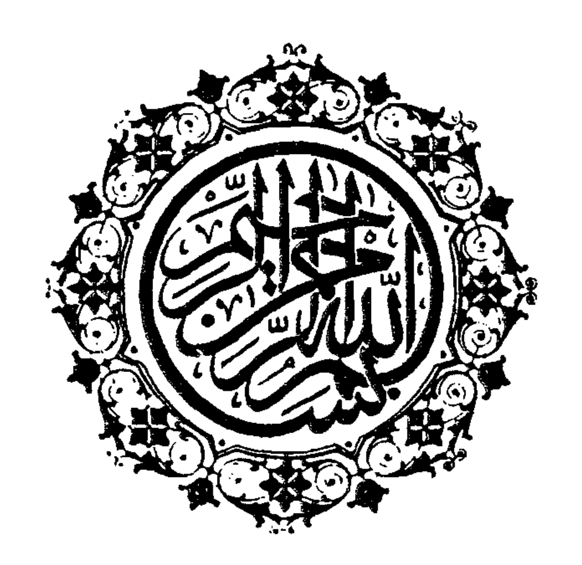
شافع بن علي بن عباس

تحقيق ونشر

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

الرياض - الطبعة الثانية

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م


بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــد

كتـاب «حسن المناقب السرّيّة» لشافع بن علي كتاب استفدت منه فائدة كبرى في رسالتي للدكتـــوراة، حينـــما كنت أحضر لها، وهــذا الكتاب قائم على كتاب ألفه جد المؤلف لامه، وهــو كتـاب «الـروض الزاهر في سيرة الملك الـظاهر» لمحي الدين بن عبدالظاهر. ولقيمة كتاب المناقب وأهميته عكفت، فيما بعد، على تحقيقه، وكتابة مقدمة له، وعلقت عليه، فجاء بالصورة التي يراها القارىء هنا.

ومؤلف كتاب «المناقب» رجا، بكتابه هذا، أن يخدم الحقيقة التاريخيّة التي عالجها جده في كتـابه «الروض»، واحتسب بذلك وجه الله، ولا شك أنـه بجـانب ما بذله من جهد، وما سلكه من نهجٍ، قد خدم تاريخ هذه الحقبة، ولم يأخذ أجراً على ما فعل.

وشافع رجل مجاهد، فقد رُوي أنه فقد بصره في وقعة حمص الكبرى، وسواء كان مشاركا في الحرب مشاركة مباشرة، أو كان بين الجنود المجهولين من الكتّاب فيها، فقد فَقَدَ أداة من أعز الأدوات للمؤلف وأهمها وهي بصرهُ، لذا جاء في ذهني أن هذا وأمثاله كثير ممن لم ينالوا أجرا على ما تركوه لنا من تراث، بنينا عليه ثقافات، وطورنا حضارات، بل بنى بعضنا عليه أمجادا شخصيّة، إلا ما قد يذكرهم به مستفيد، من دعوة، أو طلب غفران. لذا فشافع يستحق أن ينشر كتابه، وأن يعتني به، وأن يترحم عليه.

واسأل الله لي وللقارىء التوفيق وحسن القبول.

عبدالعزيز الخويطر

مقدمة

(١)

وهن الخلافة العباسية، خاصة في القرن الخامس الهجري، أضعف سيطرتها على أجزاء بلادها، ومن بين هذه الأجزاء الشام ومصر، وقد جلب هذا انتباه أوروبا المتطلعة، فكانت حركة المد الصليبي، على الشام أولًا، ثم على مصر ثانياً. وعاثت الجيوش الصليبية في الشام، ثم أرست مراسي ممالك لها فيه، وقسمته بينها، ولم تجد محاولات الخلافة العباسية نفعاً في صدّ تدفقهم، أو في إيقاف تغلغلهم، أو في منعهم من تأسيس ممالك لهم في الشام.

وكان أول عمل مجد قام به المسلمون في هذا المجال هو المجهود الذي أبداه كل من عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود في أواخر

القـــرن الخــامس الهجــري، وأوائــل القــرن السادس الهجري، فيما قاما به من أعمال حربية يمثـل أول مصدّ لايقـاف الغـزو الصليبي، وجهـــودهمـــا ثبّتت المسلمـــين عن التقهقـر، وأعـــطتهم فرصـــة يتـــأملون أثناءهـا مدى الصّـدمة، ويتبصرّون في لمّ شعث شجاعتهم وقـــوّتهـــم، لعـمـــل ما يجب عليهم تجاه هذه الحملات العنيفة المفاجئة. ومع تحركات هذين القائدين غُرست الأسس لخطة النّضال الطويل المجدي لصد الحملات الصليبية.

استـدارت القـوى الإسـلامية بعد فزعها لتتدبر هذه الجهود، فوجدت فيها ما أعاد لها ثقتهـــا، فلمّت شعثهـــا، ثم انضمت إليهـما تدريجياً، فغيرّت النتائجُ لحروبهما مفهومَ الناس جميعـاً عما كان حادثـاً، واستطاعت أن تجعل إيقاف زحف الصليبين حقيقة واقعة.

ثم تسلّم العلم صلاح الـــدين الأيـوبي، فتبلورت في زمنه خطة الكفاح أسلوباً وعتاداً

وشعوراً، وبدأ التنظيم الجديد واضحاً جليّاً، وعـرف الصليبيـون الجزر عن ممتلكاتهم بعد المـدّ، وعملت المعاناة الصليبية والتوقف عن التوسع عملهما في المجتمع الصليبي، وأصبح يأسهم من أخذ مزيد من الأراضي الإسلامية مبعثاً لاهتمامهم بالاحتفاظ بما في أيديهم، وهذا أوجد الفرقة بينهم، وأحقدهم على من أبدى من بينهم روحاً طموحاً للتحرك ضد المسلمين، لعلمهم بما يأتي به ذلــك من تحريـك ساكن المسلمين، ولم يخلص القدامى منهم العمل مع الحملات الصليبية الجديدة للسبب نفسه، مما أضعف الصلة بينهم وبين أوروبا.

إلا أن الصّليبيـين انتعشـوا مرة أخـرى، ولسنوات معدودة، عندما توفر لذلك عاملان أسـاسيـان أحدهما زحف التتار على الأراضي الإسلامية، والآخر ضعف حكّام الشام ومصر من آل أيوب، في أوائل القرن السابع الهجري خاصة، لتفرّقهم وتطاحنهم، فكان ذلك سبباً

في بدء تقلّص في الممالك الإسلامية لمصلحة التتار والصليبيين.

غير أن هذين السببين الرئيسيين نفسهما، مع ما كان كامنا في المجتمع الإسلامي حينئذ من روح، وما وصل إليه هذا المجتمع من تجربة حربية، وما كان قد بذر فيه من بذور نتيجة لهذه التجربة، كانا سبباً جديداً لتغيير الموقف، وإعادة الامر إلى مجراه في مقاومة الصليبيين، متّصفاً في هذه الفترة بتنظيم جديد في الرجال والعتاد والاسلوب.

كان الملك الكامل ناصر الدين بن العادل ابن أيوب قد تولّى الملك عام ٦١٥هـ ، وكان من الملوك الأيوبيين الذين لعبوا دوراً مهمّاً في تاريخ مصر والشام، وفي علاقة هذين القطرين بالصليبيين، وكان تطوّر الأسلوب الحربي في تلك الفترة قد تطلب إيجاد الحاكم لمجموعة من المماليك تتبعه، وتقوم على حراسته في السّلم، وتكون قلب جيشه في الحرب.

قد بلغ تطور هذه الفكرة في أذهان رجال تلك الفترة أن بدأ الصّالح نجم الدين بن الكامل بشراء عدد من المماليك إنتقاهم من أسواق الرقيق في البلدان الإسلامية، وعلّمهم أمور الحرب، ودرّبهم تدريباً متطوّراً. واختار لهم أسلوباً خاصاً في حياتهم وسكنهم، فأسكنهم في القلعة التي في الروضة على النيل، وسمّوا لذلك بالبحرية. وكان تنظيمهم مُتقناً، أفاد في صدّ هجوم جريء قام به الصليبيون عام ٦٤٧هـ على مصر، وأثبتوا جدارة في ذلك الظرف، رغم وفاة الصالح أثناء النضال.

وقد تسلم هؤلاء المماليك الحكم في مصر، مركز حكم سيدهم الصالح نجم الدين، بعد ظروف انتقال متلاحقة بين حكمهم وحكم بقايا الأيوبيين، ومن تولّى باسمهم، وأصبحوا الأداة التي قضت على الصليبيين في الشام. وكانت الخلافة العباسيّة قد زالت دولتها في بغداد على أيدي التّتار، فأصبحت مصر عاصمة البلاد الإسلامية، ومحطّ الأنظار.

ومن مصر بدأ الملك الظاهر بيبرس، أحد المماليك البحريين، نشاطه السياسي والحربي، وفيها بدأ التنظيم الداخلي لمملكته التي كان مركز الحكم لها مصر، وشملت جزء كبيراً من الشام، وأرسى بيبرس أُسساً قويّة لدولة احتلّت في تاريخ الإسلام وحضارته مكاناً بارزاً.

افترس بيبرس طريقه إلى الحكم افتراساً، أنجحه في الوصول إليه، وثبوته فيه، شجاعته الفائقة، وحسن التدبير عنده، وما يتمتع به من تأييد أفراد فرقته البحرية، وساعدته هذه الميزات على المحافظة على الملك وتطويره.

ودور بيبرس في النّضال الذي أوقف مد الزحف الصليبي، وقضى في النهاية على الصليبيين في الشام، يأتي شامخاً، فدوره مكمّل لنضالٍ بدأه عماد الدين زنكي وابنه نور الدين، ثم بعدهما صلاح الدين الأيوبي. بل إن بعض الأعمال الحربية، والنتائج التي توصل إليها بيبرس، تفرده بميزات في النضال الذي

كانت رحاه دائرة بين المسلمين والصليبيين، ونجاحه الفريد على الصليبيين يعود إلى أسباب عديدة، أهمها ما كان يتميز به من صفات تناسب الوضع القائم في تلك الفترة، إذ كان واقعياً في ادارة الحكم، وفي حروبه مع الصليبيين، جريئاً في تنفيذ ما يعتقد صلاحه للهدف الذي يسعى إليه، سريع التصرف تجاه الحوادث، حريصاً على التحرك بسرية تامة فيما تجب فيه السرية، بعيد النظر للمستقبل، وما قد يأتي به، بارعا في الدخول في الحروب والخروج منها، وفي الإقدام عليها أو الإحجام عنها، وتحويل هذا الإحجام، إذا حدث، إلى كسب مؤكّد.

وبيبرس اشتهر بانجازاته العسكرّية، ومكاسبه الحربّية، وقدرتهُ في هذا تأتي من استعداده الفطري، وتربيته العسكرية، وظروف بلاده مع جيرانها، والطامعين فيها.

كان بيبرس مملوكاً أشتراه الصّالح نجم

الـدين أيـوب، ولِما رأى فيه من لياقة بدنيّة، واستعـــداد ذهني، ألحقـــه بجنـــده الخـــاص «البحـريّة». وسرعان ما أثبت أنه عند حسن ظنّ سيـده، فترقّى في سلّم الفرقة «البحرية» حتى وصل إلى منزلة مساعد لرئيسها، فارس الدين أقطاي. وعند مقتل هذا في عام ٦٥٢هـ على يد المعـز أيبـك لم يعد لبيبرس منافس في زعامة الفرقة، رغم أنه شُرِّدَ هو وهي، وانتثر عقدها.

إلا أن قطز، عدوّ بيبرس اللّدود، وحاكم مصر حينئذ بعد المعز أيبك، إحتاج إلى بيبرس لمساعدته، على مقاتلة التتار، وإيقاف زحفهم من الشّـام إلى مصر، فقاتل بيبرس التّتار مع قطز، وأظهر جدارة انتهت بانتصار المسلمين في عين جالوت عام ٦٥٨هـ . وفي الطريق إلى مصر بعد هذه المعركة إغتال بيبرس، وجماعة معه، قطز، لاعتقاده أن قطز كان ينوي القضاء عليـه عنـدما يصلان إلى مصر. وانتهى الأمر بتولي بيبرس السلطة بعد قطز.

وأصبح بيبرس بعد تولّيه الملك مسؤولا عن أمـور ملحّـة عديـدة، أهمها توحيد المملكة، والقضـاء على منـازعيـه السلطة في الشام من أيـوبيـين ومماليك. وقد رتب أموره في هذا، فضم إلى جانبـه من أظهر منهم ولاء، رغبـةً منهم في أن يبقيهم في ممتلكاتهم أو خوفاً منه أو من التتار أو الصليبيين.

وكان خطر التّتار على أشدّه، إذ أنهم كانوا حانقين على حاكم مصر بعد انتصاره عليهم في موقعة عين جالوت، وهو أول انتصار ساحق في هذه المنطقة، منذ أن أخذ التّتار بغداد في عام ٦٥٦هـ، وزحفـوا على الشّـام. وكان أملهم كبيراً في مواصلة الزحف على مصر، فأوقفهم انتصـار المسلمين عليهم في عين جالوت عن تحقيق ذلك. وهم الآن يعدّون العدّة لإعادة تنظيم صفوفهم، ولمّ شعث جيوشهم، لينقضّوا على الأراضي الإسلامية.

وكانوا يؤملون أن يجدوا في الصليبيين، كما

وجدوا من قبل، عوناً لهم في حملاتهم القادمة.
والصليبيــون هم العــدو الأساسي الخـطير لبيـبرس، وهم هدفـه الأول، كما وضعـه في مخططه، ولهذا فالأتّفاق بين هذين العدوين أمر يقلق ذهن بيـبرس، ويحتـاج منه إلى مضاعفة الجهد للحيلولة دون وقوعه.

لهذا تركـزت جهـوده الحـربيـة على هذين العدوّين، فوضع خطة منتظمة تجاه كل واحد منهما، وتركزت جهوده لاتّقاء هجمات التّتار في تقـوية حصون الثغور وجيوشها، واستعداده لهم بجيـوش سريعـة الحركة، خفيفة العتاد، وإضعاف الموالين لهم ممن هم على حدوده من صليبيين وأرمن.

ومن الأستعدادت التي اتّخذها لهم أن بثّ جواسيســه داخــل مدنهم، وفي أطــراف ممالكهم، لموافاته بما يلفت النظر، مما قد يوحي باستعـدادات حربية، أو اتصالات سياسية، وأضعـف الثّقـة بين بعض أمراء المناطق وبين

رؤسائهم بحيل ينظّمها، وتزعزع الثقة فيهم، وتلقى عليهم ظلالا توهم أنهم معـــه، وأنهم يضمرون له الود، ويمحضونه النصح.

وعمـل على إضعـافهم خلف صفـوفهم، فتقـرب إلى خصومهم من قومهم، مثل بركة خان، رئيس القبيلة الـذهبيـة، وعقـد معهم اتفاقيات دفاع، توجب مساعدتهم له عليهم، في حالة ما إذا حاول التّتار الهجوم عليه، فكان لهذا أثر فعال في إحجامهم عن إرسال قوات كبيرة إلى بلاده، خوفـاً من أن يضرب أبنـاء عمهم مؤخرة جيوشهم في بلادهم.

وتـركّـزت جهـوده تجاه الصليبيين بتركيز هجمات منتظمة على بلادهم، وحملات كبرى على معـــاقلهم، واجتيـــازهــا الـواحـدة تلو الأخرى، وعزل بعضهم عن بعض، بإظهار المودة لبعضهم عند ضربه للآخرين، والعودة على أولئك فيما بعد لمحاسبتهم على ما فرط منهم في السابق.

وعمل على الإيقاع بين المقيمين منهم في الشام، وبين الوافدين الجدد، حتى أصبح هؤلاء عبئاً على أولئك، بعد أن كان مجيؤهم سنداً ومساعدة لهم. ولم يكتف بذلك بل تعمق في اتصالاته بأوروبا، فأوجد صلة بينه وبين حكامها، لتثبيط همّة روح إرسال الحملات إلى الشّام أو مصر، وكسب صداقة القُوى التجارية البحرية، لعرقلة نقل الجنود عند اللزوم، واستفاد من صداقةٍ أنشأها مع حاكم القسطنطينية، لإضعاف روح الحملات في أرووربا.

وكلّلت أعماله تجاه التّتار والصليبيين بالنجاح، فلم يستطع التّتار أن يكسبوا كثيراً من محاولاتهم، وقضى على الصّليبيين في الشام، حتى لم يبق من معاقلهم المهمة إلا القليل، مما أنهاه خلَفه أو خلَف خلَفه.

واشتهر بيبرس أيضاً، بجانب إنجازاته الحربية، بتنظيم أموره الخارجية مع الدول التي

يهمه أمرها، وكان الهدف الذي يرجوه من هذا التنظيم إما ازدهار التجارة في بلاده، وقد تمّ له ذلك، أو الاستعانة بهذه الدول ضد أعدائه مساندة له، أو تهديداً لاعدائه، أو صرفاً لجهودهم عن بلاده، وقد نجح في هذا أيضاً.

واشتهر كذلك بنجاحه في الاخذ بيد الإدارة في بلاده، إلى مستوى تمكنت معه من أن تخدم الأغراض الكبرى التي واجهها حكمه، وأهمها الجانب الحربي، والعلاقات الخارجية، والإصلاح الاجتماعي الذي التفت إليه. ويبدو أن بيبرس، بجانب تجربته الشخصية، قد اطّلع على بعض الأفكار المفيدة في هذا، وقد استفاد مما كان يعرفه عن التنظيمات المتّبعة في الاقطار التي تقع شرقي العراق، خاصة بعض ما كان يتبعه التّتار والأتراك في تلك المناطق.

والإتقان الذي أصبح عليه ديوان الإنشاء، وتنظيم القضاء، وترتيب أمور قادة الجيش، وصلتهم وجندهم بالمرافق الادارية المختلفة في

الدولة، تدلّ على إحاطة تامّة بجذور المشاكل، وعلى بصيرة بطرق إصلاحها.

وبعد:

فبيبرس، الذي وضع المخطط للقضاء على ممالك الصليبيين، ونفّذ الجزء الأكبر منه ببراعة وإتقان، ولم يعقه عن إكماله إلا موته، والذي خطّ في صحيفة النظم الإدارية الإسلامية أحرفاً زاهية، ساعدت على تطوير هذه الإدارة، لم يكتب عنه ما يوفّيه حقه، لا من المسلمين ولا من غيرهم، ولم يصل حظّه في هذا إلى ما وصل إليه حظ صلاح الدين الأيوبي، الذي اعتنى بسيرته مؤرخو الغرب، عشقاً لجانب التسامح الذي كان يتصف به مع أعدائه، حتى من كان منهم يتصف بالقسوة والغدر.

وساعد على عدم اهتمام الكتاب المحدثين المسلمين وغيرهم أن مصادر سيرة بيبرس لم

تكن معروفة، وما كان معروفا عنه، ومتداولاً، هو ما وجد منها ضمناً في كتب تاريخ الفترة التي تلي زمانه، مثل كتاب السلوك للمقريزي وغيره، وهي معلومات مختصرة، ووجودها عنه، مع وجود غيرها عن غيره، لا تبرزه من بينهم.

ومما ساعد على الانصراف عن سيرته الحقيقية، سيرته الخرافية، التي حشيت بما يجتذب الشخص البسيط ويطربه، فأصبحت سيرته الحقيقية تتضاءل فيها الحوادث عند مقارنتها بما في السّيرة الخرافية من بطولات بدائية جذابة، متناهية في الغرابة.

وأول ما اكتشف حديثا من سيرته كتاب: «*الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر*» للقاضي محي الدين بن عبدالظاهر، كاتب بيبرس، وقد قامت بنشر جزء منه، موجود حالياً في مكتبة المتحف البريطاني في لندن، السيدة الدكتورة فاطمة صادق، وهو جزء من

رسالتها للدكتوراه، وقد حصلت عليها من جامعة لندن، وقد طبع عام ١٩٥٦م بمطبعة جامعة اكسفورد بباكستان.

وكان هذا جزءًا من السيرة، ولم يكن السيرة كلها، ثم عثر على نسخة أخرى أتم منها في مكتبة جامع السلطان سليم بتركيا، وكان لي حظ دراسة هذه المخطوطة ضمن بحثي للدكتوراه، وسوف أنشرها قريباً إن شاء الله[١].

وهناك عز الدين بن شداد، المعاصر لبيبرس أيضاً، وقد كتب سيرته في كتاب لعلّ اسمه «تاريخ الملك الظاهر»، ولا يوجد الآن منه معروفاً إلا الجزء الثاني، وفيه معلومات قيمة عن بيبرس، وطريقته فيه جذابه، ومفيدة[٢].

وأثناء دراستي لسيرة الملك الظاهر بيبرس: *«الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر»*، لمحي

---

(١) نشرت عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٢) لا يزال مخطوطاً في المكتبة الوطنية في باريس، ولعلها النسخة الوحيدة المعروفة عن هذا الكتاب.

الدين بن عبدالظاهر، استعنت بمختصر لهذه السيرة، عنوانه «*حُسن المناقب السرّية المنتزعة من السّيرة الظاهرّية*» كتبه شافع بن علي بن عباس، أحد أقرباء محي الدين بن عبدالظاهر. وكان هذا المختصر على جانب كبير من الفائدة لدارس حياة بيبرس. ولما يحتويه من ميزات أهمها: أنه مختصر. وأنه يصحح محي الدين في بعض الأحيان، ويلفت النظر إلى ما أهمله، ويُفصّل بعض ما اختصره مما يحتاج إلى تفصيل، ويبينّ ما ألمز إليه مما يحتاج إلى إيضاح، فقد وجدت أنه من تمام الفائدة لمن يريد أن يلمّ بحياة بيبرس، ويكوّن عنها صورة أوضح أن يطلع عليه، ولهذا قررت أن أنشره لتعم به الفائدة، ولأساهم في خدمة هذا الحقل.

(٢)

شافع بن علي

هو ناصر الدين شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكناني، المصري، ولد في شهر ذي الحجة عام ٦٤٩ للهجرة (فبراير أو مارس ١٢٥٢م). ومات في الرابع عشر من عام ٧٣٠ للهجرة (الثامن من يونيه ١٣٣٠م)[١].

قرابته من محي الدين

ويذكر هو عن نفسه أنه قريب محي الدين ابن عبدالظاهر، مؤلف سيرة بيبرس، الروض الزاهر[٢]، إلا أنه لم يحدّد هذه القرابة، وقد حدّدها ابن رافع، فذكر أنه كان ابن اخته[٣].

---

(١) *الدرر* لابن حجر ٢/ ١٨٤ والسلوك ٢/ ٣٢٧. أما الكتبي فذكر أنه مات في عام ٧٣٣هـ (١٣٣٢ - ١٣٣٣م)، *فوات الوفيات* ١/ ٢٣٤.

(٢) راجع ما كتبه عن فتح الدين بن عبدالظاهر في «حسن المناقب السرية» ١١٢/أ و ١٢٠/أ.

(٣) *الدرر*، ابن حجر ٢/ ١٨٥ - ١٨٦.

عمله

ويظهر أن شافعا بدأ عمله مساعداً لمحي الدين وابنه فتح الدين، عندما كانا في ديوان الانشاء[٤]، وبقي هو كاتباً فيه، على الأقل إلى ما قبل عام ٦٨٠هـ (١٣٨١ - ١٣٨٢م)[٥]، بل إن هناك ما يدل على أنه كان أحد كتاب الإنشاء في رمضان عام ٦٨١ (ديسمبر ١٢٨٢م) فقد كتب خطابا إلى خان التتار على لسان قلاوون[٦].

ويقال إنه في وقعة حمص الكبرى أُصيب بسهم في صدغه، عمي على أثره، وقد اعتكف في بيته بعد ذلك، ووقف وقته على تأليف الكتب، وقد عُرف عنه أنه كان يقتني من الكتب الشوارد، ولديه مكتبة حافلة بالكتب[١].

---

(٤) المناقب ٣٤/ب، ١١٢/ب، ١١٩/ب، ١٢٠/أ.

(٥) المناقب ٣٤/ب.

(٦) صبح الاعشى للقلقشندي ٧/ ٢٣٧.

(١) فوات الوفيات ١/ ٢٣٤.

كتابه عن حياة بيبرس

كتابة شافع عن عهد بيبرس ما هي إلا مختصر لكتاب محي الدين بن عبدالظاهر عن هذا السلطان: «*الرّوض الزّاهر في سيرة الملك الظّاهر*». وقد سمَّى شافع مختصره هذا «*حسن المناقب السرّية، المنتزعة من السيرة الظاهرية*»[1] ولا يُعرف التاريخ الذي بدأ فيه شافع اختصار السيرة، إلا أنه لم يظهره إلا بعد وفاة محي الدين، وقد أكمله سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م) كما ذكر في آخره.

أسباب تأليفه للمختصر

يذكر شافع أن أساس فكرة اختصار تاريخ بيبرس كان بناء على رغبة أبداها محي الدين، ولكن شافع توقف عن تنفيذ ذلك، أثناء حياة محي الدين احتراماً له، لأنه لا يود أن يجهر بوجهة نظره في بعض الأمور التي يختلف فيها رأيه مع رأي محي الدين، فيعتبر هذا انتقاداً منه

(١) توجد المخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس تحت الرقم ١٧٠٧ عربي.

له، ولا يستطيع إثبات بعض الأمور التي أهملها محي الدين عمداً، أو تفصيل أخرى مرّ عليها مرّ الكرام، أو توضيح معلومات عمد فيها إلى الغموض قصداً، فكل ذلك لن يرضي محي الدين. ولهذا فشافع لم يستطع أن يقوم بكتابة مختصر السيرة بطريقة وافية بالغرض، في نظره إلا بعد وفاة محي الدين، ووفاة بيبرس أيضاً[1].

ويفصل شافع بعض هذه الأسباب، فيبدي أن التاريخ الذي كتبه محي الدين طويل جداً، ويحتوي على تفصيلات ليست بذات أهمية، قد يكون اضطر محي الدين إلى إثباتها فيه:

«لكن اقتضى الحال أن يثبت [محي الدين] منها الغثّ والسّمين، وأن يكرّر ما يشافه به سمع السلطان من اطراء[2]».

ومجرد فكرة الاختصار في نظره أمر مطلوب، لما فيه من فضائل عدّدها فيما يلي:

---

(١) المناقب ٤/ب.

(٢) المناقب ٤/ب.

«اختصرتها رغبة في الإيجاز، الذي هو عين البلاغة، وعذوبة مياه الفصاحة المساغة»[1].

وطبيعة الاختصار اقتضت منه أن يكون من منهجه فيه ما بينه في قوله :

«وذكرت منها الأهم المقدّم، لتلذّ مطالعتها، وتروق مراجعتها»[2].

ويبدو أن لشافع آراء خاصة عن حكم بيبرس، وجد أن الأمر لا يستوجب تأليف كتاب منفرد عنها، إما لأنّها محدودة في كمّها، أو لأنها تتعلق بما أثبته محي الدين في السيرة، إلا أنّ أهمّيتها أوجبت تدوينها بطريقة مناسبة، ولَم يكن في نظره أنسب من القيام باختصار التاريخ وإلحاقها به، خاصة وأن وصل هذه المعلومات بكتاب رائج ومشهور، مثل هذا الكتاب، يساعد على انتشار رأيه معه.

وزيادة على ما يضيفه هذا المختصر من معلومات ليست متوفرة في التاريخ فإنه يكمّل

---

(١) حسن المناقب ٤/ب. (٢) المناقب ٤/ب.

بعض المعلومات الناقصة في التاريخ[1]، فهو مثلا يُعطي تفصيلات وافية عن الترحيب الذي أبداه بيبرس تجاه الخليفة العباسي، ويصف حياة الخليفة في أيام بيبرس وبعدها[2]. أو يبيّن أسباب بعض الحوادث التي لم يعط محي الدين عنها ما يقنع، مثل حادثة إمساك بيبرس لشمس الدين سنقر الرومي لضربه أحد مماليكه، رغم شفاعة الظاهر بيبرس فيه، فشافع يبيّن أن سبب ضرب سنقر لمملوكه أنه كان عينا لبيبرس على سيّده، وهذا يفسّر حنق بيبرس عليه[3]، ومثل تفسيره لسبب تعدد القضاة، ومن كان خلف ذلك[4].

وتبدو أصالة مختصر شافع في محاولته تصحيح محي الدين عندما يتعجل أحياناً، فيسجل الواقعة في حينها كما تبدو له، في حين

(١) راجع المعلومات التي ذكرها له محي الدين لما دخل بيبرس طرابلس مختفيا، فهي ليست في التاريخ. (المناقب ١٠٧ ـ ١٠٩) وكذلك قصة خطيب مسجد الاسكندرية (١٢٩) وقصة ناظر دمياط (٥٠/ب).

(٢) المناقب ٣١ ـ ٣٢.

(٣) المناقب ٧٨/ ب.

(٤) المناقب ٧٩/ أ.

أن أمـراً ما يغـيرها بعد التسجيل، فتبقى كما سجلت، فمثلا هناك الوعد الذي قطعه حاكم الرّوم لبيبرس بأن يهبه نصف أملاكه، ليقطعه من يشـاء، وشـافع يعلق على هذا بأن حاكم الروم لم يبرّ بوعده، وأن بيبرس أنفق من أجل ذلك أموالاً ضائعة[1].

ولم يتردّد شافـع في أن يبرز الحقـائق التي اعتقـد أن محي الـدين زورهـا عمدا، ولكنه تلمّس له الاعذار، فذكر أنه لم يكن من السّهل على محي الدين أن يكتب سيرة بيبرس بحرّية تامة، لأن الظروف القائمة حينئذ أجبرته على هذا المسلك المتّصف بعدم الأمانة، وأحد الأمثلة في هذا، ولعلّه أهمها وأوضحها، وصف محي الـدين لمقتـل قطز، ومـا تبـع ذلـك من حوادث أدّت إلى تولّي بيبرس السلطة، فمحي الدين يؤكد أن بيبرس قام بالقتل وحده منفرداً، أما شافع فيرى غير هذا، ويرى أن مع بيبرس شركاء، فيعدد أسماءهم ومراكزهم[2].

(١) المناقب ٢٦/أ. (٢) المناقب ٩، ١٣٦.

ولم يكن من السهل عليه دائماً أن يصحّح ما كتبه محي الدين، أو يفسّر بعض الحوادث غير الواضحة، إلا أن مجرد شكّه فيها له قيمته، فهو ينبّه القارىء لبعض مداخل الضّعف، ليكون منها على حذر، سواء في ذلك ما أورده محي الدين، أو ما أبداه معارضوه. ومن أقرب هذه الأمثله ما ورد عن حملة الخليفة العباسي على العراق، فقد كانت القوّة التي أرسلها بيبرس معه صغيرة، هزمها التّتار بسهولة، عندما هاجمتهم في العراق. والمؤرخون الذين تلوا زمن بيبرس يتهمونه بأنه كان في الأصل قد عزم على إرسال قوّة كبيرة، ولكنّه عاد وفكرّ في الامر، فخاف أن ينجح الخليفة في مهمّته، فينتج عن ذلك متاعب لبيبرس، لهذا عدل عما عزم عليه من إرسال القوّة الكبيرة فأرسل أخرى صغيرة. والمعلومات التي أوردها محي الدين قصيرة ومبهمة، ولا تعطي فكرة شافية عن هذا الامر، وشافع نفسه لم يستطع أن يؤكّد نيّة بيبرس المذكورة أو ينفيها، ولم يستطع

كذلـك أن يعلّل تصرّف بيـبرس، وهو رجل الحرب العارف بقوّة التّتار، ولا أن يدفع عنه تهمة المؤرخين التالين لعصره.

وفي الكلمات التالية يصف شافع حيرته كلما حاول أن يفسّر تصرف بيبرس هذا:

«والذي أقول إن هذه الحركة لم يترتّب عليها مصلحة وعجبت من انعقاد الرأي على مثلها، وذلك أن الخليفة المذكور أعمل السير، ومعه شرذمـة قليلة بالنسبـة للتّتـار، وقصد بغداد، فقتل هو وأكثر من معه، ولم يحصل للمَواصلة عرض من ملك ولا غيره، وعادوا، وقد ذهبت الأمـوال ضيـاعـا، وطـارت نفـوس أكثـرهم شعاعاً، والصاحب محي الدين غمغم ها هنا، ولم يذكر شيئاً»[1].

وعن المـوضـوع نفسـه في مكـان آخر من المختصر يبدي شافع حيرته في التّصرف فيقول:

---

(١) المناقب ١١.

«ما رأيت أعجب من هذا الرّأي، وأعجب منه موافقة ذوي الرأي، والمشور عليه. وقوم قد استولوا على البلاد بكثرة عددهم، واستعداد عددهم، وقوة جأشهم، وكثرة جيشهم، كيف يسيرّ إليهم هذه الشرذمة القليلة، المتحقق أنها لا تفي بألف منهم!؟ وإنما هي أموال ضيّعت، وأرواح للحياة ودّعت، ولو توجّه العسكر المصري بكماله، والشامي بعربه ورجاله، لكان فيه أعظم تغرير، وإنما هي المقادير والسلام»[1].

قيمة المختصر

كما رأينا، المعلومات التي أضافها شافع محدودة، إلا أنها إذا أضيف إليها التفسيرات التي أوردها، والتصحيحات التي أدخلها، والاشارات التي بثّها هنا وهناك، دالّة على قوّة أو على ضعف، وما يخرج به المقارن بين ما أثبته محي الدين، وأهمله شافع، أو أهمله محي

(١) المناقب ٢٣.

الدين، وأثبته شافع، وما غمض على شافع، أو احتار فيه، تجعل قيمة هذا المختصر كبيرة، فهذه تأتي بمثابة أنوار سلّطت على ما كتبه محي الدين فأبانت ما كمن من حقائق، وبدون هذا الضوء تصبح غير مؤكدة، نفياً أو اثباتاً.

يضاف إلى هذا، ممّا يزيد في قيمة هذا المختصر، أنّ الرّوح التي يكتب بها شافع تختلف عن تلك التي كان يكتب بها محي الدين، فهذا كان يدين بكامل الولاء لبيبرس، وكتب ما كتب في حياة ولي نعمته، وبعد موافقته على ما يكتب في بعض الأحيان، أما شافع فالأمر معه يختلف، إذ لم يكن واقعا تحت تأثير بيبرس المباشر، ولم يكتب مختصره إلا بعد وفاة الظاهر بيبرس، بل إنه امتنع عن كتابته في حياة محي الدين، بعداً عن التأثير والمجاملة.

وممّا يزيد في قيمة كتابه أنّ شافع، خلافاً لما بدر من بعض المؤرّخين القريبين من زمنه، لم يظهر كرهاً لبيبرس، أو ميلا ملحوظاً نحوه،

وإنّما اتخذ طريقاً لعله كان وسطاً، كان فيه أقربَ إلى توقّع الانصاف.

لهذا يمكن لكل من اعتبر كتاب محي الدين من المصادر الأولى في تاريخ بيبرس أن يعتبر مختصر شافع مكمّلاً مُهمّاً لا غنى عنه، وبدونه فكتاب محي الدين لا يخلو من خلل. وهذه القيمة للمختصر تجعله يقف أصيلا في هذا الحقل، ويتوجب نشره بعد تحقيقه.

(٣)

كتب شافع مختصره بأسلوب عادي، يماثل اللغة التي كتب بها محيٍ الدين. وفيما سار فيها على سجيته جاء سهلاً بيّناً، لا لبس فيه ولا تكلف، إلا أنه أحياناً، ولأسباب قد تستنبط، عمد إلى السّجع والتكلفّ بتصيّد المحسّنات البديعية. ويبدو أنه مثل محي الدين، يعمد إلى ذلك، في المواقع التي يشعر أنها مهمّة، وأنّ عليه أن يميّزها بأسلوب غير عادي، أشرف في

نظره، من أسلوب الكتابة المرسل على سجيّته.

فالمقدّمة في نظره، وليس شافع بدعاً في هذا، لها أهميّتها، لأنها فاتحة الكتاب، ولأنها تبيّن الغرض من تأليفه، والمبرّر لصرف الوقت في ذلك. والمقدّمة هي أول ما يقابل القارىء من الكتاب، ويعطيه أول انطباع عنه، فلا بدّ إذن من الحرص على جعلها بصورة يأخذ منها القارىء رأياً حسناً عن المؤلف وأسلوبه ونهجه، وإذا لم يكن الأسلوب بالذات معتنىً به، ويبدو فيه الجهد، فإن القارىء قد يحكم على كاتبه وأسلوبه الحكم الذي لا يرضاه الكاتب. لهذا جاءت عباراته في المقدّمة مسجوعة، وبدا التكلف ظاهراً فيها. ومن سجعه فيها قوله:

«وقضى المراد من كل مراد، وبلغ المراد الجميل كل من راد»[1].

---

(١) المناقب ٣/ب.

وقولـه :

«وبـدأت في افتتـاح الحصـون المغلقـة، والكنائس المعلقة وغير المعلقة»[1].

وقولـه :

«ولا وجـد أحـد منهم من عسر حصـاره يسار، ولا ليمين انهزامه من يسار»[2].

وقولـه :

«فـدوّخ البلاد، وسلب الطارف والتلاد»[3].

وقولـه :

«وهـاجم وتجهّم، وحكم وتحكّم، وعلم وتعلّم، وهزم الجيوش، وأوحش حتى الوحوش»[4].

وانفعـالـه تجاه بعض المزايا التي انفرد بها بيبرس تجعله يصور الحادثة مصبوغة بشعوره، ويـدل على هذا الشعـور باختيـاره أسلوب

---

(١) المناقب ٣/ب.
(٢) المناقب ٤/أ.
(٣) المناقب ٤/أ.
(٤) المناقب ٤/أ.

السّجع، وهو في نظره أقوى للتأثير، وأسمى في المنزلة من الأسلوب المرسل. وقد أعجب شافع، مثلما أعجب غيره، ببعض تحركات بيبرس السريّة، وخفّة تنقّلاته، مما ساعده على ضبط أمور المملكة، والسيطرة على البعيد من أجزاء بلاده. يقول عن هذا:

«كان هذا السلطان خفيف الركاب، قادراً على سرعة المجيء والذهاب، راغباً في أن يدهم الناس من أحواله بالعجب العجاب، وأن يوري رعيته، وأمراء دولته، أنه متى دعي بلسان ضرورة أجاب»[1].

وشعوره يهتز أيضاً لموقف آخر قام به بيبرس، وذلك عندما تجرأ خطيب جامع الإسكندرية، فأدخل في خطبته ما ظن رئيسه أنه تعدى فيه الحدود، فعزله بآخر، شملت خطبته ما اعتبره بيبرس نفاقاً، فأمر باعادة الأول. يقول شافع عن الخطيب الأول:

---

(١) المناقب ١٢٢/ب.

«أرعد وأبرق، وأورد من التحذير ما هو به أليق، وحذر من الظلم أيما تحذير، وأورد من الأحاديث فيها للظالم من جهنّم وبئس المصير، وقال وقال، وما استقال . . . وأنكر (رئيسه) عليه ما اعتمده من جسارة، وعجّل له بالعزل ما ظَن أنه خسارة»[1].

ورغم ثقافته التي يمكن أن يعرف مداها من علوّ مركزه الذي احتله في ديوان الإنشاء، مما جعله يحضر مجلس السّلطان، في الأمور المهمة، مثل مفاوضات الصّلح[2]. إلا أن المختصر لم يخل من بعض الهفوات اللغوية والنحوية، وإن كان بعضها لا يستبعد أن يكون من عمل النّسّاخ فيها بعد، وهذه الأخطاء تأتي في النحو واللغة والأسلوب، وهي قليلة، وتكاد تكون محصورة في جمل معدودة، ولا تتدخل كثيراً في المعنى، وهذا يجعلها لا تؤثر على قيمة الكتاب.

---

(١) المناقب ١٢٩/ب. (٢) المناقب ١٢٠/أ.

ومن أمثلة هذه الأخطاء قوله:

«ولم يزل أو فتحها» بمعنى: «حتى فتحها»[1].

وهناك بعض الاخطاء التي تتعلق بالعدد، فالسنوات مثلا لا يأتي بها متفقة مع عددها مثل:

«سنة اثنين وستين وستمئة» بدلا من «اثنتين»[2].

ويخطىء في بعض الأحيان في إعادة الضّمير إلى الاسم، فيأتي الضمير مختلفا معه مثل:

«واتفقت قضيتان لم يذكرها، أحدهما (أي القضيتين) بدلا من «لم يذكرهما، أحداهما»[3].

وقوله:

«كالناصر صلاح الدين، والعادل أخيه، وغيرهم» بدلا من «غيرهما»[4].

---

(١) المناقب ٣٥/ب، ١١٨/ب.

(٢) المناقب ٦٢/ب.

(٣) المناقب١٢٩/ أ.

(٤) المناقب ١٠٧/ ب.

ومن الأمور التي ترد أيضاً أمثال :

«وافتح لهم باب الاسطبل على العادة فيهم» بدلا من «فتح لهم»[1] .

وقـولـه :

«فيها أن الشيخ شمس الدين الحنبلي باغض في الدولة» بدلا من «مبغض للدولة»[2] .

وقـولـه :

«جـــرى على عادتـــه ، أخفى مقـاصـده ، والتمويه بغيرها»[3] والمتوقع أن يقول : «جرى على عادته ، فأخفى مقاصده ، وموّه بغيرها» .

وقـولـه :

«أقـول : لم يتهيأ للملك الظاهر فتح هذه عكا»[4] بدلا من «فتح عكا هذه» وهو أسلوب شائع في زمانه بين المؤرخين .

---

(١) المناقب ١٢٣/أ .

(٢) المناقب ٤٤/ب .

(٣) المناقب ١٢٧/أ .

(٤) المناقب ٣٤/ب .

وقـولـه :

«ثم والملك الظاهر لم يحتازها»[1] بدلا من : «لم يحتزها» أو أصح من هذا «يحزها» .

وقـولـه :

«ويزعمون أن بيدهم كتاب»[2] بدلا من : «كتابا» .

وقـولـه :

«أسرت المـرتدة الموجودة بها»[3] بدلا من : «أسرت المــرتــدة المـوجـودة بها» أو «أسرت المرتدين الموجودين بها» .

وفي هذه الفـترة انتشرت الثقـافة الأدبية ، وأقبـل المتعلمـون على محاولـة إجـادة الشعـر والنثـر ، وأصبحت حصيلة منهـما تتصف بصفة الكـاتب أو الشـاعـر ، ضعفاً أو قوة . وشافع الذي حظه من النثر ، وهو كاتب إنشاء متقدّم ،

---

(١) المناقب ١١٤/ب .

(٢) المناقب ١١٥/ب .

(٣) المناقب ٨٠/ب .

لا بد أنه مبرز، لم يتردّد أن يجرّب جانب الشعر. ومن القطع الشّعريّة التي توفرت في كتابه يبدو أنّ له باعا طويلا في هذا المجال، وقصيدته التي رثى بها السلطان الملك المنصور قلاوون تدلّ على أنه صاحب ملكة فيه، إذا ما قيس ببعض شعراء تلك الفترة.

تنبيه

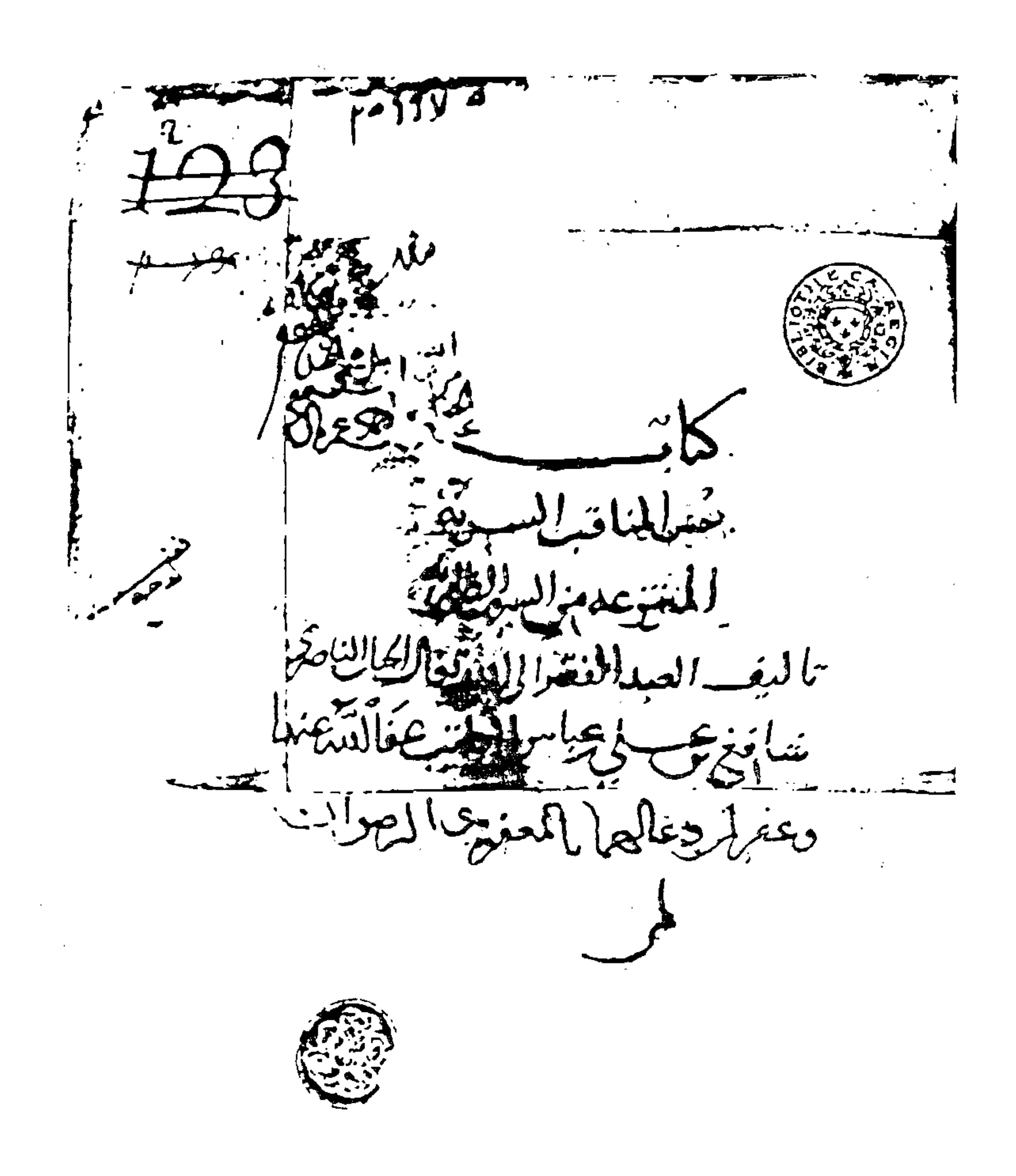
لقد اجتهدت في أن أبقي على نص المخطوطة كما هو في حالة شعوري أن هناك خطأ، وألمحت إلى ذلك في الهامش، وفي الحالات التي تمكّنت فيها من مقارنة النص بنص آخر، أوضح من نصّ «حسن المناقب السرّيّة» فإني اخترت إما إبداله بالنّص القرين الصّحيح مع الإشارة في الهامش إلى أصل النص، أو إبقاءه في المتن، وأشرت في الهامش إلى مقابلهِ ومصدرهِ. وقد لا تبدو القاعدة منتظمة لأول وهلة، لأني جعلت الحكم في اختيار إحدى الطريقتين مدى ما أحسّ به من

ترجيح عند المقارنة، ومن توقع السقط والتعديل من قبل الناسخ. على أنه في كلا الحالتين حُفظ حقّ المؤلّف بالملاحظة التي في الهامش عما اتخذ.

وحصرت ما أضفته إلى المتن بين الحاصرتين [ ] تدليلا على أنّ هذه زيادة منّي، أو من كتاب آخر، وأشرت إلى ذلك في الهامش.

وقد نبّهت إلى مواقع السّقط في الكتاب، أملا في أن يعثر قارىء على ما يساعد، من مرجع آخر، أو من نسخة أخرى، غير معروفة، من نسخ المخطوطة، على إكمال ما فقد، لتتمّ الفائدة، ويُوْصَل إلى الهدف.

وقد وضعتُ أرقام الصفحات للمخطوطة على حاشية الكتاب، واعتمدت الإشارة إليها في الهوامش عند الاقتضاء، لتكون الإحالة إليها ثابتة، فلا تتغيرّ بتغيّر الطبعات.


كتاب
حسن المناقب السرية
المنتزعة من السيرة الظاهرية
تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى الكاتب الناصري
شافع بن علي عباس الكاتب عفا الله عنهما
وعن من دعا لهما بالمغفرة والرضوان

صفحة الغلاف من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

الحمد لله الذي احيا ذكر الملوك بآثارهم الزاهرة

وسيرهم التي هي بتفاصيل احوالهم سايرة واشهد

منه احوالهم التي هي بمناقبهم حاليه وطرز حلل

معاليهم باثبات هممهم العاليه نحمده علي وافر نعمه

ونشكره من مواد كرمه ونشهد ان لا اله الا الله وحده

لا شريك له شهادة شاهدة باخلاص مالها من سر

وعلانية ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي

شيد به الدين وثبت مبانيه صلي الله عليه وعلي اله

وصحبه صلاة لا تزال الالسنة لها ثانية والاقوال

مرسله اعنتها غير ثانيه وبعد فان في اثبات

سير الملوك ما يشهد الغايب ويعيد الذاهب

ويوقف علي احوال المعاصر وغير المعاصر ويمتع

الصفحة الأولى من المخطوط

بحسن المسامحة بما للوقايع من الموارد والمصادر وكان
السلطان السعيد الشهيد الملك الظاهر ركن الدين
بيبرس الصالحي قد ملك فانجح وسعى في ذات الله
فانجح وقام باعباء السلطنة ايما قيام وسهر
في اقامة منار الاسلام والناس نيام واعمل الركاب
في فظ شوكة عدو الله من الفرنج والتتار واجتهد
في الاخذ بالثار من قديم وحديث ممن ثار وقضى المراد
من كل مراد وبلغ المرام الجميل كل من راد وجا
والنصر فكانما كانا على ميعاد فلم يزل رحمه الله
يداب في افتتاح الحصون المغلقة والكتايب المعلقة
وغير المعلقة ومهاجمة العدو في عقر الدار واستيصال
شافة الفرنج والارمن والتتار لم يصطلي له بنار
ولا كان لعدو معه قرار ولا حما من صرامته مشيد

الصفحة الثانية من المخطوط

في غيبة السلطان للنظر في امور الرعيه
ومعه الوزير الصاحب بها الدين والقضاة
فاتفق ان دخل انسان ومعه قصه يرفعها
فحمل على الامير عز الدين بسكين جات في
يلعومه فامسكها الامير عز الدين من يده فجرحت
يده وانقلب الرجل فبقر بطن صارم الدين
المسعودي متولي القاهره واراد ان يلعب
على الحاضرين بالسكين فامسكه الامير فخر الدين
ابن التركماني من كتفيه ورمي به الارض
وضرب بالسيوف فمات وحمل الحلي الى داره
وقطب جرحه واتصلت القضيه بالسلطان
نعز عليه وكشف امر هذا الرجل فوجد
جاندار وقيل انه كان مختل العقل مصطولا

صفحة من وسط المخطوط

على العصمة النبات ونوبنا عند لقاء العدو
الثبات وإن أدى إلى الممات هذه
صورة حالنا الحاليه بعد العطله وقضية
امرنا على التفصيل والجمله وانما طارحناه بهذا
الحديث خطبة لاتباع ودّه القديم بالحديث
وما اولاه اعز الله سلطانه بان يورث الولد
من ودّه ما هو في ذمته للوالد وان
ذلك النوال ليُنسج له على مثله في الصد
والوارد لازال حسن الاستصحاب بحال
إخايه صحيح الولاء لاوليايه ومخلفي اوليايه
بمنه وكرمه ان شا الله تعالى حسبنا الله ونعم الوكيل
نجزت المناقب السريه المنتزعه من السيره الظاهريه
يوم الجمعه الثاني من جمادى الاول سنه عشر وسبعمايه وصلى الله على محمد وآله وسلم

الصفحة الأخيرة من المخطوط

حسن المناقب السرية

المنتزعة من

السيرة الظاهرية

تـأليف

العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الناصري

شافع بن علي بن عباس

عفا الله عنهما وغفر لمن دعا لهما بالمغفرة والرضوان ـ آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر يا كريم ٣/أ

الحمد لله الذي أحيا ذكر الملوك بأيامهم الزاهرة، و سيرهم التي هي بتفاصيل أحوالهم سائرة، وأشهد حلية أحوالهم التي هي بمناقبهم حالية، وطرّز حلل معاليهم بإثبات هممهم العالية. نحمده على وافر نعمه، ونستزيده من مواد كرمه. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة شاهدة باخلاص ما لها من سرّ وعلانية. ونشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، الذي شيّد به الدّين، وثبّت مبانيه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاة لا تزال الألسنة بها ثانية، والأقوال مرسلة أعنتها غير ثانية.

وبعد:

فإن في إثبات سير الملوك ما يُشهد الغائب، ويعيد الذاهب، ويوقف على أحوال المعاصر وغير المعاصر، ويمتع/ بحسن المسامرة بها ٣/ب

للوقائع من الموارد والمصادر. وكان السلطان السعيد الشهيد، الملك الظاهر، ركن الدين بيبرس الصالحي، قد ملك فأسجح، وسعى في ذات الله فأنجح، وقام بأعباء السلطنة أيما قيام، وسهر في إقامة منار الاسلام والناس نيام، وأعمل الركاب في فظّ[1] شوكة عدوّ الله من الفرنج والتتار، [و] اجتهد في الاخذ بالثأر، من قديم وحديث ممن ثار، وقضى المواد من كل مراد، وبلغ المرام الجميل كل من راد، وجاء والنصرَ فكأنما كانا على ميعاد، فلم يزل - رحمه الله - يدأب في افتتاح الحصون المغلقة، والكنائس المعلّقة، وغير المعلّقة، ومهاجمة العدو في عقر الدار، واستئصال[2] شأفة الفرنج والأرمن والتتار، [و] لم يصطلى[3] له بنار، ولا كان لعدو معه قرار، ولا حمى من صدماته مشيد/ من الأسوار، ولا وجد أحد منهم من

٤/أ

---

(١) هكذا والصحيح «فضّ».

(٢) في المخطوط «واستاصال».

(٣) هكذا بدلاً من لم يصطل.

عُسر حصاره يسار، ولا ليمين انهزامه من يسار، فدوّخ البلاد، وسلب الطارف والتلاد، وبدأ في غزو أعداء الله بنفسه وأعاد، وهاجم وتجهّم، وحكم وتحكّم، وعلم وعلّم، وهزم الجيوش، وأوحش حتى الوحوش، واستغرق مدة ملكه في بلاد يفتتحها، وغزوات يختمها بالنصر ويفتتحها، ولم يزل أو[1] أفنى العداة بعزائمه الماضية، وهزائمه التي هي بالدمار على الأعداء قاضية، ومعاركته[2] التي ما برحت لوعد الله في نصره عليهم متقاضية، أو[1] جعل الكنائس مساجد، والبيع لذكر الله معاهد، وأعدم المغل من التتار، وأخلى منهم الدار والجار، وأدّب بسيفه من جار، وأعلى كلمة الإيمان على رؤوس الأشهاد، وأنام الاسلام وأهله في أومن[3] مهاد.

٤/ب

وكان كاتب سره البليغ: محي الدين

(١) هكذا والصحيح «حتى» أو «إلى أن».

(٢) هكذا ولعلها «ومعاركه».

(٣) هكذا والصحيح «آمن».

أبـوالفضل، عبدالله ابن شيخ الاسلام رشيد الدين عبدالظاهر، قد افتتح أيامه بنظم سيرة[1] رتّـل فيهـا سور محاسنه، صورة[2] صورة[2]، وأرّخ وقـائعـه التي هي في صحـائف حسناته مسـطورة، فأطـال وأطـاب، وخـطب بامتع خطاب، وأتى على مجمـوع أيـامه يوما يوما، وصرح بمناقبه وإلى إبداعها أوما، لكن اقتضى الحال أن يثبت منها الغث والسمين، وأن يكرر ما يشافه به سمع سلطانه من إطرا، وإن كان فيه صادق[3] لا يمين[4].

وكـــان ـ رحمـــه الله ـ قد تحدث معـــي في اختصارها، فلم يتفق في حياته، ولم يقع تأدبا معـه، في إثبـات نفيـه، ونفي إثبـاتـه، وقـد

(١) عنـوان هذه السـيرة هو: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ويوجد مخطوطتـان لهذه السـيرة، الأولى في مكتبـة الفاتح في استنبول تحت الرقم ٤٣٦٧، وعدد أوراقها ١٩٤، ومخطوطة أخرى في المتحف البريطاني تحت الرقم: اضافة ٢٣٫٣٣١ وعدد ورقاتها ٩٨. .

(٢) هكذا في الاصل.

(٣) هكذا بدلا من «صادقا».

(٤) تلقى هذه الجملة ضوء على مدى امكان الاعتماد على سيرة بيبرس التي ألفها محي الدين.

اختصرتها رغبة في الإيجاز[1]، الذي هو عين البلاغة، وعذوبة مياه الفصاحة المساغة، وذكرت منها/ الأهم المقدم، لتلذّ مطالعتها، ٥/أ وتروق مراجعتها، وبالله التوفيق.

ذكر ما ابتدأ به السيرة المذكورة

بدأ بالتعريف بجنسه، ولم يوغل فيه، ولا بيّنه، بل قال: إنه تركيّ الجنس[2] والظاهر أنه كان البرلي، ونسبه إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأنه كان من جمداريته[3]، ولم يذكر عمن انتقل إليه، إجلالاً له.

وهذا السلطان المذكور انتقل إلى الأمير علاء الدين البندقدار[4] الصالحي، ثم ارتجع

---

(١) سيجد القارىء أن شافع في بعض الاحيان لا يلتزم الايجاز.

(٢) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ورقة م ٣ أ.

(٣) جمى: كلمة فارسية بمعنى البقشة، أو لفّة الملابس، وسُمي المسؤول عن ملابس السلطان في تلك الفترة بالجمدار (النجوم الزاهرة: ٧/ ٥/ ١ وعزالدين بن شداد ٢/ ١٧١ وصبح الاعشى ٥/ ٤٥٩).

(٤) البندق مفردها بندقة «في الصحاح ما يدل على أنها فارسية» وتعني الجوز ويستعمل للرمي. والبندقدار هو المسؤول عن حمل حافظة النبدق خلف السلطان أو الامير. صبح ٥/ ٤٥٨.

إلى السلطان الملك الصالح، عندما تغير على علاء الدين المذكور، ولم يزل يعرف بالبندقداري إلى أن ملك، وكان علاء الدين البندقدار المذكور أميرا في دولته. ثم أخذ -رحمه الله- ينسب إليه قتال الفرنج، بعد وفاة السلطان الملك الصالح نجم الدين/ أيوب بالمنصورة، ليلة الاثنين منتصف شعبان سنة سبع وأربعين وستمئة، وفيها أسر ريدافرانس[1]، واستولوا[2] الفرنج على دمياط، وشُنقت الامراء الكنانية، بسبب تسليمها لهم. وقُتل الملك المعظم، ولد الملك الصالح المذكور، قتله مماليك والده البحرية، ومنهم الملك الظاهر، لما ساءت سيرته، وقبحت سريرته، وأضمر لهم غدرا، ونظر لهم بعين التغيّر شزرا[3]، وفيها سلم الفرنج دمياط، مفاداةً للريدافرنس.

٥/ب

(١) تحريف روا دفرانس: ملك فرنسا.

(٢) هكذا على لغة «أكلوني البراغيث» ويلاحظ كثرة استعمالها بين مؤرخي تلك الفترة.

(٣) الروض: م ٣ ب.

قال[1] ـ رحمه الله ـ ذكر مولانا السلطان من لفظه: إن العسكر لما انفصل من المنصورة، واستقر بالقاهرة، بلغه أمر عربان الصعيد، وعبثهم في البلاد، ونفاقهم،/ اتفق الرأي على تجريد جماعة من العساكر، وهم مئتا فارس، وأن العربان كان جمعهم عشرة آلاف فارس، أو يزيدون، وأن السلطان كان قد تقدّم في جمع قليل، فلما رأى كثرتهم التجأ إلى دهروط[2]، فآواه أهلها، ونصروه، وخدموه، إلى أن تلاحق العسكر، وضربوا مع العرب رأسا، وكان مقدّم العرب إنسانا يقال له حاتم[3]، وأن السلطان هجم عليه، وأخذ رأسه، وكان بمنيته حاتم، وأن السلطان لما أفضت نوبة الملك إليه كافأ أهل دهروط أحسن مكافأة، وسامحهم بأمور كبيرة.

٦/أ

(١) الروض: م ٥ أ.
(٢) دهروط بليدة على شاطىء غربي النيل من ناحية الصعيد قرب البهنسا. معجم البلدان، ياقوت ٤/ ١١٣.
(٣) «ابن حاتم» الروض، م ٥ أ.



قال[1]: لما جُعل عز الدين أيبك الجاشنكيري[2] التركماني، أحد الأمراء الصالحية، أتابكا[3] لشجرة الدر ـ سرية[4]/ [الملك الصالح نجم الدين أيوب، طمع بالملك، وتسمى بالملك المعز، وتسلطن، ثم خاف، فتراجع عن ذلك، إلا ان اللقب بقي له، وبدأ يرتب في صفوف الأمراء، وقتل فارس الدين أقطاي، قائد فرقة البحرية، وعلى أثر ذلك خرج بيبرس إلى الشام، وتشتت معظم البحرية، وانضم بيبرس إلى الناصر، صاحب دمشق وحلب، واجتمع عليه هناك بعض البحرية، وحرّض الناصر على أخذ مصر، إلا أن الخليفة في بغداد توسّط بين الناصر وبين الملك المعز، فرأى بيبرس من

(١) الروض: م ٥ ب.

(٢) الجاشنكير هو المتحدث في أمر السماط مع الاستادار، ويقف على السماط.

(٣) اتابك مركبة من كلمتين، الأولى «أتا» أو «أطا» بمعنى «أب»، والثانية «بك» بمعنى أمير، وهو هنا بمعنى مقدم الامراء، راجع صبح ٤/ ١٨.

(٤) هنا بعض السقط مما أقله صفحة، أكمل مختصراً من الروض الزاهر.

الناصر جفاء، ففرّ إلى صاحب الكرك الملك المغيث وبمساعدته هاجم مصر مرتين، دون أن ينال كبير فائدة.

وكان اخفاقه في ذلك سبباً في فساد الأمر بينه وبين الملك المغيث، فبدأ بيبرس يغير بخشداشيته لصالحه على الساحل والغوريات، حتى وصل إلى قرب دمشق، فقاومه الناصر، فهزم جيش الناصر، ووصل المنهزمون إلى[1]] ٦/ب دمشق، فحمله[2] ذلك إلى أن خرج بعساكره، ونزل بالمزيريب، ورحل منها إلى بركة زيزا[3]، وأقام بها مضاجرا للسلطان، ومن معه، وطالت مدة إقامته، ولم يظفر منه بطائل، فعدل إلى استمالته بكل طريق، فلما استوثق السلطان منه، حضر إليه، وتوجه معه إلى دمشق، في أعز مكانة، وضاعف له الاحسان، وأما من

(١) نقل ما بين الحاصرتين [ ] ملخصا عما ورد في الروض الزاهر ورقة ١٠ ليعوض عن النقص الحاصل في المخطوطة.

(٢) أي الناصر.

(٣) راجع هامش الصفحة «٩٤ أ».

كان معه من البحرية فإن الملك المغيث أوقع عليهم الحوطه، وراسله الملك الناصر، فاصطلحا عليها، وسيّرهما إليه في القيد والسلسلة.

ثم ان الأخبار تواترت بطمع التّتار المخذولين في البلاد عندما سمعوا هذا الخذلان، وعزموا على الحضور بقضهم وقضيضهم، والملك الناصر نازل بالمزّه، مشتغل بما لا يفيد من اللّهو واللّعب حتى إن مماليكه عزموا على قتله، والسلطان يعرض عليه نفسه،/ ويقول له: جرّد معي جيشا، وأنا أتوجه إلى التتار وهو لا يلوي. ٧/أ

فعند ذلك تركه السلطان، وعدل عنه، قاصدا الديار المصريّة، فلما وصل إلى غزة تبعته جماعة كبيرة من مماليك الملك الناصر، وخواصّه، ووجد بها جماعة من الشهرزوريه[1]، قاصدين الغدر، ففتك بهم

(١) راجع ما سيأتي عنهم ٢٥ أ هامش.

وقتل مقدّمهم نور الدين حسن بن بدل، وكان قطز، مملوك الملك المعز قد استبدّ بالملك بالديار المصريّة، لمّا أنس من ولد المعز عدم الفلاح، فكاتبه[1] بالسّلطان، واستوثق منه، فكتب إليه، وأمّنه، ووعده بها اختاره، فحضر السّلطان إليه.

ووصل الملك الناصر إلى قطيا، في أثر الملك الظاهر، ثمّ عاد، وقوي الخبر بقصد التّتار البلاد الشاميّة، فاتفق السلطان والملك المظفر قطز، وخرجوا بالعساكر المصريّة والشاميّة والشهرزورية/ وغيرهم من المماليك الناصرية، متوجهين إلى الشام، لمصافقة التّتار المخذولين، وكان التّتار قد استولوا على البلاد، وملكوها إلى عين جالوت[2]، ولم يزل الملك المظفر يحثّ السّير، ويقدمه السلطان الملك الظاهر جاليشا[3]، ومعه جماعة من العساكر،

٧/ ب

(١) لعلها «السلطان» بدون باء أو أن المقصود كاتبه بالسلطان اعترافاً بسلطنته.
(٢) مدينة صغيرة في فلسطين بين بيسان ونابلس، ياقوت ٦/ ٢٥٤.
(٣) الكشافة أو مقدمة الجيش، أو طليعته.

فكشف أحوال العدو، وأرهبهم بقوة عزمه.

ثم إن الملك المظفر وصل العساكر، واتفقت الوقعة بين الجيشين في العشر الأوسط من شعبان سنة ثمان وخمسين وستمئة، ونصر الله الإسلام، وقتل كتبغانوين، مقدم جيش التّتار، وولّى العدو منهزماً، والسلطان الملك الظاهر في أثره، يقتل ويفتك، إلى أن وصل إلى حارم[1]، وكتب إلى الملك المظفر بما اعتمده من قوّة العزم، وشدّة الحزم، في تطمين البلاد، ودخل الملك المظفر دمشق، وفتك بنواب/ ٨/أ التّتار فيها.

وتمّت هذه النّصرة، وللسّلطان الملك الظاهر فيها اليد الطولى، وهو بنسبتها إليه أجدر وأولى. ولقد حكي أن التّتار لمّا تسنموا الجبال هاربين، ترجّل الملك الظاهر، وتسلّق خلفهم، ووصل سيفه بخطاه، وان[2] لم

(١) حصن منيع، تجاه انطاكية، المراصد ٣/ ٢٨١.
(٢) «إن» تبدو زائدة.

يقصر، وهكذا حال من لدين الله يؤيد وينصر.

وكانت شدة عزائم السلطان الملك الظاهر، ومهابة شجاعته قد سكنت قلوب التتار المخذولين: حكى الصاحب محي الدين شيئاً يؤيدّ ذلك، قال: «حكى لي الافتخار، والي بُصرَى، أن كتبغانوين قال للملك الأشرف، صاحب حمص، في محفل كبير: «بأمر من حملت حاصل شيزر لهلاون؟» قال: «بأمره»، قال له: «لا! لأن هلاون لم تجر له عادة بأن يسير إلّا إليّ، ولا يطلب إلا منيّ، وهذا إنّما فعلته منك دهاء وشجاعة، فإن كنت كما تزعم، فتقدّم للبندقداري، فقد حضر جالشيا/ لعسكر مصر». و/ في هذا مالا يكاد يخفى من هيبة الملك الظاهر في قلوبهم. ٨/ب

ولما رجع الملك المظفر من هذه الوقعة، قاصداً للديار المصرية، شمخت نفسه وتكبّر، وتنكّر على الملك الظاهر حاله، وفهم عنه أنه يريد خموله، فلم يزل يداريه، إلى أن وصلوا

إلى قصير الصالحية[1]، وكان الملك المظفر مغرى بالصيد، فلما دخل البرية قيل أن بعض من اتفق معه الملك الظاهر خبّأ له أرنباً إلى أنّ توسّط البريّه، وأطلقه، فتوهّم الملك المظفر أنّه سانح، وإن لم يبارح، فساق وراءه، واتبعه الملك الظاهر، وقد تقرر مع أنص، سلاح[2] دار قطز، ضربه، فضربه ضربة خائف[3]، وعاد عليه الملك الظاهر، فأتمّ قتله، ودفن بمكانه بثيابه، ولم يعرف قبره إلى الآن[4].

٩/أ وعاد من كان/ توجّه مع قطز إلى الدهليز، والناس ينتظرون عوده، واتفق من سلطنة الملك الظاهر ما يذكر.

وهذه الصورة لم يحكها الصاحب محي الدين كذا لحسب الوقت، وعرض السلطان، بل

---

(١) قصير الصالحية: قرية بين الشام ومصر على حدود منطقة الرمل بينهما سميت كذلك لان الذي بدعها الصالح أيوب لجنده. السلوك ١/ ٣٣٠.

(٢) هو رئيس السلاحدارية وخزينة السلاح، وهو الذي يناول السلطان سلاحه في أيام الحرب والسلم. صبح ٤/ ١٨. النجوم ٧/ ١٨٢.

(٣) راجع ما يأتي الورقة ١٩٣.

(٤) راجع ما سيأتي: ورقة ١٣٦/أ. ففيه تفصيل عما ورد هنا.

مهد للملك الظاهر عذرا أوجب قتله، وعذرا صيره مثله[1]، وأن الملك الظاهر أمسك يد قطز، وقتله من غير شريك في قتله.

ثم إن الامراء دخلوا إلى الدهليز، وقد بسطت الطراحه، فجلسوا حولها يشتورون فيمن يقوم بالملك، وكان من جملة الامراء جماعة كانوا معتقلين، بثغر الاسكندرية، ممن اعتقلهم المعز وأخرجهم الملك المظفّر عند مهم الجهاد: كالأمير سيف الدين بلبان الرشيدي الصالحي وغيره، وكان الرشيدي أكبرهم قدراً، وأعلاهم/ ذكرا، وحصل الاتفاق على سلطنته، وكان فارس الدين أتابك مرسّماً[2] عليه في دهليز الدهليز، فهجم، وهم على هذا الاتفاق، فقال:

٩/ب

«يا أمراء، لو أن للملك المظفر ولدا كنت أنا أول من يقاتل على إقامته، والآن فقد فات فيه الفوت، وأسة[3] الترك أن من قتل الملك

(١) أي سلطانا مثله. (٢) أي محتجزا.
(٣) أسه هنا بمعنى: قانون أو نظام أو نهج.

كان هو الملك، ومـا غرّر من قتل هذا الملك بنفسه ليكون الملك لغيره، وقد علمتم أن هذا الأمير ركن الدين هو الذي قتله».

ثم أخـذ بيـده، وأجلسـه على الـطراحه، ولقب بالملك القـاهر، ثم نقلت إلى الظاهر، فرأى الملك الظاهر للأتابك هذا الأمر، وعظّم من قدره، وقاسمه الملك، وجعل تدبيرها إليه، وأمـر الـوزيـر بأن يجلس بين يديـه، وكتّاب الـدرج على بابـه، ورسل الملك لا يتعدّونه، والإشارة إليه، وأقطعه بمصر والشام/ ثلاثمئة وخمسين طواشيا[1]، وجعل له صماطا كصماطه، وزاد إحسانه عليه حتى صار يمد القلاع بوافر نعمـه، بجملة كبيرة، من قمح وشعير وعين وزيت وغـيره، ما قيمتـه خمسمئة ألف درهم وثمانية آلاف درهم.

١٠/أ

ولمـا أراد الملك الـظاهـر تحليف الأمـراء الحاضرين له، قال له الأتابك:

---

(١) يبدو أن معناها هنا جندي وليس كما تعنيه عادة «خصي».

«لا ، مولانا السلطان يعلم أن هؤلاء الأمراء الـذين أخـرجـوا من الحبس بطّالـون ، بلا أرزاق ، مولانا السلطان يحلف لهم بما تطيب به نفوسهم من صلة الأرزاق ، وتعظيم الشأن والأمن» .

فحلف لهم مولانـا السـلطان ، فطابت نفوسهم ، وحلفوا له . ولم ينصّه الصاحب محي الدين على هذه الصورة ، بل نقص منها ما فهم أن السلطان لا يؤثره .

ثم إن السلطان ركب قاصدا قلعة[1] الجبل ، فوجد الأمير عزّ الدين أيدمر الحلّي ، / قد وطّأ له أمرها ، وحلّف النواب بها ، لأنه كان تقدّمه لهذا السبب . ودخـل السلطان ، واستقر في كرسي الملك يوم الاثنين تاسع عشر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وستمئة .

١٠/ب

(١) تقع بين القاهرة وجبل المقطم ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش عام ٥٧٢هـ ، واكملت واكمل سورها أيام الكامل محمد بن العادل ، وأنشأ بها الدور السلطانية عام ٦٠٤ . المواعظ ٢٠١ - ٢٠٣ .

ولما استقر به[1]، شرع في تحليف من بقي من العساكر والأمراء ممن لم يحلف، وقرّر المصالح، ورتب أرباب الوظائف وأمّر جماعة من خشداشيّته[2] الصالحيّة، وأمر بالكتابة إلى القريب والبعيد كاليمن والغرب وغير ذلك بافضاء نوبة الملك إليه، ونشر راية العدل والإحسان، وأصبحت الرعيّة به من الجور في أمان.

ولما استقرّت الأحوال ركب، في صفر سنة تسع وخمسين وستمئة، بشعار السلطنة، على العادة العبّاسية في السواد، وعمّ بالخلع، وشقّ القاهرة المحروسة بهذا الشّعار/ ، ونثرت عليه الدنانير والدراهم. ١١/أ

(١) هكذا في المخطوطة، ولعلها «بها» أو «استقر به المقام».

(٢) خواشداشي أصلها فارسي: خواجه تاش. وتعني هنا المملوك الذي زامل مملوكاً آخر في خدمة السلطان أو الامير. كاترمير: تاريخ سلاطين المماليك ١/ ٤٤.



ذكر ما ساقه في باب كرمه[1]

ذكر الصاحب محي الدين أن السلطان وصل الخليفة المستنصر، المعروف بالاسود، عندما جهزه لفتح بغداد، والملوك المواصلة لما جهزهم أيضاً، بحملة كبيرة، قال: «ذكر لي مولانا السلطان، من لفظه، أن جملة ما وصل إليهم منه ألف ألف، وستون ألف دينار».

والذي أقول أن هذه الحركة لم يترتب عليها مصلحة، وعجبت من انعقاد الرأي على مثلها، وذلك أن الخليفة المذكور أعمل السّير، ومعه شرذمة قليلة بالنسبة للتّتار، وقصد بغداد فقتل هو وأكثر من معه، ولم يحصل للمواصلة عرض من ملك ولا غيره وعادوا، وقد ذهبت الأموال ضياعا، وطارت نفوس أكثرهم شعاعا، والصاحب/ محي الدين غمغم ههنا، ولم يذكر شيئاً منه. ١١/ب

(١) راجع الروض: م ١٨ أ.

ذكر شيء من عدله

لما قصد التّتار المخذولون البلاد الشامية، ووصلوا إلى عين جالـوت، في العدد الكثير، قرّر على أهـل القـاهرة ومصر جباية الدينار، والتصقيـع[1] للأمـلاك والتقـويم، وحصلت بذلك مشقّة عظمى، وانكشف حال الفقير، وانتهكت[2] الحرم، فحين استقرّ أمر السلطان الملك الظاهر أبطل ذلك جميعه، ومحا رسومه، وأزال وسومه ونفّذ فيه مرسومه.

ذكر شيء من إيصاله الحق لمن هو له

لما استقـــرّ في الملك، وفهم عنـه ميله إلى الحق، وإيصـالـه لمن هو له، أنهى إليـه ولدا شهـــاب الـدين بن شمس الملوك، أن بركـة الفيـل، وبستـان سيف الـدولـة، ملك جرّه الارث إليهما، وأحضرا من يدهما كتبا تشهد/ ١٢/أ

(١) التصقيع: أجرة شهرين تفرض وتؤخذ على الاملاك كل سنتين. والتقويم: درهم يفرض على كل دينار من قيمة البيت (ابن شداد ٢/ ١١٥).

(٢) في الأصل: وانهتكت.

بصحة دعواهما، وكان هذا الملك تحت حوطة الـديوان، فرسم بالافراج عنه، وابتياعه منهما بمقتضى الشرع الشريف. والـبركة المذكورة الآن جارية في ملك أولاده، ومبلغ ما أبيع به ذلـك مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم. وكان هذان البائعان في فقر، وضيق حال، إلى الغاية، فأغنى فقرهما، وربح أجرهما.

ذكر كلف دولته من إقطاع النقدية ووجوه البر

مما سومح به في دولتـه، مما كان يُستـأدى ظلما، ألف ألف دينار في السنة.

ما ينفق، فيمن استخـدم، من النقديّة في السنة ستمائة ألف دينار وثلاثمائة ألف إردبّ غلة.

نفقة البيوتات/ ، كالخزانة وغيرها، خمسمائة ألف دينار. ١٢/ب

نفقة المماليك البحرية وغيرهم ثلاثمئة ألف

دينار وثمانون ألف درهم.

صلة بيوت الملوك، الآوين إليه، أربعون ألف دينار.

جامكيات[1] الدواوين، ورفد الفقراء، مئة ألف دينار وسبعون ألف درهم، وعشرون ألف أردب.

المرتب من الغلة، برسم الجرايات والعليق، مئة وعشرون ألف أردب.

المرتب لصدقة رمضان: أربعة آلاف قميص، وألف قنطار خبز، وطعمة خمسة آلاف فقير كل ليلة، وعتق ثلاثين[2] عبداً في سلخ رمضان.

نفقة الشواني[3]، المعدة لغزو الفرنج ـ لعنهم الله ـ مئة ألف دينار.

---

(١) جامكيات بمعنى مرتبات.

(٢) في الاصل ثلاثون.

(٣) الشواني: واحدها شيني، وهي سفن حربية كان من أبرز مواقعها في زمن بيبرس حملتها ضد قبرص. حسن المحاضرة ١١/ ٢٦٦، الروض ١٢٠ أ.

ذكر شيء من رفقه بالرعية

لما حضر الجُفّال[1] من الشام، وهم ما بين نساء وأطفال، وجدوا النيل بقُصير الصالحية، وقد عجزوا عن الخوض، وامتنعوا منه، سترا لعوراتهم، فأمر السلطان العساكر/ لإردافهم والخوض بهم، وأردف هو جماعة بعد جماعة متنكرا ـ رحمه الله ـ. ١٣/أ

ذكر امتثاله بأوامر الشرع الشريف

كان قد فوّض قضاء القضاة بالديار المصرية للقاضي تاج الدّين عبدالوهاب ابن خلف، المعروف بابن بنت الأعز، وكان ذا هيبة وتصميم، ويبس، فانصلحت به الأحوال، التي كانت قد فسدت قبل ولايته، وصار يجلس هو والأتابك بدار العدل الشريف، فاتّفق أن وقف لهما إنسان يقال له: جمال الدين محمود من

---

(١) جفلوا من الشام عند تقدم التتار إليها.

أجناد الحلقة[1]، وادّعى أن له عند السلطان حقا، وطلبه إلى الشرع، فطولع بأمره على أن يوكل في سماع دعوى الرجل، فبادر إلى الحضور بنفسه، واستوى مع غريمه، بين يدي الشرع، بدار العدل، وكان دعوى الرجل/ أنه أنشأ بئرا بالقرب من زاوية الشيخ ١٣/ب أبو السعود، وأن السلطان وضع يده عليها الآن تعدّياً فسأل قاضي القضاة السلطان ليجيب، فقال: «هذه البئر كنت قد احتفرتها عندما تُوفّي لي مملوك، إلى أن وصلت إلى الأبليز، وانبطت الماء، واتّفق لي التوجه إلى الشام، كما تقدّم، فوضع هذا الرجل يده على هذه البئر، وكمّل بناءها، وصارت تمد الفقراء بزاوية أبو السعود، ثم إنّه منعها عنهم، فشكوا لي، فتذكّرت أنها بئري، فوضعت يدي

(١) ربما اطلقت في وقت من الاوقات على حراس السلطان الذين يشكلون حوله حلقة (كاترومير ١/١/٧، ٢٤٦) إلا أنه يبدو أن مدلولها اتسع في زمن بيبرس عنه في أيام الأيوبيين، وصار يطلق على كتيبة معينة في الجيش، هناك ما يدل على أن رئيسها أمير سبعين (ابن شداد ٢/ ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٦) وقد لعبت دورا مُهمّا في حروب بيبرس.

عليها». فقال القاضي للخصم: «قد سمعت الجواب»، فقال: «يثبت ما ادعاه»، فسأل السلطان جماعة من خوجداشيته الشهادة له، وما يعلمونه، فشهدوا بها ادّعاه، وثبت عند الحاكم، وأفتى العلماء الحاضرون بدار العدل أنها له، فحكم بتسليمها، وخير الخصم بين أن/ يزيل بناءه، أو يأخذ ثمنه، فاختار الثمن، فحُمل إليه بمقتضى القيمة العادلة. ١٤/أ

ثم إن السلطان، لمّا انفصل من دار العدل، فكّر في أن المدّعي ربما يخاف من جسارته، والأتابك والحكام من طلبه، فسير إلى كل منهما تشريفاً[1]، تأميناً له، وجزاء عن اقامة منار الشرع حتى فيه، وخلع على الرسول الذي حضر في طلبه إلى الشرع.

(١) التشريف بزة تعطى للمكرم بمناسبة من المناسبات. وهي أنواع حسب طبقات الناس، وقد فصل القلقشندي أوصاف التشاريف. صبح ٤/ ٥٣.



ذكر إحسانه
للأمير بدر الدين الخزندار مملوكه

هذا الأمير بدر الدين، مملوكه قبل الملك، رباه صغيراً، وصبر معه في الشّدّة والرّخاء، فأوّل ما بدأ به في الإحسان، وتقليد الامتنان، أن استنابه عن الملك، وقدّمه على الجيوش ونوّه من قدره بأن زوّجه ببنت الملك[1] الرحيم، وأمهرها من ماله عنه، وكان عقده عليها بغزّة المحروسة،/ وجبره بأن حضر العقد بنفسه، ١٤/ب ولما حضر إلى القاهرة عمل عرسه من ماله بالميدان تحت القلعة، ثم أمدّه بأن ملكه الصُّبيبه[2] وأعمالها، ومدينة بانياس[3] وأعمالها، بمكتوب شمله بخطّه.

---

(١) يلاحظ أن أمراء المدن أو المقاطعات من آل أيوب يلقبون في هذا التاريخ بالملوك.

(٢) اسم لقلعة بانياس، التقويم ٢٤٩.

(٣) بلدة صغيرة جنوب غربي دمشق. التقويم ٢٤٩.



ذكر وصول الامام المستنصر من بغداد

وصل هذا المذكور إلى قلعة الجبل المحروسة، يوم الخميس تاسع شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمئة، فتلقّاه السلطان بنفسه في أمرائه، وبياض دولته من القضاة والعلماء وغيرهم من العوام، واستقرّ ببرج العافية، وقد كان هيّأ له، ورتّب له ما يحتاج إليه من الراتب، وجرّد في خدمته جماعة.

ولما كان يوم الاثنين ثالث عشره حضرت القضاة والعلماء والصوفية والتجار، وسائر اخلاط الناس بقاعة العمد، وحضر مولانا السلطان، وحضر الخليفة، / وجلس على مرتبة قد أعدّت له، والسلطان بغير مرتبه. ومن جملة من حضر شيخ الإسلام عزّ الدين عبدالعزيز ابن عبدالسلام، وسئل من حضر معه من العربان والطّواشي مختار البغدادي عنه، فأخبروا أنه الإمام أحمد بن الطاهر بن الناصر،

١٥/أ

فعنـد ذلـك شهد القاضي جمال الدين يحي، نائب الحكم بمصر، والفقيـه علم الـدين بن رشيق المفتي، والقاضي صدر الدين موهوب الجـزري، ونجيب الـدين الحـراني، وسديد الـــدين التــزمنتي، نائب الحكم بالقـاهـرة، بالاستفـاضـة أنـه الإمـام أحمد، وأدّوها عند قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ، فعند ذلـك أسجـل على نفسـه بالثّبوت، وانتصب قائـما، وأعلن بثبـوته عنده، فعند ذلك لقب بالمستنصر بالله، وبايعه السّلطان على كتاب الله تعـالى،/ وسنة رسول الله، ﷺ، وعلى الأمر ١٥/ب بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وأخــذ أموال الله بحقهـــا، وصرفهـا في مستحقهـا. وبعد ذلك قلّد الخليفة السلطان أمـور البـلاد والعبـاد، وبـايعه الناس واحداً واحـــداً، وانفصـل هذا المجلس. وكتب إلى سائـر الملوك والنـواب بما استقر عليه الحال، والأمر بأخذ البيعة له، وأن يخطب باسمه على المنابر، وتنقش السكة باسمه.

ولّما كان يوم الجمعة سابع عشره خطب الخليفة المذكور بالناس، في جامع القلعة، ونثر عليه الذهب والفضة، وجهّز للسّلطان الخلع العبّاسية، والأمراء الخلع على العادة، ولما كان رابع شعبان ضرب للسّلطان خيمة بالبستان الكبير، وحملت إليه الخلع، فلبس وخرج، وهي عمامة سوداء، / مزركشة بالذّهب ودرّاعة بنفسجي، وطوق ذهب، وتقلّد بسيف من جملة سيوف بدّاوية، حملت إليه، وشيل على رأسه لواءان، وسهمان كبيران، وترس، وركب فرسا أشهب برقبته مشدّة سوداء، وعليه كنبوش[1] أسود، ولبس الأمراء الخلع. وخلع على القاضي تاج الدين، والصاحب بهاء الدين، والصاحب فخر الدين لقمان، منشئ التقليد، وقارئه على المنبر المجلّل بالاطلس الأصفر. وحضر سائر الناس على اختلاف طبقاتهم.

١٦/أ

(١) كنبوش: ما يجلل به الفرس.

ونسخة التقرير:

الحمـدلله الذي أضفى[1] ملابس الشرف، وأظهر بهجة درره، وكانت خافية بما استحكم عليهــا من صدف من عن الحق صدف[2]، وشيّـد ما وهَى من علائه حتى أنسى ذكر من سلف، وقيّض لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف.

أحمده على نعمه التي رتعت الأعين/ منها في الـروض الأنف، وألطافه التي وقفت الشّكر عليها فليس عنها منصرف، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحـده لا شريك له، شهادة توجب من المخـاوف أمنـا، وتسهّـل من الأمـور ما كان حزنا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي جبر من الدّين وهنا، ورسوله الذي أظهر من المكارم فنونا لا فنّا، صلى الله عليه وعلى آله، الــذيـن أضحت منــاقبهم باقيــة لا تفنى،

١٦/ب

(١) «اصطفى الاسلام بملابس الشرف»، الروض م ٣٠ أ.

(٢) «من عن الحق صدف» ليست في الروض م ٣٠ أ.

وأصحابه الذي أحسنوا في الدين، فاستحقوا الزيادة من الحسنى[1].

وبعـد :

فان أولى الأولياء بتقديم ذكره، وأحقهم أن يصبح القلم راكعا وساجدا في تسطير مناقبه وبــرّه، من سعى فأصبح[2] بسعيه الحميـد متقدّما، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان منجدا ومتهما، وما بدت يد في المكرمات إلا كان لها زندا ومعصما، / ولا استباح بسيفه حمى وغىً إلا أضرمه نارا، وأجراه دما. ١٧/أ

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصّة بالمقام العـالي، المـولـوي، السّلطاني، الملكي، الظاهري، الركني -شرّفه الله، وأعلاه- ذكر[3] في الـديـوان العـزيـز، النبـوي، الإمـامي، المستنصري، - أعز الله سلطانه - تنويهاً لشريف

(١) زاد النويرى «وسلم تسليما كثيرا» نهاية جـ ٢٩ ورقة ٦ .

(٢) «فأضحى» الروض م ٣٠ ب .

(٣) «ذكره» الروض م ٣٠ ب «ذكرها» النويرى ٦ .

قدره، واعترافاً بصنعه الذي تنفذ العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره، وكيف لا! وقد أقام الدّولة العبّاسية، بعد أن أقعدتها زمانة الزّمان، وأذهب ما كان لها من محاسن وإحسان، وأعتب دهرها المنتمي لها[1] وقد كان أوسعها عتبا، وأرضى عنها زمنها، وقد كان صال عليها صولة مغضب، فأعاده لها سلما بعد أن كان لها[2] حربا، وصرف إليها اهتمامه، فرجع كل متضايق من أمورها واسعاً رحبا، / ومنح أمير ١٧/ب المؤمنين عند القدوم[3] حنوّاً وعطفا، وأظهر من الولاء رغبة في ثواب الله مالا يخفى، وأبدى من الاهتمام بأمر البيعة[4] أمراً لو رامه غيره لامتنع عليه، ولو تمسك بحبله متمسك لا نقطع به، قبل الوصول إليه، لكن الله ادّخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه، ويخفف بها حسابه، يوم

(١) «واعتب دهرها المسيء لها فأعتب». الروض م ٣٠ ب.
(٢) «عليها» الروض م ٣٠ ب.
(٣) «عليه» الروض م ٣٠ ب.
(٤) «بأمر الشريعة والمبيعة»، السلوك ١ ص ٤٥٤.

القيامة[1]، والسعيد من خفف من حسابه[2]، فهذه منقبة أبا الله إلا أن يخلّدها في صحيفة صنعه، ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه، بعد أن حصل الإياس من جمعه.

وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع، ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتّسع الخرق على الراقع، وقد قلّدك الدّيار المصرية، والبلاد الشّاميّة، والدّيار بكرية[3]/ ، والحجازيّة، ١٨/أ واليمنيّة، والفراتيّة، وما يتجدد من الفتوحات، غورا ونجدا، وفوّض أمر جندها ورعاياها إليك، حين أصبحت بالمكارم فردا،[4] ولا جعل منها بلدا من البلاد، ولا حصنا من الحصون مستثنى، ولا جهة من الجهات تعدّ في الأعلى ولا في الأدنى.

فلاحظ أمور الأمّة، فقد أصبحت لها[5]

---

(١) «يخفف بها يوم القيامة حسابه» الروض م ٣١ أ .

(٢) «من خفف حسابه» الروض م ٣١ أ .

(٣) «والديار الجزيرية والبكرية» النويري ٦ .

(٤) «وما جعل» الروض م ٣١ أ.

(٥) «لثقلها» النويري ٦ .

حامـلا، وخلّص نفسـك من التّبعات اليوم، ففي غد تكون مسؤولاً لا سائلا، ودع الاغترار بأمر الدنيا، فما نال أحد منها طائلا، وما رآها[١] أحد بعين الحق إلا رآها ظلّا زائلا، فالسّعيد من قطع منها آماله الموصولة، وقدّم لنفسه زاد التقـوى،فتقـدمـة[٢] غير التقـوى مردودة لا مقبولة، وأبسط يدك بالإحسان والعدل، فقد أمـرك[٣] بالعدل والإحسان/ في[٤] مواضع من القرآن، وكفّر به عن المرء ذنوبا كانت كتبت عليه ليالي وأياما[٥] وجعل يوما واحدا منه كعبادة العابد ستين عاما، وما سلك أحد سبيل العدل إلا واجتنيت ثماره من أفنان، ورجع الأمر[٦] بعد تداعى أركانه، وهو مشتدّ[٧] الأركان، وتحصّن به من حوادث زمانه، والسعيد من تحصّن من حوادث الزمان، وكانت أيامه في الأيّام أبهى من الأعياد، وأحسن في العيون من الغرر في أوجه

١٨/ب

---

(١) «لحظها» النويري ٦ .

(٢) «فتقدمته» النويري ٦ .

(٣) «فقد أمره الله» الروض م ٣١ ب .

(٤) «وكرر ذكره» السلوك ١٠ ص ٤٥٥ .

(٥) «كتبت عليه وآثاما» الروض م ٣١ ب .

(٦) «بـه» الروض م ٣١ ب .

(٧) «مشيد» الروض م ٣١ ب .

الجياد، وأجلى من العقود إذا حلي بها عطل الأجياد.

وهذه الأقاليم المنوطة[1] بك تحتاج إلى نواب وحكّام، وأصحاب رأي من أصحاب السيوف والأقلام، فإذا استعنت بأحد منهم في أمورك فنقب عليه تنقيباً، واجعل عليه في تصرفاته رقيباً، وسل عن أحواله،/ ففي يوم القيامة تكون عنه مسؤولاً، وبما اجترم مطلوبا، ولا تولّ منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا، وأمرهم بالأناة في الأمور والرّفق، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلّة الحق، وأن يقابلوا الضعفاء في حوائجهم بالثّغر الباسم، والوجه الطلق، وأن لا يعاملوا أحداً على الاحسان والاساءة إلا بما يستحق، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعيّة[2] اخوانا، وأن يوسعوهم برّا واحسانا، وأن لا يستحلّوا

١٩/أ

(١) «بنظرك» النويري ٦ .

(٢) «الرعايا» السلوك ١ ص ٤٥٥ .

حرماتهم إذا استحلّ الزمان لهم حرمانا، والمسلم أخو المسلم، ولو كان أميرا عليه[1] وسلطانا، فالسّعيد من نسج ولاته في الخير على منواله، واستسنّ[2] بسنته في تصرفاته وأحواله، وتحمل عنه ما تعجز قدرته حمل أثقاله.

ومما يؤمرون به أن يمحى ما أحدث/ من سيىء السنن، وجدّد من المظالم التي هي[3] من أعظم المحن، وأن يشتري بأبطالها المحامد، فإن المحامد رخيصة بأغلى الثمن، ومهما جبي منها من الأموال فانما هي باقية، في الذمم حاصلة، وأجياد الخزائن، وإن أضحت بها حاليه، فانما هي في الحقيقة منها عاطلة، وهل أشقى ممن أحتقب إثما، واكتسب بالمساعي الذميمة ذما، وجعل السواد الأعظم يوم القيامة خصما، وتحمل ظلم النّاس فيما صدر عنه من أعماله[4]، وقد خاب من حمل ظلما. وحقيق

١٩/ب

(١) «أو سلطانا» الروض م ٣٢ أ.
(٢) «واستسنوا» الروض م ٣٢ م.
(٣) «على الخلائق» النويري ٦.
(٤) «من أعمال» الروض م ٣٢ ب.

بالمقام الشريف، السّلطاني، الملكي، الظّاهري، الرّكنى، وأن تكون ظلامات الأيام[1] مردودة بعدله، وعزائمه تخفف ثقلا لا طاقة لهم بحمله، فقد أضحى على الإحسان قادرا، وصنعت له الأيام ما لم تصنع[2]/ لغيره ممن تقدّم من الملوك وإن جاء آخرا. ٢٠/أ

فالحمد[3] لله على أن وصل إلى جنابك[4] إمام هدى، أوجب لك مزيّة التعظيم[5]، ونبّه الخلائق على ما خصّك به الله من هذا الفضل العظيم، وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى، وأن يوالى عليها حمد الله، فإن الحمد عليها يجب عقلا وشرعا، وقد تبين[6] أنك صرت في الأمور أصلا، وصار غيرك فرعا.

ومما يجب تقديم ذكره أيضاً[7] أمر الجهاد، الذي أضحى على الأمة فرضاً، وهو العمل

---

(١) «الأنام» الروض م ٣٢ ب .
(٢) «تصنعه» الروض م ٣٢ ب .
(٣) «فحمد الله» الروض م ٣٢ ب .
(٤) «جانبك» السلوك ١ ص ٤٥٦ .
(٥) «التقديم» صبح الأعشى ١٠، ١١٥ .
(٦) «تبين لك» صبح الأعشى ١٠، ١١٥ .
(٧) «ما يجب أيضاً» الروض م ٣٢ ب .

الذي يرجع به مسودّ الصحائف مبيضّا، وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم، وأعد لهم عنده المقام الكريم، وخصّهم بالجنة التي «لا لغو فيها ولا تأثيم»[1]. وقد تقدّمت لك في الجهاد يد بيضاء، أسرعت في سواد الحساد،/ ٢٠/ب
وعرفت منك عزمة هي أمضى مما تجنه ضمائر الأغماد، واشتهرت لك مواقف في القتال هي أشهر وأشهى إليك في القلوب من الأعياد[2]، وبك صان الله حمى الإسلام من أن يبتذل، وبعظمتك وعزمك حفظ عن[3] المسلمين نظام هذه الدول، وسيفك أثّر في قلوب الكافرين قروحا لا تندمل، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه في الأيام الأول، فايقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجعا، وكن في مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابعا، وأيّد كلمة التوحيد، فما تجد في تأييدها إلا مطيعاً سامعا.

---

(١) القرآن الكريم، الطور ٢٣.

(٢) «أشهى إلى القلوب من الاعياد» الروض م ٣٢ ب.

(٣) «على المسلمين» الروض م ٣٣ أ.

ولا تخلى[1] الثغور من اهتمام بأمرها، تبتسم له الثغور، واحتفال يبدل ما دجى من ظلماتها بالنور، واجعل أمرها على الأمور مقدّما، وشيّد منها/كل ما غادره الغدر[2] متهدما، فهذه حصون يحصل بها الانتفاع، وهي على العدو[3] داعية افتراق الا[4] اجتماع، وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له[5] مجاورا، والعدوّ له ملتفتا ناظرا، لا سيّما ثغور الديار المصريّة، فإن العدوّ وصل إليها رابحا، وراح خاسرا، واستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم عاثرا.

٢١/أ

وكذلك الأسطول الذي ترى خيله كالأهلة، وركائبه سائرة[6] بغير سائق مستقلّة، وهو أخو الجيش السليماني، فان ذاك غدت[7] الرياح له حاملة، وهذا تكفلت[8] له المياه السائلة، وإذا لحظها الطرف جارية في البحر

(١) كذا في الاصل بدلا من «ولا تخل».
(٢) «العدو» الروض م ٣٣ أ.
(٣) في الاصل «وداعته افتراق الاجتماع».
(٤) «افتراق لا اجتماع» الروض م ٣٣.
(٥) «اليه» النويري ٧.
(٦) «سابقة» الروض م ٣ أ.
(٧) «غدت له الرياض» النويري ٧.
(٨) «بحمله» الروض م ٣٣ أ.

كانت كالأعلام، وإذا شبهها أحد قال: هذه ليال تقلع بالأيام.

وقد سنّى الله لك من السعادة كل طلب[1]، وأتاك من أصالة الرأي الذي يزيل[2] من العتب كل معتب،/ وبسط ـ بعد القبض ـ عنك الأمل، ونشّط بالسّعادة ما كان من كسل، وهداك إلى مناهج الحق، وما زلت مهتديا إليها، وألزمك[3] المراشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها، والله يمدّك بأسباب نصره، ويوزعك شكر نعمه، فإن النّعمة[4] تستتمّ[5] بشكره[6].

٢١/ب

وركب السّلطان، وشقّ المدينة، وقد زيّنت، وحمل التقليد الأمير جمال الدين النجيبي، والصّاحب بهاء الدّين، في بعض الطريق.

---

(١) «مطلب» الروض م ٣٣ ب.
(٢) «يريك المغيب» الروض م ٣٣ ب.
(٣) «الهمك» النويري ٧.
(٤) «النعم» النويري ٧.
(٥) «تستثمر» الروض م ٣٣ ب.
(٦) «بمنه وكرمه» النويري ٧.



ذكر تجهيز الخليفة المذكور لفتح بغداد

لمّا انعقد رأي السلطان والأمراء على تجهيز الخليفة المذكور، عملت له خيمتان بدهاليز، ووسمت بنعوته، واستخدمت له الأجناد، وأمرت له أمراء، وهم سابق الدّين بوزبا، أتابك العسكر، بألف فارس، / والطّواشي ٢٢/أ بهاء الدّين صندل الشّرابي، بخمسمئة فارس، والأمير فتح الدّين سليمان، أمير[1] جاندار، بمئتي فارس، والأمير ناصر الدّين بن صيرم، الخزندار، بمئتي فارس، والشريف نجم الدّين، استاد الدار، بخمسمئة فارس، والأمير سيف الدّين بلبان الشمسي، بخمسمئة فارس، وكذلك جماعة من العربان، وأنفقت[2] فيهم الأموال، وأمروا بالطبلخانات[3]،

(١) جاندار : حامل السلاح، ومن أعماله الاستئذان للأمراء للدخول على السلطان، ويطوف بالزفة حول السلطان في سفره، وهو المسؤول عن الزردخاناه، صبح ٤/ ١٩ .

(٢) في الاصل ونفقت .

(٣) الطبلخاناه : معناه كما ذكره القلقشندي بيت الطبل، ويشتمل على طبول متعددة، معها أبواق وتوابعها وآلات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، =

واشترى برسم السّلاح والبقج وغير ذلك مئة مملوك، وأعطى كل مملوك ثلاثة أرؤس خيل وجمل واحد لعدته، وجهّز معه كتّابَ انشاء وحكماءَ، ومؤذنين.

ولما كان يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان سنة تسع وخمسين وستمئة، برز السلطان والخليفة، وأقاما ظاهر البلد حتى عيدا، وأكلا طعام العيد، كل في خيمته، وحضر الخليفة في هذه المنزلة إلى خيمة/ السلطان، وألبسه سراويل[1] الفتوة، بحضور الفتيان، وهي عادة ٢٢/ب

= تدقّ كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب. ويحكم عليها أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم، يقف عليها عند ضربها في كل ليلة، ويتولى أمرها في السفر، ولها مهتار متسلّم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه. وله رجال تحت يده ما بين بندار، وهو الذي يضرب على الطبل، ومنفّر وهو الذي يضرب بالبوق، وكوسيّ وهو الذي يضرب بالصّنوج النحاسي بعضها على بعض، وغير ذلك من الصّنّاع. صبح ٤/ ٨، ١٣، ١٥.

(١) الفتوة لها شروط وآداب جارية، وينسب أمر الفتوة إلى الأمام علي رضي الله عنه، وقد تطوّرت إلى أن أصبحت في زمن المماليك تتخذ شكلا خاصا، فالمريد إذا أريد إلباسه اجتمع من كبار من سبق أن ألبسوا الفتوة جمع كبير، فيُلبس الجمع المريد ثياباً، ثم يؤتى بماء في كوز أو نحوه، ويخلط به ملح، ويقوم كل من الجمع فيشرب، وينتسب إلى الكبير الذي ألبسه صبح ١٢/ ٢٧٤ المقريزي، الذهب المنبوك ٧٧.

بني العبـــاس. ورحـلا يوم السبت السـادس شوال متوجهين إلى الشام فلما وصلا إلى دمشق نزل السلطان بقلعتهـــا، والخليفـــة بالـتّربـة النّاصريّة، بجبل الصّالحيّة. وأنفق[1] في عسكر الخليفة نفقة ثانية، وجهّز معه خزانة، وجهّز سيف الدّين بلبان الرّشيدي، وسنقر الرّومي، وأمـرهم بالمسـير إلى الفـرات، وأن يكونوا[2] متأهّبين لطلب الخليفة لهم إلى العراق.

وودّع السلطان الخليفـة، فجدّ في المسير، ووصلت كتبـه بأنـه أخذ عانه[3] والحديثة[4]، وعـاد السلطان إلى مصر. وتوجّه الخليفة على رسله، فجرّد إليه التّتار جماعة قتلوه، وهزموا جيشه، ولم يصل منه إلى القليل.

(١) في الاصل «ونفق».

(٢) هكذا بدلا من «وأن يكونا».

(٣) أو «عانا» مدينة مشهورة بين الرقّة وهيت من أعمال الجزيرة. ياقوت ٦/١٠٢.

(٤) لعل المقصود حديثه الفرات، وتعرف بحديثه النورة، وهي بلدة على بعد مراحل من الانبار. ياقوت ٣/ ٢٣٠.

قال الصاحب محي الدين: قال لي السلطان: «الذي أنفقته/ على تجهيز الخليفة، والملوك المواصلة، ألف ألف دينار وستون ألف دينار». أقول: ما رأيت أعجب من هذا الرأي، وأعجب منه موافقة ذو[1] الرأي والمشور[2] عليه، وقوم قد استولوا على البلاد، بكثرة عددهم، واستعداد عددهم، وقوة جأشهم، وكثرة جيشهم، كيف يسير إليهم هذه الشرذمة القليلة، المتحقق أنها لا تفي بألف منهم! وإنما هي أموال ضيعت، وأرواح للحياة ودّعت، ولو توجّه العسكر المصري بكماله، والشامي بعربه ورجاله، لكان فيه أعظم تغرير، وإنما هي المقادير، والسلام[3].

٢٣/أ

(١) لعلها «ذوى» وسقطت الياء.

(٢) لعلها «المشورة» وسقطت الهاء.

(٣) لعل هذا الرأي من بين الأراء التي منعت شافع من اختصار سيرة الملك الظاهر في حياته وحياة مؤلفها، إذ لم يكن بامكانه أن يبوح بمثل ذلك كتابة (راجع ما سبق ٤ ب).



ذكر ما اتفق في سنة هذه السفرة وهي سنة تسع وخمسين وستمئة

منها قضية البرلي، وعصيانه بحلب، واستنابة الأمير/ علاء الدين البندقدار بحلب المذكورة، ووصوله إلى حماة، وعودة، وقصد البرلي سنجار، وقتل التّتار له. ٢٣/ب

ومنها وصول ملوك الموصل، وهم الملك الصالح ركن الدّين وأخوه، بعده، الملك المجاهد. وإنفاذ السلطان الإفراج عن الملك المظفر الذي كان قد اعتقلته الأمراء العزيزية. وتجهيز هؤلاء الملوك بعد سلطنتهم، وإمدادهم بالجنود والأموال، وعود الملك الصالح، والمجاهد، هاربين من التّتار، ومحاصرة أخيهما بالموصل.

ومنها حضور المنصور، صاحب حماة، والأشرف، صاحب حمص، إلى السلطان بدمشق، وسلطنتهما، وعودهما، وزيادة

المنصور تلّ[1] باشر، والأشرف بلاد الاسماعيلية، على ما كان بأيديهما.

وفي هذه السفرة حصلت المهادنة بين السلطان/ وبين الفرنج على القلاع، والمدن الساحلية، كعكّا، ويافا، وبيروت وغير ذلك، وكتبت الهدن لهم على العادة في الأيام الناصرية[2] ابن العزيز. وكان قد تقرر تسليم الأسارى، الذي[3] في بلاد المسلمين، فجهزوا إلى نابلس، إلى أن يحضر الفرنج ما تقرر عليهم من الأموال، فطاولوا بها، ولم يحضروها، فرسم السلطان بإعادة الأسرى إلى دمشق، واستعملهم في العمائر، وسيّر الفرنج يطلبون زرعين[4]، بحكم أنها لهم، ومن بلادهم، فجاوبهم السلطان بأنكم قد تعوّضتم عنها في الأيام الناصرية من مرج[5] عيون.

١٢٤/أ

---

(١) قلعة حصينة في شمالي حلب، وكورة واسعة تبعد عن حلب مسافة يومين. ياقوت ٢/ ٤٠٢.

(٢) هكذا في الاصل، والمقصود أيام الناصر بن العزيز.

(٣) هكذا في الاصل، بدلا من «الذين».

(٤) اسم إحدى القرى في تلك المنطقة. (٥) في سواحل سوريا. ياقوت ٨/ ١٦.

ومنها النّظر في أحوال العربان، والأحسان إليهم، وإلــزامهم بخفــر البــلاد الشّــاميــة. واستنابة الأمير علاء الدّين طيبرس الوزيري بدمشق وما معها/ .

٢٤/ ب

ساق الصــاحب محي الــدّين هنــا حكاية، عزاها لتاريخ ابن الأثير عندما عدّد من كان في خدمة السلطان من الملوك وأولاد الملوك وهي:

قال: «ذكــر ابن الأثــير أن صلاح الــدّين يوسف بن أيوب قصد الركوب يوما، فعضده بعض بني السّلجوقية، وأصلح ثيابه إنسان من بيت أتابك. فقال: ما بقيت تبالي بالموت يا ابن أيوب، سلجوقي يعضّدك، وأتابكى يصلح ثيابك[1]».

ومنهــا تجهيــز الأمير جمال الدّين المحمّدي للأغــارة على بلاد الفــرنــج الذين لم يهادنوا، والإغــارة على العــرب الــزبيديين عندما بلغه عبثهم، وفسادهم، وإعانتهم للفرنج.

---

(١) ابن الاثير ١٢، ٣٣، الروض م ٣٨ ب.

ولّما تقررت هذه الأحوال عاد السلطان إلى الـديار المصريّة في تاسع ذي الحجة سنة تسع وخمسين وستمئة.

ذكر أخذ الشوبك[1]

٢٥/أ

كان السلطان قد جهّز الأمير بدر الدّين بيليك الأيدمري، ومعه جماعة من العسكر، وأخفى أمرها. وصلها الامير المذكور واجتهد، فسلّمت في صفر سنة ستين وستمئة. وتولّى النيابة بها سيف الـدّين المختصى، فحضر عربانها إلى باب السّلطان، وأحسن إليهم، وأعادهم.

ذكر ما اتفق للسلطان مع صاحب الكرك الملك المغيث

لّما كثرت الفتن من المذكور، والإستعانة بالشهرزوريّة[2] على الفساد، وكثر ذلك،

(١) قلعة حصينة في أطراف الشام، بين عمان وأيلة، قرب الكرك. ياقوت ٧/ ٣٠٥.

(٢) طائفة من الأكراد يذكر المقريزي أنهم فرّوا من عسكر هولاكو في عام =

سيّر السّلطان للأمير شجاع الدّين طغريل الشبلى، وأردفه بالأمير جمال الدّين المحمّدي، لكفّ ضرر الشهرزوريّة، ومضايقة الكرك، فقلق المغيث، وراسل، وتشفع بالخليفة، ودخل تحت الطّاعة، فكفّ عنه السّلطان، وكان ولده الملك العزيز بمصر، قد أحضره الملك/ المظفر قطز عندما وجده بدمشق ٢٥/ب المحروسة، وقد حضر من هولاكو، فأطلقه السّلطان، وأخلع عليه، وسيّر لابيه شعار الملك من الصنجق والتقليد بسلطنته.

وفي هذه السّنة، وهي سنة ستين وستمئة، سلطن الملك السّعيد محمد بركه قان[1]، ولده، وخلف له العسكر بعد عرضه، وكتب بذلك إلى البلاد.

= ٦٥٦هـ، وقدموا دمشق، وعدّتهم نحو ٣,٠٠٠، ومعهم أولادهم ونساؤهم، فسرّ بهم الملك الناصر، وضمّهم إليه، ليتقوّى بهم، فزاد عنتهم، وكثر طلبهم، وخافهم، ومع أنه أخذ يداريهم، إلا أن هذا لم يزدهم إلا تمردا عليه، ثم تركوه إلى الملك المغيث، صاحب الكرك، فسرّ بهم، ورجا أن يأخذ دمشق بمساعدتهم. السلوك ١/ ١/ ٤١٢.

(١) ابن الظاهر بيبرس.

وفي نصف رجب منها وصل البغادده، ومقدّمهم شمس الدّين سلار، فأحسن إليهم، وأمرّ مقدمهم المذكور، وأفرج عن سيف الدين قليج البغدادي، الذي كان قد اعتقله، لما بلغه عنه، وأعاده إلى الإمرة.

وفيها عاد سيف الدّين كرزي، وأصيل الدّين، اللّذان كانا جهزا إلى الانبرور[1] بهديّة، منها: الزّرافه، وجماعة من التتر الأسرى، لينظر أشكالهم، فتعجّب الإنبرور من الزّرافة غاية العجب، وكرّر/ كتاب السلطان غير ما مرّة، وسيرّ مع الرّسل رسلا بهديّة تناسبه.

٢٦/أ

وفيها وصل الأمير شرف الدّين الجاكي، والشريف عماد الدّين العباسي، اللّذان كانا جُهزا إلى الروم، وصحبتهما رسل عزّ الدّين كيكاوس، صاحب الرّوم، وعلى يدهما نسخة يمين حلف عليها السلطان، فأحسن إلى

(١) صورة من صيغ «الامبراطور».

رسله، وسمع مشافهتهم وقرأ كتبهم المتضمّنة الـدّخـول في الطاعة، وامتثال المراسم، وأن نصف بلاد الروم للسّلطان، فأقطع فيها بمناشيره[1].

أقـول: إنه لم يتم شيء من ذلك، بل هي غرامات، من خلع ونفقات[2].

وفيهـا، ورد الأمـير عماد الـدّين بن الملك المـظفـر، صاحب صهيـون، فأحسن إليـه، وأقطعه بالشام ثلاثين طواشيا[3]، وبالروم مئة طواشيا[4].

وفـيهـــا، سيّر المنصـــور، صاحب حماه، قصادا، وصلوا إليه من التّتار بفرمان يستميلونه ٢٦/ب

---

(١) مفرد مناشير منشور، ويذكر القلقشندي أن كتّاب الانشاء يتفقون في دولة المماليك على أن وثيقة الإقطاع سواء كانت لأمير أو جندي أو لأحد الأعراب أو التركمان أو غيرهم تسمى منشورا. صبح ١٣/ ١٥٧.

(٢) هذه من بين الملاحظات المفيدة التي يبديها شافع مبثوثة في هذا المختصر، وأهميتها كبرى في تقرير مدى الاعتماد على «الروض الزاهر»، وتبين الاجزاء التي يخالف فيها شافع محي الدّين وقد تثير التساؤل عن أسباب ايرادها، رغم عدم أهميتها في أول وهلة.

(٣) فارسا. الروض ٢٦ أ في الاصل طوليشا.

(٤) كذا في الروض ٢٦ أ في الاصل طوليشا وهكذا بالنصب.

به، فاعتقلوا، ورأى له ذلك.

وفيها ورد كتاب الأمير عزّ الدين الأفرم، الذي كان جُهّز إلى الصعيد، بسبب العربان، وتعدّيهم في قتل سيف الدّين الحواش، والي قوص، يذكر فيه أنه استأصلهم، وبدّد شملهم، ونهب أموالهم.

وفيها عاد فارس الدين أقوش المسعودي، الذي كان قد توجّه إلى الأشكري[1]، وصحبته الرشيد الكحّال البترك، حسبما سأله من إنفاذ بترك، وعاد الرشيد المذكور بعد أن بارك فيه، ورتب الأساقفه، وحين حضر البترك المذكور حمل ما حصل له من الملك المذكور وغيره من المصاغ والذهب والهدايا النفيسة، للسلطان، فرده عليه، وقال: «أنت أولى به».

قال: وحكى أقوش المذكور، أن الأشكري كان قد فتح القسطنطينية/ عند وصوله، فأركبه ٢٧/أ

(١) تحريف للاسم «لسكريس» اسم حاكم شمال غربي آسيا الصغرى في فترة من الفترات، والمؤلف هنا يطلقه على ميخائيل باليو لوقس الثامن امبراطور بيزنطا في زمن بيبرس. راجع مفضل ١/ ٤٥٦ ـ حاشية ٢.

معه، ليفرّجه بها، فمرّ على مسجد جامع بها، وقال الأشكري لفارس الدّين: «هذا المسجد الجامع قد أبقيته للمسلمين، إكراما للسلطان، واستبقاءً لودّه» فأعجب السلطان ذلك، واحتفل بتجهز الحصر العباداني، والقناديل المذهّبة، والسّجّادات، وأنواع الطّيب، إلى المسجد الجامع المذكور.

وذكر ابن حمدون في تذكرته أنّ الصّلح في سنة ستّ وتسعين للهجرة وقع على بناء هذا المسجد. وقيل إنّ بانيه سليمان بن عبدالملك، في أيّام أخيه الوليد، وقيل غير ذلك.

ذكر الاغارة على أنطاكية

كان السّلطان قد جرّد جماعة من العساكر، صحبة الأمير شمس الدّين سنقر الرّومي إليها، فأغاروا ونهبوا وحرقوا/ وأسروا، ٢٧/ب وحضروا إلى القاهرة يوم الخميس تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ستين وستمئة،

ومعهم الأسرى، وهم مئتان وخمسون أسيرا.

ذكر وصول البرلي إلى الديار المصرية

كان وصوله إليها طائعا في ذي الحجة سنة ستين وستمئة، فأقبل عليه السّلطان، وأمّره بستين فارسا، وكانت البيرة[1] بيده، فنزل عنها للسّلطان، ثم تغيّر عليه، وأمسكه في رجب سنة إحدى وستين وستمئة[2].

ذكر إمساك الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري

كان المذكور نائباً بالشّام، وبلغ السّلطان عنه أمور اقتضت إمساكه، فأمسك خارج دمشق، وأحضر/ رابع ذي القعدة سنة ستين، واستنيب الأمير علاء الدّين الحاج الركني.

٢٨/أ

---

(١) إحدى بلدان الثغور المهمّة، التي قاومت التتار، وهي قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وبها قلعة حصينة ـ ياقوت ٢/ ٣٣٠.

(٢) كذا في الأصل بدلا من «إحدى».

ذكر توجه الرسل إلى الملك بركه

هذا الملك بركـــه من وراء التّتـــار، وهـــو عدوّهـم، وكان السّلطان يخطب ودّه، ويراسله ويهاديه، ليكون معه على ذلك العدوّ، وكانت جماعـة من أصحـابـه قد أنجـد هلاون بهم، فقفزوا وحضروا إلى الدّيار المصريّة، فأكرمهم السّلطان، وجهّزهم صحبة رسله إلى بلادهـم، بعـد أن حضروا مبـايعـة الخليفـة، وسمعـوا خطبته. وكان تجهيزهـم في المحرّم سنة إحدى وستين وستمئة.

ذكر المبايعة للامام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد، أمير المؤمنين - رضي الله عنه -/ ٢٨/ب

لما كان يوم الخميس ثامن المحرم سنة إحدى وستـين وستمئة، اجتمع الناس بإيوان القلعة الكبـير مع السلطان، وحضر الخليفة المذكور راكبـا إلى باب الإيـوان، وكـان القاضي محي الدّين قد عمل له شجرة نسب، فقرأها، ثم

بايعـه السّلطان والنّاس على الكتاب والسنّة.

ولما كان يوم الجمعـة ثانية خطب مولانا أمير المؤمنـين، بجـامـع القلعة، بحضرة السلطان والأمراء ورسل بركة، خطبة من إنشاء القاضي محي الدين المذكور، وهي:

«الحمـد لله الـذي أقـام لآل العبـاس ركنا وظهيرا، وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا، نحمـده على السراء والضراء، وأستعينـه على شكر ما أسبغه من النعماء، وأستنصر على دفع الأعداء، وأشهد أن لا إله إلا الله،/ وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليـه وعـلى آلـه[1]، نجـوم الاهتـداء، وأئمة الاقتـداء، الأربعـة الخلفـاء، وعـلى العباس عمّـه، وكـاشف غمّـه، أبى السـادة الخلفـاء الـراشـدين، والأئمـة المهـديـين، وعلى بقيّة الصّحابة والتّابعين بإحسان إلى يوم الدّين.

٢٩/أ

أيّهـا الناس: إعلموا أن الإمامة فرض من

---

(١) «وصحبه»: الروض ٣٢ ب.

فروض الإسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنام، ولا يقوم علم الجهاد، إلا باجتماع كلمة العباد، ولا سُبيت الحرم إلا بانتهاك المحارم، ولا سُفكت الدّماء إلا بارتكاب المآثم، فلو شاهدتم أعداء الإسلام، حين دخلوا مدينة[1] السلام، واستباحوا الدماء والأموال، وقتلوا الرّجال[2] والأطفال، وهتكوا حرم الخلافة والحريم، وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم، فأرتفعت/ الأصوات بالبكاء والعويل، وعلت الضجات من هول ذلك اليوم الطويل، فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه! وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه! فشمّروا عن ساق الاجتهاد، في إحياء فروض[3] الجهاد، واتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا وأطيعوا، وأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[4]، فلم يبق معذرة في القعود عن أعداء الدّين والمحاماه عن المسلمين.

٢٩/ب

(١) «دار السلام» : الروض ٣٢ ب .
(٢) «الابطال» : الروض ٣٢ ب .
(٣) «فرض» : الروض ٣٢ ب .
(٤) القرآن الكريم : التغابن ١٦ .

وهذا السّلطان الملك الظّاهر السّيّد الأجل العالم العادل المجاهد المؤيد[1]، ركن الدنيا والدين، قد قام بنصر الإمامة، عند قلّة الأنصار، وشرّد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الدّيار، فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود، والدّولة العبّاسيّة[2] متكاثرة الجنود، فبادروا/ ، عباد الله إلى شكر هذه النّعم، واخلصوا نياتكم تنصروا، وقاتلوا أولياء الشّيطان تظفروا، ولا يروعنّكم ما جرى، فالحرب سجال، والعاقبة للمتّقين، والدّهر يومان، والأجر للمؤمنين.

٣٠/أ

جمع الله على التقوى أمركم، وأعزّ بالايمان نصركم، واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم».

---

(١) بدلا منها «المرابط» الروض ٣٣ أ.

(٢) « بـه » الروض ٣٣ أ.



الخطبة الثانية

«الحمد لله حمداً يقوم بشكر نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، عدّة عند لقائه. وأشهد أن محمّداً سيّد رسله وأنبيائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلق في أرضه وسمائه.

أوصيكم، عباد الله، بتقوى الله، إن أحسن ما وعظ به الانسان كلام الملك الدّيّان/ ٣٠/ب : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، وإن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا[1]﴾.

نفعنا الله واياكم بكتابه، وأجزل لنا ولكم من ثوابه، وغفر لي ولكم وللمسلمين أجمعين».

وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان من

(١) القرآن الكريم : النساء ٥٩ .

السنة المذكورة لبس السلطان سراويل الفتوة للخليفة، بحكم أن السلطان لبسها من المستنصر كما تقدّم[1]، ولم يكن الخليفة لبسها قبل ذلك، وباشر ذلك الأمير فارس الدين اقطاي، الأتابك، بتوكيل السّلطان له في ذلك.

ونسبة هذه الفتوة[2] أن[3] السّلطان للمستنصر[4]، والمستنصر لوالده الظّاهر، والظّاهر لوالده النّاصر، والنّاصر/ لعبد الجبّار، لعلي بن دغيم، لعبدالله بن القبر، لعمر بن الرصاص، لابي بكر بن الجحيش، ابن الساربار، لبقاء بن الطباخ، لنفيس العلوي، لابي القاسم بن أبي حيّان، لمعمر[5] بن البز، لأبي علي الصّوفي، لمهنّا العلوي، للقائد

٣١/أ

---

(١) راجع ما سبق، الورقة ٢٢ ب.

(٢) في الاصل «للفتوة».

(٣) «أنا للمستنصر بالله أمير المؤمنين ولد الامام الظاهر وأبوه لجده الناصر رضوان الله عليهم» الروض ٣٤ أ.

(٤) «لحسين بن الساربار» الروض ٣٤ أ. «الشراب دار»: مفضل ٤٢٧.

(٥) «المعز بن أنس» مفرج ٢٥، ٤١٢. مفضل ٤٢٧.

عيسى، للأمـير وهـران، لرزبه[1] الفارسي، للملكي أبي مكي خيار[2]، لأبي الحسن النجّار، لفضـل الفرقاشي[3] للقائد شبل بن المكرم[4]، لأبي الفضل القرشي، للأمير حسان، لجوشن الفرازي[5]، للأمير هلال النبهاني، لأبي مسلم الخـراسـاني لأبي العز المطيع النقيب، للعوف القبـائي[6]، للحـافظ الكنـدي، لأبي علي النـوا[7]، لسلمان الفـارسي، للإمـام الـطاهر التّقي علي بن أبي طالب».

هذا ملخص ما تضمّنتـه السيره، وكـان الواجب أن يذكر فيها شجرة نسب الخليفة. / ٣١/ب وأقـول: هو الإمام أبو العباس أحمد بن علي الـفتى. والصـورة في حضـوره أنّ التّتـار المخذولين كانوا عزموا على أن يبنوا عليه حائطا

(١) «لروزبه»: الروض ٣٤ أ.
(٢) «للملك أبي كنجيار»: الروض ٣٤ أ.
(٣) «الرقاشي»: مفرج ٢، ٤١٢.
(٤) «شبل أبي المكارم»: مفضل ٤٢٧.
(٥) «الغزارى»: الروض ٣٤ أ.
(٦) «الغساني»: الروض ٣٤ أ، القنابي: الروض م ٥٢ أ.
(٧) «النوبي»: الروض ٣٤ أ.

ببغـداد، وأحضروا البنّـاء لذلك، وأنّ البناء المـذكـور رحمـه، وأخذه وأركبه مع العرب، وحضر به هاربا إلى الدّيار المصرية. ولّما بويع، على ما ذكر، قرب هذا البناء منه قربا زائدا، وبجّل به.

ومـكّن[1] هذا الخليفـة في أول أمـره من الـركـوب والنـزول والدخول إليه، وصار له كاتب درج، وهـو الإمـام شرف الـدّين ابن المقدسي الدّمشقي، وإمام، وصار يكتب عنه، ثم تخيّـل منـه السلطان، وخاف عاقبة أمره، فمنع من الدخول إليه والاجتماع، وصار على بابـه جانـداريـه مدة سنين. ولما ملك حسام الـدين لاجـين، الملقب بالمنصـور/ ، مملوك السلطان الملك المنصور سيف الدّين قلاون، أنزله من القلعة، وأسكنه الكبش، وصار هو وأولاده مبتـذلـين، يركبـون في الأسـواق، ويجـتـمعـون بالعـوامّ، وتهلهلت حرمتهم،

٣٢/أ

(١) المقصود هنا أن بيبرس مكن هذا الخليفة.

وتزوّج هذا الخليفة ببنت الملك النّاصر داود، صاحب الكرك، و[1]تعرف بدار دينار، وسكنت في عدة مواضع، من جملتها موضع بشاطىء الخليج، يعرف بملك الأمير جمال الدّين أقوش المحمدي، وصار يركب اليها، ويشقّ العوامّ، ثم قدرت منيّته فتوفي.

وأفضت نوبة الخلافة لولده[2] الإمام المستكفي بالله أبي الرّبيع سليمان بحكم عهده له بها، ونقل هو وبنو أخيه، إبراهيم والخليل، إلى القلعة، ومنعوا من التّصرّف والاجتماع بالنّاس، إقامة لحرمتهم، وإجلالاً لهم. / ٣٢/ ب

ذكر ما اتفق في سفرته إلى الكرك[3]

كانت هذه السّفرة في شهر بيع الأول سنة إحدى وستين وستمئة. فيها ألزم العايد وجرم

---

(١) ولعلّ هنا جملة ساقطة مؤداها «وأسكنها في دار تعرف».

(٢) كتب حرف «في» فوق اللام في لولده.

(٣) اسم لقلعة حصينة جدا في الشام من نواحي البلقاء، في جبالها بين أيله وبحر القلزم والبيت المقدسي، وهي على سن جبل قائم تحيط به أودية إلّا من جهة الربض. ياقوت ٧/ ٢٤٠.

وثعلبة بدرك البلاد، وقرّر عليها البريد، والعداد[1]، واستخدم عليها ديوانا ومشدّا.

وفيها حضرت أم الملك المغيث، صاحب الكرك، إلى غزّة، في أمر ولدها، واستعطافه عليه.

وفيها وصل الملك الأشرف، صاحب حمص، بعد إستئذانه، وحصل على الإقبال التام، وعاد بعد الاحتفال به.

وفيها حضر الملك المغيث، صاحب الكرك، وأُمسك، وسُيّر إلى القاهرة صحبة جماعة من الأمراء الظاهرية. وتوجّه الأمير بدر الدّين بيسرى، وعزّ الدين أيدمر الظاهري، لتسليمها وترتيب/ عز الدّين أيدمر نائبا بها. ٣٣/ أ

وذكر أن سبب إمساك هذا الملك المغيث ما وقع للسّلطان من الكتب الواردة إليه من التّتار، تقتضي إطماعهم في البلاد، وطلب

---

(١) العداد: الزكاة التي يأخذها الحاكم سنويا على مواشي القبائل العربية والتركمانية. أنظر محيط المحيط وكاترومير ١٠/ ١/ ١٨٩ حاشية ٦٩.

عسكرا ليأخذ الدّيار المصريّة، ووعد هلاون له بإقطاع الشام إلى غزه، وكانت الكتب المذكورة أجـــوبـــة من هلاون[1]. وأحضر الســـلطان المفتيـين[2] من دمشق، واستفتاهم في إمساكه بهذا المقتضى، فأفتوه، وكتب به مكتوب.

وأقـول: قال لي الأمير سيف الدّين بلبان الـرّومي الـدوادار الظاهري: «لمّا حضر هذا الملك المغيث، جعله السّلطان في خركاه[3] في خيمـة، وأنـزل حاشيته حوله، ودخلت على السلطان، فلما وقفت بين يديه وحدّثته، تململ وتأوّه، ويتبرّم[4] من أمر هذا المغيث/ ، وكون ٣٣/ب يمينـه له تمنعـه من إمســاكـه، مع هذا الجرم العظيم، فخرجت من بين يديه، ولم أشاوره،

(١) ورد في الاصل بعد كلمة «هلاون» كلمتي «عن ابتدأت» ولعلها بقية جملة ساقطة.

(٢) كذا في الاصل.

(٣) الخركاه: حجرة من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة، ومغشى بالجوخ أو ما شابهه، تحمل مفككة في السفر، وتوضع في وسط الخيمة في الشتاء، لتحمي من البرد. صبح ٢/ ١٣١.

(٤) كذا في الاصل ولعلها «وتبرم» أو «وأخذ يتبرم».

وطلبت طاش[1] داريه، وخيطت عليه الخركاه، ودخلت عليه الخركاه، وقيدّته، وقيدّت وزيره، وعدت إلى مولانا السلطان فأخبرته بذلك، فلم يجاوبني عنه بإنكار ولا رِضَى». هذه صورة ما حكاه لي سيف الدين ـ رحمه الله ـ .

ذكر ما أوجب فسخ الهدنة المستقرة مع الفرنج

كان السلطان في ابتداء ملكه قد رأى المصلحة في مهادنة الفرنج، حسب سؤالهم، فهادنهم، فلم يقفوا عند شروط الهدنة، واعتمدوا أمورا تقضي بفسخها، منها:

بنار سور على ربض أرسوف[2] ومن شرط الهدنة أن لا يجددوا بناء.

---

(١) طاش دار . أخذ اسمه من الطشت، وهو ما تغسل فيه الأيدي والثياب في الاصل، وصاحب هذه المهنة مسؤول عن لباس سيده وفرشه. صبح ٤/ ١٠.

(٢) أرسوف مدينة على الساحل بين قيسارية ويافا. ياقوت ١/ ١٩٢.

ومنها: / إمساك رسل السلطان المسيرين إلى ٣٤/أ
الروم بجزيرة قبرص.

ومنها: / الأسارى المسلمين[1] الذين من
شرط الهدنة انفاذهم.

ومنها: / منعهم الجلب والميرة عن العساكر
عند توجهها قاصدة للشام، وغير ذلك.

وأول ما اعتمده السلطان الإغارة على
عكّا، في ليلة السبت رابع جماد[2] الآخرة، ولم
يزل حتى أشرف على عكّا، والعساكر ملبسة
مطلبة، وأخذ في النهب والحريق والقتل
والسفك، وحملت الأمراء إلى باب عكّا.
وكانت الفرنج قد حفروا[3] حول تل الفضول
خنادق، فردمها العسكر في الوقت، وهو تلّ
مشرف على البلد، فصعد السلطان عليه،
وكان هناك برج فهدمه، وأخرج من به
بالأمان، وهدم كنسية الناصره، وهي أكبر

(١) كذا في الاصل.
(٢) كذا في الاصل.
(٣) كذا في الاصل.

كنائسهم/ ، وانفصل بعد أن أرعد وأبرق ٣٤/ب
وأخاف، وعاد إلى منزله في الطور[1]، فأمّر
عليها من رأى حسن اجتهاده، وتبيينه في تلك
الغارة.

ورحل إلى بيت المقدس، فزار وتصدق،
ورسم بعمارة ما يحتاج إليه، ورحل إلى الكرك.

أقول: لم يتهيأ للملك الظاهر فتح هذه
عكّا، وأخّرجها ليفرغ[2] عن فتح ما هو أهم
منها. ولمّا أفضت نوبة الملك للسّلطان الملك
المنصور رشيد الدين قلاوون الصالحي في
سنة[3] ثمان وسبعين وستمئة حضر رسل بيوت
عكّا، وسألوا مهادنتهم على حكم هدنة الملك
الظّاهر، فأجيبوا، وكتبتُ أنا هدنتها، ولم تزل
الهدنة مستمرّة إلى سنة تسع وتسعين وستمئة.
ففسخت، وسَبَب ذلك أن إنسانا من المسلمين

(١) قد يكون الطور المقصود الجبل المشرف على نابلس أو الطور الآخر، وهو جبل مطل على طبرية الاردن بينها أربعة فراسخ. ياقوت ٦/ ٦٧ - ٦٨ في الاصل كتبت هكذا «للطور» وصححت من الروض ٥٩ ب.

(٢) كذا في الاصل بدلا من « من ».

(٣) بياض في الاصل أكمل من ابن الفرات والنويري ١٠٦ أ.

أفسـد زوجـة/ بعض أكـابـرهم، وشرب ٣٥/أ
عليها[1]، فبلغ صاحبها وكبسهم، وقتل من المسلمين جماعة خارج البلد وداخلها، وخاف المقـدمون ، فأخـذوا جماعـة من المسلمـين، وألبسـوهم زي الفـرنـج، وشنقوهم، وكتبوا للسلطان الملك المنصـور بغير هذه الصورة، وقالوا إن جماعة من الغُرب الفرنجِ فعلوا ذلك، وأنّـا شنقنـاهم للوقت، حفـظاً للهدنة، فلم يصـغ السلطان الملك المنصـور لمحُـالهم، بل تجهّز، وخرج بنيّة خرابها، والاعمال بالنيات، مخيـما بظاهـر القـاهرة، فاتفق حضور منيته، بمقرّ ملكه، قبل أن يغيب عنه، فتمرّض أياما بدوزنـطاريـه كبديه، ومات ـ رحمه الله ـ بهذه المنزلة، ونقل إلى القلعة مصبّراً، وخالف فيه كل قلب أضحى عليه مصبرا. / ٣٥/ب

وأفضت نوبـة الملك لولده السّلطان الملك الأشـرف خليـل، فلم يقـدم مهـمّا على هذا

---

(١) وردت هنا كلمة «خارج» ولعلها زيادة أوجدتها كلمة «خارج». في السطر اللاحق.

الخطب الجليل، وأسرع لإتمام غرض والده من أخذ الثأر من هؤلاء الكفّار، وجدّ المسير إليها، ونـازلهـا، ولم يزل أو[1] فتحهـا، وبـدأ دولته بمثوبتها، وافتتحها، وهدمها على رؤسهم في جمادى[2] سنة تسع وثمانين وستمئة.

وكتبت له أبياتا، أهنيه بفتحها، وهي:

حكمتْ برفع لوائك الأقدار
فاليك بالنصر العزيـز يشـار

فعلتْ مهابتـك التي أعطيتهـا
بالرعب ما لا تفعـل الأنصـار

لّما نزلت عـلى الفرنـج مطلبـا
دهشـوا لما قـد شـاهدوه وحاروا

سقطت قواهـم إذ أتيت بعسـكر
مـلأ الفيافى والقفـار فحـاروا

أقبلت والأتـراك حولـك أنجمـا
وتمام وجهـك بـدرهـا السـيّار ٣٦/أ

(١) كذا في الاصل بدلا من «حتى».

(٢) بياض في الاصل.

وعليك أبهة تلوح وهيبة
وجلالة وسكينة ووقار
راموا الفرار وقد رأوا ماهالهم
أنّى يكون مع الهلاك فرار
سجدت لديك تقبل الأرض التي
شرفت بوطي جوادك الأسوار
صبحتهم وديارهم معمورة
فغدت ولن يلقى لها آثار
وتراهمُ لما نزلت عليهم
أرواحهم جادت بها الأعمار
غنت سيوفك في الرقاب فأرقصت
أجسادهم فلها الرؤوس نثار
أجريت من دمهم سيولا فجرت
في كل ناحية بها أنهار
ومحت ليالي الكفر بيض قد بدا
منها لعين الناظرين نهار
أضحت منازلهم خرابا كلها
قفراء لم يوجد بها ديار

سألوا ملوكهم إعارة نجدة
أرأيت روحاً للتلاف تعار
فأتتهم من كل جنس عصبة
ملئت برور منهمو وبحار
وردوا لسيفك منهلا مستوبلا
لم يلف عنه لوارد إصدار
وغدوا وكاسات المنون عليهمو
بالمشرفى الاشرفى تدار/ ٣٦/ب
لو سلّموا سلموا ولكن كابروا
فأتت أمور لا تطاق كبار
هل أبصروا حصنا منيعا قبلها
خلاه لم يهتك حماه حصار
لكن إذا نزل القضاء بساحة
عميت به عن رشدها الأبصار
أمسى عظيم القدر من كبرائهم
شلْوا طريحا ماله مقدار
خانوا العهود ومن يخن فجزاؤه
ويل وبيل أمره ودمار

ونقضوا المهادنة التي كانوا بها
في راحة ما شانها اضرار
كان الشهيد نوى المصير[1] اليهم
فقضى عليه الواحد القهار
فخلفته ولنعم أَنت خليفه
في مجده تتحيّر الأفكار
خبيت لفتحك فافتضضت بكارة
منها وكم لك خبيت أبكار
أَيام حصرِهم لديك قصيرة
لِمَ لا وأيام السرور قصار
دارت جيوشك حولها فكأنما
هي معصم وهم عليه سوار
وإذا تكلمها المجانيق اغتدت
من سورها تتجاوب الأحجار
قد دونت هذي الغزاة وسطّرت
وتحدثت بحديثها السمّار ٣٧/أ

(١) لعلّ القصد : «المسير» لاحظ إستعماله لكلمة «مصير» بدلا من «مسير» في الورقة الآتية ٥١/ب .

لا عهد في ماضي السنين بمثلها
ولها بطول بقائه أنظار
بشراك هذا مبدأ النصر الذي
يعلو به للمسلمين منار
هذا فتوح ما سمعنا مثله
كلّا ولا جاءت به الأخبار
ما مثل عكّا في الحصون لأنّها
أم القرى يأتمّها الكفّار
كانت لهم كرسي مملكة إلى
تحصينها في المعضلات يصار
كم قد مضى ملك بغصة فتحها
وبقلبه منها تأجج نار
ماتوا بغيضهم وكم من دونها
عرضت موانع كلها أعذار
حتى أتاها الأشرف الملك الذي
خافت فرنج بأسه وتتار
فشفى صدور المسلمين بفتحها
ولتفتحن بغزوه الأمصار

ولترجعنّ بسيفه وسنانه
للمسلمين معاهد وديار
وليملكنّ الأرض طرّاً عاجلا
شرقا وغربا جيشه المغوار
ملك عطاياه الجسام لمن يروم
على الدوام بفيضها مدرار
سحب العطايا من سماء يمينه
للمعتفين إذا تسحّ غزار/ ٣٧/ ب
أغنى بأنعمهِ الفقير فبيته
بيت الغنى يُهدَى له ويزار
يعطى الألوف وثغره متبسّم
يبدو عليه بمنحها استبشار
ماذا أَقول ووصفه ومديحه
مالا تحيط ببعضه الأشعار
فالله يبقى ملكه ما صفقت
أيدي الغصون وغنت الأطيار

ذكر تسليم الكرك من نواب الملك المغيث

كان وصول السلطان إلى الكرك يوم الخميس ثالث وعشرين جماد الآخر[1]، وحين وصلها أحضرت إليه مفاتيحها، ولم يحتج إلى مضايقتها، وطلع إليها، وصلّى بها الجمعة، ونظر في أحوالها، ورتّب بها ما يجب ترتيبه، فاستناب بها مملوكه القديم عزّ الدين أيدمر، وأنزل من بها من بيوت الملك المغيث، وولده العزيز، ولم يتعرض إلى شيء من أموالهم، وخلع على العزيز المذكور، ونظر في أمر العرب،/ بني مهدي وبني عقبة، ورتب عليهم العداد، وألزمهم بحفظ البلاد، وأقطعهم بمناشير[2]، وعاد إلى الديار المصريّة، فدخل القاهرة سابع عشر رجب، وقد زيّنت له وهيّئت، وحين استقر بالقلعة عم بالخلع والإحسان.

٣٨/أ

(١) كذا في الاصل بدلا من «جمادى الأخرة».

(٢) اصطلح كتاب تلك الفترة على تسمية جميع ما يكتب للاقطاعات الكبير منها والصغير من وثائق بمناشير، مفردها منشور، صبح ١٣/ ١٥٧.



ذكر من أمسكه من الأمراء بعد الحضور من الكرك

الأمراء الممسوكون هم: سيف الدّين بلبّان الرّشيدي، وعزّ الدّين أيبك الدّمياطي، والبرلي.

أما البرلي فقد تقدّم ما اتّفق منه.

أما الرشيدي فإنه عندما وافق الملك المغيث على النزول إلى السلطان، بعد حلفه، سيّر الرشيدي يخوّفه عاقبة ذلك، ويمنعه من الحضور، ويقول له: «أنا أحضر إليك، وأشدّ منك، ونعصى على هذا الرجل». ووقع[1] للسلطان كتبه/ بذلك، إلا أن السّلطان خادعه بأن سيّر إليه قبل الفتح والتسليم مبشرًا بأنّها سلّمت، وفتحت، فأظهر فرحا من غير فرح، وخلع على المبشّر، وفترت همّته، وظنّ أنّ حيلته فاتت، ثم قصد أن يغتال السّلطان، فقصده

٣٨/ب

(١) كذا في الاصل.

وقت صلاة الصّبح، هو والدمياطي والبرلي، في جماعة كبيرة، فردّتهم سعادته، ولم يحصلوا على غرض.

وأما الدّمياطي فإنه أراد أن يقيم في الجيش فتنة، يبلغ بها غرضا، وذلك أنّ الملك العزيز ابن المغيث، ومن معه من الحريم والاتباع، أنزلوا، عند نزوهم من الكرك، بالمنظرة بالوادي، قريب منزلة السّلطان، ومعهم أمواهم، وما أنعم به عليهم السّلطان، فأركب الدّمياطي جماعة من مماليكه متنكّرين، ونهبوا ما كان معهم/ ، قصدا في التشويش، فلم يتّفق ما قصده، وأصبح السّلطان، وتحيّل في الكشف عن هذا الأمر، فظهرت من الدّمياطي، وأحضر بعض القماش من عند مماليكه، ولم يظهر السّلطان في ذلك ما ينفّر إلى أن وصل إلى مصر، وأمسكهم، وأعتقلهم.

٣٩/أ

ثم شرع في تجهيز رسل كانوا وصلوا إليه من الملك بركه، بكتاب يتضمّن إسلامه، وإسلام.

إخـوته الأربع[٢] ويوصي على عزّ الدّين ملك الـرّوم، ويستجيش على هولاكو، وجهز معه رسل، وهم: الشّريف عماد الدّين العباسي، وفارس الدّين المسعودي، بجوابهم، متضمناً للتهنئـة بالإسـلام، وذكـر ما تضمّنـه من الأحاديث النّبوية في فضله.

وجُهّـزت له هديّـة، وختمـة شريفـة، وكـرسيّهـا، وسجّادات، وقناديل، وزرافة، وحمـير وعبي لواتيـه، وأكسيـه، وسيـوف، / ٣٩/ب وقسي، وأوتار حرير، وخيل ولجم، وجراوات بنـدق، ومشـاعـل جفت، وجوار طباخات، وخدام، وهجن، وعمره اعتمر له بها بمكة، ودهن بلسان وأنطاع، ومخد، وكل مستطرف مما هو مختص بالـديـار المصريّـة، من القماش الشرب، والـدبـيـقـي، والـدمـيـاطـي، والسكندري، والخوذ، كل ذلك إعداء له على التّتار، والإستعانة به عليهم.

---

(٢) كذا في الاصل بدلا من «الاربعة».

وكان تجهيزهم في سابع عشر شهر رمضان سنة إحدى وستين وستمئة.

ذكر توجه السلطان إلى الاسكندرية المحروسة

لما عزم السّلطان على التوجّه إلى هذا الثّغر، أمر الصاحب الوزير بهاء الدّين علي بن محمد بأن يتقدّمه إليه بتقرير الأحوال، وكان من الوزراء الكبراء/ الحازمين، المهابين الأمناء، الحسني التدبير فتقدّمه. ٤٠/أ

ولما كان مستهلّ ذي القعدة من سنة إحدى وستين وستمئة، توجّه السلطان، ووصل إلى تروجه[1]، ودخل البرّية، فتصيّد، ثم قصد الثغر، ومرّ في طريقه على الليونة والبعل، وهي جهة تُروى من المطر، ولأهل الثغر بها أعظم رفق، فأمر بالاجتهاد في أمرها، وإحضار ابقار واستجلاب الفلاحين. ثم سار، ووصل فخيم

---

(١) تروجه: قرية بمصر ضمن كورة البحيرة من أعمال الاسكندرية، اشتهرت بزراعة الكمون ياقوت ٢/ ٣٨٤.

بالجـزيـرة رفقـا بأهل الثغر، ومنع الجند من النزول به، ومضايقة أهله.

ثم ركب وقد زين له الثغر، واجتهد فيه، واحتفل بأمره فشقّه، ورجع إلى مخيمه. وكان انسـانـا[1] يقـال له زين الـدين بن البوري، مدرّساعلى مذهبالامام الشافعي، وكان رجلا شريـرا مرافعا اسكندريا/ وحسبك! قد أنهى ٤٠/ب إلى السلطان قبـل سفـره فصولا، تحقّقها بين يديه، مما يعود نفعها على الإسلام وعليه، ولمّا كان سادس ذي القعـدة استحضره السّلطان بالمخيم، بحضور العلماء والدواوين، وألزمه تحقـيـق ما أنهاه، فظهـر أنها مظالم، فأمـر بإشهاره، بمقتضى ما أفتى به العلماء.

ثم صلّى السّلطان بالجـامع، وكان خطيبه ابن أبي الفرج الحاكم، فأخذ يحذّر السلطان في خطبته للظالم، وينهاه، ويذكر ما وعد الله به الملك الجائر، ويقرّعه، والسلطان مطرق مصغ

(١) كذا في الاصل بدلا من «انسان».

فلما انقضت الجمعة أحضر الصاحب بهاء الدين الحاكم المذكور، وأنكر عليه كونه واجه السلطان بمثل ذلك، واتّفق عزله، وتولية القاضي ناصر الدين بن المنير، فخطب في الجمعة الثانية، وزهده للسلطان/ واطراه، فلما انقضت الجمعة، قال السلطان: «هذا الحاكم مرائي، والذي كان قبله غير مرائي». وأمر باعادته[1].

٤١/أ

وهذه الحكاية لم يذكرها الصاحب محي الدين، وهي أحسن ما تطرّز به سيرته.

ثم إن السلطان أفاض الخلع، وأنعم بالدنانير على أمرائه، وجنده، وأكابر دولته، ومن جملة ما أنعم به على الصاحب بهاء الدين خمسمئة دينار عينا، وخلعة نفيسه، فقبلهما في العاجل، ولما كان بعد أيام حضر الصاحب إلى السلطان، وجلس بين يديه، وقال: قد تحصّل من جهة حل لمولانا السلطان خمسمئة دينار،

---

(١) راجع ما سيأتي ورقة ١٢٩/ب و ١٣٠/أ، ففيهما ذكر لهذه الحادثة.

وهـا هي فعلم السلطان أنها التي سيّرهـا له، فقال له: «ياصاحب أنا أعلم ضرورتك، وكبر نفســك، وأن أحــداً لم يخسر عليـك، وقـد سيّرت/ اليك هذه تأخذ بها هديّة لمن وراءك. ٤١/ب
«فقال: ياخوند والله ما يكفيني عليها ألف دينار أخـرى هدية، وفي ذهن مولانا السلطان أنها باقية»، ثم ضرع إليه، وسأله حتى حملت إلى الخزانة.

وهذه الحكاية أيضاً لم يذكرها الصاحب محي الدين.

ثم إن السلطان تواضـع لله وزار الشيـخ القبـاري، ومـزارات الثغـر[1]، وجلس بدار العـدل، وكشف الظلامات، وعاد، فأكّد في أمر الليونة، وأمر العربان بالسباق، فسابقت بين يديه.

وعــاد إلى القلعـة، بعـد أن أحسن، كما

(١) هذا يوحى بأن زيارة الاضرحة تقرب إلى الله، والصحيح أن زيارتها بهذه الصورة بدعة، وما عليه السلف الصالح أن الرحال لا تشد إلا إلى المساجد الثلاثة.

شرح، وعندما استقر عزل ابن المنير بالقاضي برهان الدين البوشي، لما رآه من المصلحة في ذلك.

وكان الواجب على الصاحب محي الدين أن لا يجعل سبب التوجه إلى هذا الثغر التنزه/ ٤٢/أ -كما ذكر- بل كان الواجب أن يجعل سببهم[1] أن هذا الثغر ترده الفرنج، وتصد[2] عنه، وربما حدّث العدو الفرنجي نفسه بقصده، وبه قوم مجاهدون، وقبائل، وغيرهم، فرأى السلطان أن يبلغ الفرنج عنايته به، وعدم غفلته عنه، وأن يشاع وصوله إليه وتنقطع الأطماع، ويأمن أهله من العدو. كذا كان ينبغي.

ذكر ما اتفق في أيامه مما يدل على عدله

حضرت جارية سوداء، وأنهت له أن عند القاضي شمس الدين ابن خلكان صناديق مال

(١) كذا في الاصل والقصد سببه كما يبدو.
(٢) كذا في الاصل ولعلها «وتصدر عنه».

كثير لشجر الدر، فسيّر وراءه، وسأله، فذكر أن المال للوجيه ابن سويد، وحضر ابن سويد، وأعطى أمارات الصناديق، فلم يتعرض إليها.

ذكر شيء من تواضعه ورفقه /

٤٢/ب

كان جماعة من أمرا[١] كسيف الدين قلاوون، وهو الملك المنصور، وحسام الدين بن بركة خان، قد تشوشوا[٢] فنزل وعادهم بالقاهرة. واتفقت وفاة حسام الدين في ذي الحجة سنة اثنين[٣] وستين، فنزل السلطان إلى داره بالحسينية، وجلس إلى أن جهز، ومشى في جنازته، وصلى عليه، وحضر دفنه، واتفق أنه وجد في بعض أزقة القاهرة حمارا عليه فخار، بزقاق مضيق[٤]، فأمر من في خدمته أن يتسللوا فارسا فارسا، حتى لا يؤذى الفخار. وهذا في غاية الحسن.

---

(١) هكذا في الاصل ويبدو أنها «من أمرائه».
(٢) كلمة تستعمل كثيرا في هذه الفترة ويشار بها إلى المرض.
(٣) هكذا في الاصل بدلا من «اثنتين».
(٤) هكذا في الاصل ولعلها «ضيق».

وعمل لحسام الدين بركة خان عزاء بالجامع الصالحي، خارج بابي زويلة فنزل وحضرها، ولم يزل حتى انقضت التلاوة والوعظ.

واتفق عند خروجه وركوبه من باب الجامع حضور جماعة من التّتار/ ، وكانوا قد أنزلوا ٤٣/أ ببيوت هيئت لهم، في ميدان اللوق، وهم كرمون وشبرك ونبتوا، وغيرهم من أكابر المغل، وامراء الثمانات، وحملت إليهم الخلع والإنعامات، فلبسوا وقصدوا القلعة، لأداء الخدمة بها، فصادفوه عند باب زويلة، كما ذكر، وبأعلى الباب رؤوس من قتل بعين جالوت من مقدمي التّتار ككتبغا نويل[1]، وغيرهم، فنظم الصاحب محي الدين في هذا المعنى.

يا مليكا له الحسام المبيد

وكريما له العطاء المفيد

---

(١) هكذا في الاصل، والمعروف أنها «نوين» بالنون، راجع الروض ٣٩ ب.

شاهد النّاس منك ياملك الأرض

أمـوراً لها يلـين الحـديـد

شاهدوا منك إذركبت من الجامع

الصالحي نصرا به يموت الحسود

فرؤوس على الشـرائف قتـلى

ورؤس عـلى الـتراب سـجود

حين وافى التّتار في خلع منك

وكل صنـائـع وعبيـد/ ٤٣/ب

ورأوا منهم رؤسـا على السّـور

بحكـم الرّيـاح أمست تميـد

هذه قد عصت وهـذي أطـاعت

هكـذا هكـذا تكـون السـعود

دمت ترقى لك الحيـاة صعيـدا

كـل يـوم لهـا إليـه صعـود

وقال رحمه الله، وقد أمر بختان هؤلاء التّتار الوافدين وختنوا

يا مالـك الـدنيـا الـذي

أضحـى صـلاحـا للأمـم

يا من محا بالعدل ما
للظلم فينا من ظلم
يا من تساق له التّتار
غنيمة مثل الغنم
فأتوا ببابك كلهم
يأوون منه إلى حرم
أمنوا به مما يخاف
من البلايا والنقم
جعلوا جنابك جنّة
وثرى خيولك مستلم
بسطوا يمينا للهدا
ية طالما خضبت بدم
أعطيتهم ما للمؤلفة
القلوب من القسم/ ٤٤/أ
لكن سعودك أقسمت
لابد توجدهم ألم
بورودهم نار الحد
يد كما تشاء من الضرم

فجعلـــت لمـــا أســـلموا

تطهـــيرهـــم حـــل القســـم

لا زلــت يــا مــلك الــزّمــان

لــك المــلوك مــن الخــدم

وفي هذه السنة اتفق أن بهاء الدين، أمير آخور[1]، ضرب إنسانا، يقال له أمين الدين، أحد الدلالين، بسوق الخيل، فقضى عليه، ووقف طالبوا دمه للسّلطان، فتسحّب أمير آخور المذكور، واستجار بالملك المنصور قلاوون، وهو إذ ذاك أكبر أمراء الدولة، فلم يجره، وشدّد في إحضاره، ليسلّمه لأوليائه، فدخل الأتابك في القضية، وتحدّث مع ورائه، وأعطاهم ديته، فأبرؤوه، والسلطان يأبى إلا السياسة فيه[2]، ثم اجتمع الأمراء، وسألوا حمله على الشرع بعد امتناع/ وتشديد، هذا والمذكور غلامه القديم وتربيته ولزمه. ٤٤/ب

---

(١) آخور: كلمة فارسية بمعنى (المذود)، وأمير آخور هو المتحدث عن اصطبل السلطان وخيوله النجوم ٧/ ١٨٥ وصبح ٤/ ١٨.

(٢) لعل المقصود هنا المحاكمة حسب قانون الترك وهي ما أشار إليه المؤلف بأسه الترك فيما سبق (٩ ب).

وفي هذه السنــة رسم السلطان لقــاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ الشافعي بأن يستنيب في غير مذهبــه، فاستنــاب حنفيــا ومالكيا، ولم يستنب حنبليا حسب ما رسم به.

وفي مستهــلّ سنــة اثنين[1] وستين وستمئة استقبلهــا السلطان بالجلوس في دار العــدل السفلى، وهي تربة بنى المهتار من أمراء المصريين.

واتفق في ذلك اليوم أمور منها:

وقــوف خادم بورقة مختومة فيها أن الشيخ شمس الــدين الحنبلي باغض في الدولة، داع بزوالهــا، عامــل عليهــا، فسيرت القصّــة[2] لشمس الدين، فحلف أن هذا الأمر لم يكن له صحـــة، وأن هذا الخــادم كان يخدم عنـده، فسلك غير الصواب مع أحد أولاده/ فطرده، فاعتمد ذلك، فضرب السلطان الخادم ضربا مؤلما.

٤٥/أ

---

(١) هكذا. (٢) القصة هنا بمعنى ورقة الشكوى أو المظلمة أو الاخبارية.

ومنها أنه رسم بأن ينادي بأن لا تتعمم امرأة ولا تتزيا بغير زي النساء.

وفي يوم عاشـــوراء، جلس أيضـاً في دار الـعـــدل، وجـــرى على العـــادة في العـــدل والانصاف، وادّعى رجل أن له عند السلطان بقية ثمن خيل، فتذكر ذلك، وأمر بإيصاله إليه وزاده.

وادعى إنسان أن إنسانا قتل أخاه، وهو في اعتقال مصر، فسأل السلطان متولّيها، فقال: «هذا كان أخوه قد تخاصم هو وهذا المعتقل، فرفصـه المعتقـل، فاغمى عليـه، ثم قام، وتصرف ثمانية عشر يوما، ثم مرض بعد ذلك، ومات» فقال له السلطان «اثبت أن أخاك مات من هذه الرفصة». فقال: «لا أقدر على ذلك» فأطلق سراح المعتقل.

وحضر[1] للطعـام، فأكـل الســلطان/ ٤٥/ب والامراء، والتفت للامراء، وقال: نحن بدار

(١) لعلها «وحضر الطعام».

عدل، وهذا الطعام الحاضر لكل فيه حق، وقد انفردنا به، فما تقول في ذلك يا قاضي القضاة تاج الدين؟ «فقال: بك تستخلص الحقوق».

«واستحسن من السلطان هذا الكيس، وهذه المداعبة».

وفي هذه السنة خطب للسلطان بمكة ـ شرّفها الله ـ وسلّم مفتاح البيت للصدر جمال الدين بن الموصلي الموقع الذي كان جهز ليكون نائبا بها.

وفيها فوضت التقدمة على الجيش بحماه للطواشي شجاع الدين مرشد الحموي، وخلع عليه، وكُتب له تقليد لقدم هجرته، وشغل الملك المنصور ولد استاذه بما هو فيه من التمتع.

ذكر المدرسة التي أنشأها بالقاهرة المحروسة / ٤٦/أ

كان من جملة قاعات القصر قاعة يقال لها قاعة السدرة، ولما عزم السلطان على بناء

المدرسة ابتاعها ممن كان موجودا من ذرية المعزّ أبي تميم[1] منشىء القاهرة، من صلب ماله، وعملت مدرسة حسنة الوضع. ولّما كان يوم الأحد الخامس من صفر جلس بها المدرّسون وهم الشيخ تقي الدين بن رزين الشافعي، والصدر مجد الدين بن العديم الحنفي، والشيخ كمال الدين المحلى مقريا، والشيخ شرف الدين الدمياطي محدثا، ومُدّ بها سماط هائل، وأفيضت الخلع على المدرسين وأرباب الوظائف، وأنشد الشعراء، وهم الأديب سراج الدين عمر الوراق، والأديب جمال الدين أبو الحسين الجزار، وجمال الدين يوسف ابن الخشاب.

فمن أبيات الوراق: / ٤٦/ب

مليك له في العلم حبّ وأهله
فللّه حبّ ليس فيه ملام

---

(١) بياض في الاصل بمقدار كلمة لعلها «الفاطمي».

فشيّدها للعلم مدرسة غدا
عراق اليها شيّق وشآم
ولا تذكرن يوما نظاميّة لها
فليس يضاهي ذا النّظام نظام
ولا تذكرن ملكا وبيبرس مالكا
فكل مليك في يديه غلام
ولما تناهت زعزعت كل بيعة
متى لاح صبح[1] فاستقر ظلام
ومذ برزت كالروض في الحسن
أنبأت بأن يديه في النوال[2] غمام
ألم تري محرابا كأن أزاهرا
تفتّح عنهنّ الغداة كمام
تذكّرنا من جنة الخلد زخرفا
فيهرع مأموم له وإمام

ومن أبيات ابن الخشاب :

قصد الملوك حماك والخلفاء
فأفخر فإن محلك الجوزاء

(١) قد تكون «ما استقر». (٢) في الاصل «النول».

أنت الذي أمراؤه بين الـورى[1]

مثـل الملـوك وجنـده أمـراء

ملـك تزينـت الممالكِ[2] باسـمه

وتجمّلـت بمديحـه الفصحـاء/ ٤٧/أ

وترفّعـت لعـلاه خـير مـدارس

حلّت بهـا العلمـاء والفضـلاء

تبقى كما يبقى الزمـان وملكـه

بـاق له وبحاسـديـه[3] فنـاء

يجـرى له في حلبـة مـن أجـرهـا

الخيـل[4] سـابقة دعـا وثنـاء

كـم للفرنـج وللتّتـار[5] ببـابـه

رسـل مناهـا العفـو[6] والإعفـاء

وطريقهُ[7] لبلادهـم مـوطـوءة

وطـريقهـم لبـلاده عـذراء

---

(١) في الاصل «الوى» .

(٢) في الاصل «المماليك» والتصحيح من الروض ٤٢ ب .

(٣) كذا في الاصل «ولحاسديه» الروض ٤٣ أ .

(٤) في الاصل «الخيلان» .

(٥) في الاصل «للتتـا» .

(٦) الاصل «للعفو» .

(٧) في الاصل «طريقهم» .

دامت لـه الدنيـا ودام مخلـدا
ما أقبـل الإصبـاح والإمسـاء

ومن أبيات الأديب أبو الحسين الجزّار:

ألا هكذا يبنى المدارس من بنى
ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا
لقد ظهرت للظّاهر الملك نعمـة
بها اليوم في الدارين قد بلغ المنى
تجمّع فيها كل حسن مفرق
فراقت قلوبا للأنام وأعينـا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسـه
النّفيسة منها في سرور وفي هنا/ ٤٧/ب
وما هي الا جنة الخلد أزلفت
له في غد فاختار تعجيلها هنا

ولما بلغ السلطان أمر هؤلاء الشعراء ارسم لهم بتشاريف فشرفوا.

وفي هذه السنة وصلت رسل ملك الغرب بكتـاب وهـديـة، فلما فض الكتاب وجد فيه

تقصيرا في المخاطبة، فلم يقبل الهدية، ورد الرسول وهديته وكتابه إلى الغرب.

وفيها توجه إلى الغربية ودمياط، وتصيد «في» المنتزه، ونظر في أمر البلاد، وتسامح[1] بما على رزق الخطابات والمساجد من العشر. وعزل ابن الهمام، والي الغربية، لكثرة الشكاوى فيه، وشنق كاتب الناظر، بأمور بدت منه، توجب ذلك.

وفيها جاء الخبر إلى الأمير عزالدين الحلي الصالحي/ ، نائبه، بموت ولده الأكبر نور الدين، فركب إليه وعزاه مرارا، ولما حضر الحلي لم يقدم شيئا على طلوع القرافة بقبر ولده. وحضرت الشعراء، على اختلاف طبقاتهم، ورثوه، وكان من جملتهم إنسان يقال له الزين كناكب، وكان في الشعر دون طبقة من حضر، فقام آخر القوم، وأنشد خببا:

٤٨/أ

(١) في الاصل «ومسامح».

سافرت وجئت على الأثـــر
فوجدت الدار بلا قمـــر

فلما سمعــه الحـــلى صرخ، وبكى بكـــاء شديـدا، وعدم الثبوت، ولم يتحرك لمن أنشد قبله على علو قدرهم في الشعــر، وخلع عليه دونهم، هو ومن حضر من الاكابر، فاستغنى بعد فقر مدقع. وخرج بقية الشعراء بلا شيء، وما ذلك إلا أنه نطق عن ما في نفسه، فمن جملة هذا الخبب بيت نادر وهو:

فقدت النور وفقد النور يعز على البصر/ ٤٨/ب

ولقب المتوفَّى نور الدين.

وفيها وصل الخبر إلى السلطان، وهو على منية زفتا، بوفاة الملك الأشرف، مظفر الدين بن الملك المنصـور إبراهيم بن الملك المجاهد شيركـوه ابن الامير بدر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي ـ رحمهم الله ـ ولم يكن له ولـد، وكان حينئذ صاحب حمص، فكتب الســلطان إلى الأمـــير جمال الـــدين النجيبي

بتسليمها، وحملت إليه الخلع والذّخائر والانعامات.

وفيها فسح للفرنج في زراعة البلاد بغلالهم وأبقارهم، وهودنوا على ذلك.

وفيها كتب لوزير بغداد، ووزير خلاط[1]، تقليدان، حسبما سألوه، فسير تقليد وزير بغداد إلى الرحبة[2]، ووزير خلاط إلى البيره[3].

وفي هذه السنة سنة اثنين[4] وستين وستمئة/ ٤٩/أ قصر النيل، وارتفع السعر، وبلغ الأردب مئة درهم، وفرق السلطان الصعاليك على الأمراء والجند، والوزير وولده، ورسم بأن يباع من الأهر خمسئة أردب، الويبتان فما دونهما،

---

(١) خلاط أو اخلاط، إحدى مدن أرمينية الكبرى، في أرض مستوية. التقويم ٣٩٥.

(٢) أحد الثغور الإسلامية في ذلك الوقت، وهي بلدة صغيرة ولها قلعة، وتبعد نحو فرسخ من الفرات، وهي من ديار بكر. التقويم ٢٨١.

(٣) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، ولها قلعة حصينة، ولها رستاق واسع، ياقوت ٢/ ٣٣٠.

(٤) هكذا في الاصل.

وأحسن في ذلـك التدبير، وقد كان حصل في الأيام المتقدمة غلاء، فأكل الناس فيه بعضهم بعضـا، في الأيـام المستنصريـة، أحد الخلفاء الفـاطميين بمصر، ومن أعجب ما حكي أن وزيـره نزل ببـاب دار الوزارة، وأن العوام أخـــذوا بغلتـه، وأكلوهـا في الـوقت، وأنهم أمسكوا وشنقوا، فأكل من لم يشنق المشانيق.

وفيها ورد الخبر عليهم في دمشق أن حسام الـدين الجـوكنـدار[1]، أحـد أمرائها، توفّي، وخلف بناتا، وذكر أنه كان قد أوصى لأحد[2] بنـاتـه بخمسمئة دينار، يعمل لها بها سورا، فأفتى القـــاضي تاج الـــدين بن بنت الأعـز الشافعي/ أن لا وصية لوارث، وأفتى القاضي ٤٩/ب صدر الـدين الحنفي أن مذهبـه يجوّز الوصية للوارث، فحمـل الأمر السلطان على مذهب الإمـــام أبي حنيـفـــة، وأحسن إلى البنـــات

(١) جوكان : كلمة فارسية معناها العصى المحنية تضرب بها الكرة وقت اللعب بالصوجان، والجوكندار هو الذي يحملها للسلطان عند اللعب صبح ٥/ ٤٥٨.

(٢) هكذا بدلا من «احدى».

المذكورين[1]، ورفق بهم، وسامحهم بجملة كبيرة.

وفيهـــا خرج السلطان متصيـدا، وراهن جماعـة من أمـرائـه، وافـترقوا حزبين، فكان السلطان في حزب، وسيف الــدين قلاوون الالفى، الملقب بالمنصور، مقدم حزب، فاتفق أن صاد الملك المنصـــور أكثـر، وأشرف على الغلب، وقام برد عظيم أيس معه السلطان من الصيد، ونزل، ووقدت النيران لشيّ ما صاده، فلم يشعر إلا وقد أقبلت غزلان، فنهض إليها، وصـادها، فغلب، والأقدار تقول إن الغلب للملك المنصور/ ، فإنه ملك البلاد بعد الملك الظاهر، وتسلطن، ودامت أيامه، فالغلب إنما كان له حقيقة، وللملك الظاهر مجازا. ولله رد القائل: ٥٠/أ

ما شئتموه فقولوا ما الملك إلا للولو.

---

(١) هكذا بدلا من «المذكورات»..

وهي الاقـدار طالمـا صير[1] غالبا مغلوبا، وطـالبا مطلوبا، ومتأخرا[2] متقدما، ومحكوما عليه متحكما.

وفي هذه السنة قصد هيتوم بن قسطنطين، ملك سيس، البـلاد الحلبية بأمر هولاكو، له ولـركن الـدين، صاحب الروم، وجماعة من التتار، وصلوا إلى عين تاب[3]. وكان السلطان قد بلغه ذلك، فكتب بالاحتراز إلى النواب، والتيقظ، فلما حل ملك سيس بهذه الجهــة، تخطفته الغياره، وقتلت من أصحابه، وأسرت أمـيرا كبـيرا من الأرمن/ بأصحـابـه، فذعـر صاحب سيس ومن معـه، وعـادوا منهزمين، وكـان هولاكو قد سير قاضيه معهم، ليحضر هذا المهم، فشاهد ما هاله.

٥٠/ب

وفيهـا جهز الأمير عز الدين الأفرم، أمير

---

(١) في الأصل «وهي الاقدار كما صير طالبا مغلوبا».

(٢) في الأصل «ومتأخر».

(٣) عين تاب قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية، وهي في زمن ياقوت من أعمال حلب. ياقوت ٦/ ٢٥٣.

جاندار، بحفر خليج الاسكندرية، ورسم له ببناء مسجد هناك، وأن يعمل على بابه رخامة كبيرة، ويكتب عليها ألقاب السلطان، واحتفاله بأمر هذا الخليج.

وفيها أيضاً اجتهد في أمر جزيرة بني نصر، والتحيل على ريها.

وفيها جهز الأمير سيف الدين بلبان الزيني، أمير علم، إلى الشام، لتفقد الحصون، وسد خللها، والنفقة على من بها، وخلع عليه. وكتب على يده تذكرة كبيرة، وفصول يعتمدها، بخط الوزير محي الدين المذكور.

وفيها وصلت/ الكتب من المكاتبين بالعراق ٥١/أ أن هولاكو جهز جاسوسين بفرمانات، لافساد أمراء السلطان كأتابك وغيره، وأنهم توجهوا إلى جهة سيس، فطالع بهما من عادته يطالع بأخبار سيس، ووصلوا إلى عكا، فطالع بأمرهم من بها من المكاتبين، وأنهم توجهوا إلى

دمياط، فكتب السلطان إلى دمياط، فامسكا، واحضرا، فاستكشف منهما الحال، فلم يسعهما الإنكار، وشنقا.

وفيها وصل إنسان من دمشق، كان يقول إنه صاحب خبر السلطان، ويرهب الناس لقطع مصانعتهم، فقطع لسانه.

وفيها وصل كتاب ناظر دمياط يتقرب إليه بسيئات، وهي أنه قال: إن دمياط الأولى كانت/ قد أخربت، وأنها الآن مهجورة، وأن هذه المستجدة بنيت على أرض تجرى في ملك بيت المال، بطوب أسوار دمياط القديمة، واستأذن في تحكير ذلك، وبيع ما يرغب في ابتياعه، فانكر عليه أتم إنكار، وكُتب توقيع بالمسامحة بذلك، وقرىء بجامعها، واحضر الناظر المذكور وصودر، وعُجّل جزاؤه في الدنيا قبل الآخرة. ٥١/ب

وفيها بنى البرج الذي بقارا[1].

(١) قارا اسم قرية كبيرة، على قارعة الطريق، وهي المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق، وكانت آخر حدود حمص. ابن شداد، الملك الظاهر ٢٦٥ ياقوت ٧/ ١١.

وفيها بلغ السلطان عزم صاحب سيس على قصد البلاد، وأنه جمع حشوداً، وألبس جماعة من أصحابه زي التتار، فكتب إلى سائر عساكر الممالك الشامية، بتدارك أمره، ومصيره[1] إلى حسام الدين العين تابى، فلما صاروا إليه أغار بهم على أطراف سيس، ونهب/ ، وأسر، وحرمهم القرار، وأغار على أنطاكية ورجع صاحب سيس عما كان عليه قد عزم، وحصل له رعب شديد.

٥٢/أ

وتوالت الغارات في هذه السنة أيضاً على الفرنج الساحلية، وغيرهم، من سائر الجهات.

وفيها سير السلطان إلى الأمير عزالدين القيمرى المجرد بالساحل، مئتى ألف درهم نقره، لتنفق فيمن معه من العسكر المجرد.

وفي يوم الثلاثاء مستهل رجب من السنة، جلس السلطان بدار العدل، ونهيت إليه أمور

(١) لعلها «ومسيرهم».

تتعلق بالشرع، فأمر الحكام بأن يحكموا فيها، فحكموا، ونفذ حكمهم، وهي عدة قضايا:

منها تظلم الشريف حصن الدين بن ثعلب، من أن الملك المظفر قطز غصبه بستان[1] للبعل.

ومنها تظلم ولد الظهير، قريب السنجاري/، من قريبه: برهان الدين، واحضر للوقت، وأنصف منه. ٥٢/ب

ومنها أنه أنهى إلى السلطان أن وكيل بيت المال باع قطعة أرض بجوار مسجد، على باب مشهد الإمام الحسين بالقاهرة، بستة آلاف درهم، وانه ليس الحائز بينهما إلا زرب. فقال السلطان: تتطاول المدة، ويؤخذ المسجد. وأمر برد المال، وأن تزاد هذه القطعة في المسجد، فردت، وجعل الجميع مسجدا، وكتب عليها ألقاب السلطان.

ومنها أن السلطان استفتى الحكام في سبي

(١) هكذا في الأصل ولعلها «بستان البعل» أو (بستانا للبعل).

عين جالوت وكسبه، وهل لذرية الملك المظفر قطز فيه حق، أم لا، فأفتي في ذلك بالشرع، وحمل عليه.

وفيها وصلت وفود شيراز[1] من الأمراء والجند،/ وجماعة من خفاجة، وعرب الكرك، وعيسى بن مهنا، وأحمد بن حجّي، وشمل الكل إنعامه على ما تقتضيه[2] أحوالهم، من أِمرة وغير ذلك. ٥٣/أ

وفي شعبان من هذه (السنة) خرج السلطان إلى الأهرام متنزها بخواصه وأمرائه ووقف تحت الأهرام، ورمى بالنشاب، فتعداها وارتفاعها أربعمئة ذراع، بذراع العمل، وطلع إلى أعلاها فراش سيف الدين قشتمر العجمي، ونصب بأعلاها خركاه بمفرده، وأنعم عليه السلطان، واستحسن منه ذلك.

وفيها بلغ السلطان أن علم الدين قيصر،

(١) يقول عنها ياقوت أنها بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة فارس، وفي وسطها، بينها وبين نيسابور مئتان وعشرون فرسخا ٥/ ٣٢٠.

(٢) في الأصل «على نقضيه».

والي سرمين، نافر الأمير نور الدين بن مجلي، نائب حلب، ورد مرسومه في أمر اقتضته المصلحة، فسير وأنكر عليه، وعزله، وكان نور الدين المذكور قد عفا عنه/ . ٥٣/ب

وفيها ألزم العساكر بتكملة العدة، وتجديدها، والاستكثار منها، فاجتهدوا فيها غاية الاجتهاد.

وفي رمضان منها رتب المطبخ للفقراء، وفرقت الصدقات على الزوايا، واعتق[1] ـ رحمه الله ـ ثلاثين عبدا اشتريت من مال بيت المال، على عادة من تقدم من الملوك، واعتق[1] جماعة كبيرة من مماليكه.

وفيها أغار ناصر الدين القيمرى، المجرد بالساحل على عثليت[2] وقيسارية[3]، وبلغ

(١) في الأصل «وعتق».

(٢) عثليت اسم حصن بسواحل الشام، ويعرف بالحصن الاحمر ياقوت ٧/ ١٢٢.

(٣) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تعد في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وكانت قديما عظيمة واسعة، ولكنها في زمن ياقوت كانت قرية أقرب منها مدينة ياقوت ٧/ ١٩٥.

فيهم من الكناية[1] في العرض. وكان الفرنج قد تجمعوا في السرّ بيافا، وقصدوا الإغارة على البلاد. فخافوا وتفرقوا، ووصل رسول من عكا يستعفى[2] بمن مثل ذلك.

وفيها تعدى الفرنج، وأسروا جماعة من المسلمين بمواشيهم وأموالهم، فسير ناصر الدين القيمرى/ إليهم: «لأن هذه أيام هدنة، على ما سألتموه، وهذا الاعتماد ناقض لها»، وخوّفهم، فسيروا إليه وزير قيسارية، دهاء منهم، لتسكينه، فأمسك الوزير عنده، وقال: «ما ترجع إلا بما أخذ» فأعيد الجميع.

٥٤/أ

وفيها وردت رسل ملك أشبيلية بالهدايا: من السناقر، والاشكرلاط وغير ذلك، وعلى يديهم الكتب تتضمن طلب المودة والمحبة والوصية بتجاره، والمترددين من جهته، فقبلت هديته، وعوض عنها، ورد جوابه بالملتمس.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها «من النكاية الغرض».

(٢) كذا في الأصل.

وفيهـا حضرت فلوس، وجـدت مدفـونـة بالصعيـد، وعلى كل فلس منها ملك واقف، وفي يده اليمنى ميزان، وفي الأخرى سيف، وفي الوجه الآخر رأس بفرد أذن/ وعين واحدة ٥٤/ب مفتـوحـة وبـه أسـطر باليـونـاني، وعرّبها من يدريهـا، فوجـد المكتـوب ما صورتـه: «أنـا عليـان[1]، الملك، ميزان العدل[2] والانصاف بيميني، وبشـمالي السيف لمن عصى وخـرج عنـه». وفي الـوجه الآخر «هذه أذني مفتوحة للمتـظلم، وعيني لا تنـام عن مصلحة» هذا معنى ما فسر.

وكان الأشكري قد أمسك رسل السلطان المتـوجهـين إلى الملك بركه لما جرى عليه من بركـة، من الإغـارة والأذى، وكـان هذا الأشكـري قد حَلَف للسلطان على التـوادع والتصـافي، وسـير له بذلك نسخة باليوناني، فأحضر السلطان البـطاركـة[3]، والقسـوس،

---

(١) «غليـات»: الروض ٥٢/ب.
(٢) في الاصل «العدال».
(٣) في الأصل «البطراركة».

واستفتاهم فيمن حلف مثل هذه الأيمان، وخالف، فأفتوه بتحريمه، وخروجه من ملته،/ فأخذ خطوطهم بذلك، وسيره إلى الاشكري، وكتب إلى الملك بركة بالوصية، وكف الأذى عنه فأطلق الرسل، وأحسن إليهم.

٥٥/أ

ذكر سلطنة
الملك السعيد بركه قان، رحمه الله تعالى

لما كان ثالث عشر شوال، سنة اثنين[1] وستين وستمئة، ركب السلطان الملك السعيد بشعار الملك، وخلع على سائر الامراء، والمقدمين، وأكابر الدولة، وحمل والده السلطان - رحمه الله - بين يديه الغاشية[2]، مسافة قريبة، وتناقلتها الأمراء، أميرا أميرا، ولم

(١) كذا في الأصل بدلا من «اثنتين».

(٢) الغاشية من شعار السلطنة، وهي سرج من أديم مخروزة بالذهب، يخالها الناظر إليها أنها جميعها مصنوعة من الذهب، تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب، يحملها الركاب دار، رافعا لها على يديه، ينقلها من يده اليمنى إلى اليسرى متابعة، وهي من خواص دولة المماليك.
صبح ٢/ ١٢٧، ٤/ ٧.

يزل إلى باب النصر، من خارج البلد، ودخل فشق القاهره، وقد زينت أتم زينة، وفرشت الأمراء تحت حوافر فرسه الثياب الأطلس، / ٥٥/ب وغير ذلك، وجعل الأمير عز الدين أيدمر الحلي الصالحي، أتابكه[1]، وكان راكبا إلى جانبه، وكتب له تقليد[2] بالسلطنه الوزير محي الدين، جامع سيرة والده، وقرىء بالإيوان الكبير المجاور للساعات والجامع، بحضرة أمراء الحل والعقد، وحكام المسلمين. ونسخته:

«الحمد لله منمّى الغروس، ومبهج النفوس، ومزين سماء المملكة بأحسن الأهله، وأضواء البدور، وأشرق الشموس، الذي شدّ أزر الاسلام بملوك يتعاقبون مصالح[3] الأنام، ويتناوبون بتدبيرهم[4] كتناوب العينين

---

(١) الأتابك مركبة من كلمتين «أتا» بمعنى أب و«بك» بمعنى أمير، وهو عادة لقب لقائد الجيش. ويبدو أن أول من لقب به ناظم الدولة وزير ملك شاه أرسلان، عندما وكل إليه أمر الدولة عام ٤٦٥/ ١٠٧٢ - ٣م صبح ٤/ ١٨، «مصر تحت حكم المماليك الشراكسة»/ ٩١. والمتتبع له في دولة بيبرس يجده أقرب إلى عمل الوزير.

(٢) هكذا بدلا من «تقليدا».

(٣) في الاصل «محالح» الروض: ٥٤ أ. (٤) «تدبيرهم» الروض: ٥٤ أ.

واليدين[1] في مهمات الاجساد، وملمات الاجسام.

نحمده على نعمه التي أيقظت جفن الشكر المتغافي، وأوردت منهل الحمد[2] الصافي، وخولت الآلاء حتى/ تمسكت الآمال منها بالوعد الوفي، وأخذت بالوزن الوافي[3]. ٥٦/أ

ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده، لا شريك له، شهادة عبد كثر الله عدده وعدده، وأحمد أمسه ويومه، ونحمد ـ إن شاء الله ـ غده، ونصلي على سيدنا محمد، الذي أطلع الله به نجم الهدى، وألبس المشركين به أردية الردى، وأوضح به مناهج الدين، وكانت طرائق قددا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاة لا تنقضي أبدا.

---

(١) في الاصل «الثديين» : الروض ٥٤ أ.
(٢) «الفضل» : الروض ٥٤ أ.
(٣) «الصافي» : الروض ٥٤ أ.

وبعـد :

فإنا لمّا الهمنا الله من مصالح الأمم، وخولنا من الحرص على مهمات العباد، الذي قطع به شافـة الكفر، وحسم، وأتى بنا، والشرك قد علم كل أحد اشتعال ناره، فكان علما بنار[1] مضرمـه لا ناراً على علمه[2]، وقدره من دفع الكفـر من جميـع الجوانب، وقمعه[3] لهم من كل[4] جهــة، حتـى رميـنــاهــم بالحـتف[5] الـواصـل،/ والعـذاب الـواصب، فأصبـح الشرك من الإبادة في شرك، والاسلام لا يخشى من فتك، ولا يخاف من درك، فثغور الاسلام عالية المبتنى، نامية المقتنى، جانية ثمار الادّخار من هنـا ومن هنـا، تزاحم بروجها في السماء الـبروج، ويشـاهـدها[6] الأعداء، وقد بنيت

٥٦/ب

---

(١) الروض ٥٤ أ، في الأصل «بناره مضرمه».

(٢) «على علم» : الروض، ٥٤ أ.

(٣) «وقمعهم» : الروض، ٥٤ أ.

(٤) الروض، ١٥٤ أ، وفي الاصل «من جهة».

(٥) الروض، ٥٤ أ وفي الاصل «الحدف».

(٦) «وتشاهد منها الاعداء منها سماء قد منيت» الروض : ٥٤ ب.

وزينت ومـــا لها من فروج. وعســـاكـر الملّة المحمّـديـة في كل طرف من أطـراف المـمالك تحول، وفي كل واد تهيـــم، حتـــى تشـعــــر بالنّصر[1]، ولكنها تفعل ما تقول، قد دوّخت البـلاد، فقتلت[2] الاعـداء، تارة بالإلمـام[3]، وتارة بالأوهام[4] وسلّت سيوفها، فـراعتهم، يقظة، بالقراع، ونوما، بالأحلام، ترى أنّا قد لذّ لنا هذا الأمر التذاذ المستطيب/ وحسن لدينا موقعـه حتى عكفنـا عليـه عكوف المستجيد، ولبينـاه تلبيـة المستجيب، وشغلنـا فيـه جميـع الاوقـــات[5] الحــــواس، وتقسّمت مبـاشرتـه وموافرته[6] سائر الزمن، حتى غدا ذلك أكثر[7] تردّدا إلى النفس من الأنفـــاس، واستنفـدنـا الساعات في امتطاء الضّمّر الشّوس، وادّراع

٥٧/أ

(١) الروض: ٥٤ ب، وفي الاصل «الضر».
(٢) الروض: ٥٤ ب، وفي الاصل «فقلت».
(٣) الروض: ٥٤ ب، وفي الاصل «بالامام».
(٤) الروض: ٥٤ ب، وفي الاصل «بالارمام».
(٥) «والحواس» الروض: ٥٤ ب.
(٦) في الروض: «مؤامرته» ٥٤ ب.
(٧) كذا في الروض وفي الاصل (لكثر).

محكم الـدلاص، التي كأنها ومضان برق، أو شعـاع شموس، وتجديد[1] المرهفات التي قد جفت لحاظهـا الأجفـان، وجـرت فكـالمياه، واضطرمت[2] فكالنيران، وتفويق السهام التي غدت قسيّهـا من إتعـابنا لها ئتن[3]، واعتقال السمهريـة التي تقرع الأعداء سنّها ندما كلما قرعت هي السنّ[4] إلى غير ذلك من كل غارة شعواء، تسيءُ[5] للكفّار الصّباح[6]، وتصدم كالجبـال[7]، وتسـير كالـرّياح، ومنازلات كم استلبت من موجـود، وكم استنجدت[8] من نصر موعـود، وكم مدينة أضحت لها مدنيه، ولكن أخرها الله إلى أجل معدود/ .

٥٧/ ب

وكانت شجرتنا المباركة قد امتدّ منها فرع،

(١) «تجريد» الروض : ٥٤ ب .
(٢) «وضطربت» الروض ٥٤ : ب .
(٣) الروض ٥٤ ب في الاصل «بـان» .
(٤) الروض ٥٤ ب في الاصل «السـنان» .
(٥) الروض ٥٤ ب في الاصل «نوى الكفار» .
(٦) الروض ٥٤ ب ساقطه في الاصل .
(٧) الروض ٥٤ ب في الاصل «وتصدم الجبال وخيل تسير» .
(٨) «استنحزت» الروض ٥٤ ب.

تفرّسنا فيه[1] الزيادة والنّمو، وتوسّمنا منه حسن الجني[2] المرجو، رأينا أنه الهلال الذي أخذ في ترقي منازل السعود إلى الإبدار، وأنه سرّنا الذي صادف مكان الاختيار له حسن الإختيار[3] ، أردنا أن ننصّبه في منصب أحلّنا الله فسيح غرفه، ونشرّفه بما خولنا الله من شرفه ، وأن تكون يدنا ويده تقتطفان من ثمره ، وجندنا وجنده يتحليان بجوهره، وأنا نكون للسلطنة الشريفة السمع والبصر، وللمملكة المعظّمة في التناوب بالاضاءة كالشمس والقمر، وأن تصول الأمة منا ومنه بحدّين ، ويبطشون[4] من أمرنا وأمره بيدين ، وأن نربيه على حسن سياسة[5]، تحمد الأمّة - إن شاء الله - عاقبتها/ عند الكبر، وأن تكون الأخلاق الملوكية منتشئة معه ، ومنتشبة به من الصغر، ٥٨/أ

(١) كذا في الروض ٥٥ أ وفي الاصل (في) .
(٢) كذا في الروض ٥٥ أ وفي الاصل «الجناه» .
(٣) كذا في الروض ٥٥ أ وفي الاصل «الاختيار» .
(٤) كذا في الاصل .
(٥) كذا في الروض ٥٥ أ وفي الاصل «سباسنة» .

وأن يجعل سعي الأمة بتمنّي مثله حميدا، وأن يهب لهم منه سلطانا نصيرا، وملكا سعيدا، وأن يقوي به عضد الدين، ويريش جناح المملكة، وتنجح مطالب الأمة بإيالته، وكيف لا ينجح مطلب يكون فيه بركه.

وخرج أمرنا، لا برح مسعدا ومسعفا، ولا عدمت الامة منه خلفا منيلا ونوءاً مخلفا، بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد[1] بركه قان محمد ـ جعل الله مطلع سعده بالاشراق محفوفا، وأرى الامة من ميامنه[2] ما يدفع للدّهر صرفا، ويحسن للتدبير[3] تصريفا، بولاية العهد الشريف، على قرب البلاد وبعدها، / وغورها ونجدها، وعساكرها وجندها، وقلاعها وثغورها، وبرورها وبحورها، وولاياتها واقطارها، ومدنها وأمصارها، وسهلها وجبلها، ومعطّلها

٥٨/ب

(١) «ناصر الدين» الروض ٥٥ أ.

(٢) كذا في الروض ٥٥ ب، وفي الاصل «ميانة».

(٣) «بالتدبير» الروض ٥٥ ب.

ومعتملهـا، ومـا تحوى أقـطاره الأقـلام، وما ينسب للدولة القاهره من يمن وحجاز ومصر وغرب وسواحل وشام بعد شام، وما يتداخل ذلك من قفار، ومن بيد في سائر هذه الجهات، ومـا يتخللهـا من نيل وملح وعذب وفرات، ومن يسكنها من حقير وجليل، ومن بجبلها[1] من صاحب رغـاء وثغـاء، وصليل وصهيل، وجعلنـا يده فوق[2] ذلـك مبسـوطـة وطـاعته المشروطة، ونواميسه المضبوطة، فلا تدبير ملك كلي ولا جزئي إلا بنـا أو بولـدنـا يعمل، ولا سيف/ ولا رزق إلا بأمرنا، هذا يُسلّ وهذا يسأل، ولا دست سلطنة إلا بأحدنا يتوضح منه الإشراق، ولا غصن قلم في روض أمر ونهي إلا ولـدينا أو لديه تمتد له الأوراق، ولا منبر خطيب إلا باسمينا يميس، ولا وجه درهم ولا دينار إلا بنا يشرق، ويكاد تبرجا لا بهرجا يتطلع من خلال الكيس[3].

٥٩/أ

---

(١) «ومن يحتلها» الروض ٥٥ ب .

(٢) «في ذلك» الروض ٥٥ ب .

(٣) «الكيس» من الروض ٥٥ ب وليست في الاصل .

فيتقلد[1] الولد ما قلدناه من أمور العباد، ويشركنا فيما يباشره من مصالح الثغور والقلاع والبلاد، وسنتعاهد الولد من الوصايا بما سينشأ معه توأما، ويمتزج بلحمه ودمه حتى يكون ذلك إلهاما لا تعلما: وفي الولد، بحمد الله، من نقاء الذهن، وصحة التصور ما تتشكل فيه الوصايا أحسن التشكيل/ ، وتظهر صورة إلا بأنه في صفائه الصقيل، فلذلك استغنينا عن شرحها ها هنا مسرودة، وفيه، وبحمد الله من حسن الخليقة ما نتحقق أنها بشرف الإلهام موجودة، والله لا يعدمنا منه إشفاقا وبرا، ويجعله للامة أبدا سندا وذخرا.

٥٩/ب

ذكر الصورة في ختان ولده المذكور

قد تقدم أمر السلطان إلى سائر الأمراء والعساكر بالاهتمام بالعدد النفيسه، والاستكثار منها، فاهتموا بذلك غاية الاهتمام

(١) «فليتقيد» الروض ٥٦ أ .

ولما أراد ختان ولده المذكور، دارت النقباء على العساكر بأن يبكروا للعرض، وأن يكون ذلك في يوم واحد حتى لا يستعير أحد من أحد شيئا/ ، وبكّروا كما رسم. وجلس السلطان بالمسطبّة المجاورة لباب العدل، وشرع العسكر في الركوب من باب القرافة والمرور على السلطان، قاصدين الدهليز المضروب بميدان العيد، في أحسن زي، وأبهى شعار، بالخيول المسوّمة والجميع لابسين[1] آلات الحرب من الخوذ والجواشن. وانقضى النهار، ولم يتم العرض لكثرة العساكر، مع تتابعهم في السوق، وأصبح الناس على حالهم.

٥٠/ أ

ثم أخذوا في لعب القبق[2] ومن أصاب أعطاه السلطان فرسا ذا قيمة خطيرة، وأحضر السلطان لمشاهدة هذا اليوم العظيم من كان في

---

(١) كذا في الاصل.

(٢) القبق خشبة عالية جدا تنصب في متسع من الارض، بأعلاها دائرة من خشب، يرمى إلى داخلها الرماة سهامهم فتمر منها إلى غرض هناك، قصد بها التمرين على الرمي. ويبدو أن الكلمة تركية. المواغظ ٢/ ١١١.

خدمته من الرسل، كرسل الملك بركه، ووزير يافا، فتعجبوا من ذلك، واستهولوا أمره.

ولما كان عاشر/ ذي القعدة مُدّ السماط ٥٠/ب بالإيوان الكبير المجاور لجامع القلعة، واستكثر فيه من المآكل المتنوعة والحلوى والفواكه. وحضر السلطان وحضر الناس على طبقاتهم، وأكل من أكل، وحمل من حمل.

ثم انتقل السلطان بالأمراء والجند وأولاد الملوك إلى الرحبه، التي لقبّة جلوسه، وقد زينت بالفروش المذهبة، والستور المدبجة، والباش خانات، وحضر ولده السلطان الملك السعيد، ومن رسم أن يختن معه، وهم: ولد الامير حسام الدين بن بركه خان، وولد الملك المجاهد ابن صاحب الموصل، وولد الامير فخر الدين الحمصي، وولد الامير شمس الدين سنقر الرومي، وولد الامير سيف الدين سكز، وجماعة من الأيتام، وكل كساه السلطان على ما يليق به. / وختنوا أولاً فأول، وكل من ٦١/أ

ختن نثر عليه السلطان من عرمة ذهب كان بين يديه،

ولم يَدَع أحدا من الامراء يتكلف شيئا، ورتب لكل من المختونين إقامة من شراب ودجاج ولوازم ذلك. إلى أن برئوا. هذه صورة الحال في ختان ولده.

ولما انقضى هذا الختان شرع السلطان في تدبير أحوال رسل بركه الواصلين صحبة رسله بعد الاكرام والاحترام، وتفهم السلطان من رسله عن أحوال بركه وبلاده ومسافتها ورسومه، فأخبروه بمنزلة منزله، وأن له خركاه[1] تسع خمسمئة فارس، ملبّده، مرصع داخلها باللؤلؤ والجواهر، ووصفوا له حليته وملبوسه، ومضمون كتبه السلام والودّ والمحبة، وقبول الصداقة، وأنه عون له على هولاكو، كما التمسه السلطان منه. ٦١/ب

(١) عن الخركاه راجع ما سبق هامش (٤) الورقة ٣٣ أ.



ذكر توجه السلطان إلى
الاسكندرية مرة أخرى

ولما كان في أواخر سنة اثنين[١] وستين وستمئة، توجه السلطان من جهة تروجه، متصيدا، وتوغل في البرية، ووجد بها ديرا به رهبان، فحين رأوا السلطان بادروا بالنزول إليه، وتقربوا بما أمكنهم، فجبرهم السلطان، ووصّى عليهم، وكانت شرذمة من العرب قد تسحّبت، وعصت بتلك البرية، فحضروا طائعين بين يديه.

ووصل السلطان إلى الكرش متصيدا، وعيّد عيد الأضحى بالشمامية، وأُحضر له منبر من اسكندرية، وخُطب عليه خطبة العيد. ثم توجه إلى الاسكندرية/ ، بعد أن كتب بأن لا تكلف الرعية زينة، ووصلها وصلى بها الجمعة، وزار الصالحين، وعاد وأمر سيف الدين عطاء بن عزاز على عرب برقة، ودركه

٦٢/أ

(١) كذا في الاصل.

البلاد، وألزمه بأخذ الزكاة والعشر من هؤلاء العرب، وحملها لبيت مال المسلمين.

وفيهـا كاتب من بقلعـة خيـبر السلطان، وطلبوا من يحضر لتسليمها فجرد لها الامير أمين الدين موسى بن التركماني بجماعة، وكتب إلى نائب الكرك بامداده، وتوجه ففتحها، وخلع على من بها، وجعل بها ذخائر وغلال وغير ذلك.

واستهلت سنـة ثلاث وستين وستمئـة، فاستقبلهـا بالخـير، ووقـف، في صفـر منهـا، الخـان، الـذي بالقدس الشريف المعروف به الآن/ ، وأشهـد عليـه بامضاء وقفه، ووقف اصـطبلين تحت القلعة على وجوه البر، وورد كتـاب عز الـدين، نائب الكـرك، بترتيب السـماط، بمـدينـة الخليـل، عليـه السـلام الضيافة، وكانت عادة قد نسيت.

٦٢/ب



ذكر أمر البيرة
ومحاصرة التتار لها

هذه القلعة هي آخر بلاد الاسلام، وهي قفل الشام، ومستطلع أخبار التتار، وكانت الأخبار قد وردت إلى السلطان بأن اعداءه الفرنج كتبو إلى التتار بأن ينتهزوا الفرصة في قصد البلاد الاسلامية، بحكم أنها أيام ربيع، وخيول الاسلام مربوطة عليه، والعسكر متفرق في إقطاعاته، وحثّوهم على ذلك/ . ٦٣/أ

وكان السلطان متصيدا بناحية قطيا[1]، فوردت الأخبار عليه بأن التتار قد نازلوا البيرة في جمع كبير، ونصبوا عليه سبعة عشر منجنيقا، وأن أهل البيره في شدة شديدة، وللوقت جرد الأمير بدر الدين بيليك الخزندار، ومعه جماعة من العسكر، وأمره بأن يسوق بحيث يصل إلى البيره في مدة خمسة عشر يوما، وكتب إلى نائب الشام الأمير جمال الدين النجيبي، وإلى

(١) قطيا: قرية بجوار الفرمه تحيط بها الرمال وهي تقع في الطريق إلى مصر من الشام، ياقوت ٧/ ١٣٢ .

صاحب حماه، بالمسير إلى القلعة المذكورة، وأن يجد السير، وأخذ في تجريد العساكر أول[1] فأول، وسار هو في الساقه، فلما وصل إلى بيسان ورد الخبر إليه بأن التتار لما رأوا العساكر متواصلة، مستمرين لاقتحام الفرات إليهم، ولوا/ هاربين، لا يعقل أحد على أحد. ٦٣/ ب

وكان السلطان، حين ورود هذا الخبر، بحمّام المخيم، فلم يهمل حتى يخرج، بل قرىء عليه. وهو عريان، وأمر بالكتابة إلى سائر الممالك بالبشارة.

وكان أثناء الطريق قد وصل إليه قسطلان يافا، وسأل السلطان أن يكون واسطة من الصلح بين السلطان وبين ملوك الفرنج، فقال له:

«ان كان هذا من عندك، أنا ما أقبله، وإن كان من عند ملوك الفرنج فعرفني».

---

(١) كذا في الاصل.

فقـال :

«بل بسؤال ملوك الفرنج» .

«هؤلاء لهم عنـدي ذنـوب كثـيرة، منهـا : كتـابتهم إلى التتـار بقصـد بلادي، ومنهـا : إغـارتهـم، وأسرهـم المسلمـين، ولي ولهم حديث، وقـد بلغني عنك أن أعدائي الفرنج سيروا إليك مواشي كثيرة/ ، وأنتم معي صلح، وهؤلاء أعدائي» . ٦٤/أ

فكشف رأسه، وقال :

«هـذه المـواشي لأقـاربي، بالله يا خوند لا تخجلني معهم، فما سيروهم إلا يحتمـون بي، لعلمهم أني غلام السلطان» .

فتركهم له .

ثم أمـر السلطان من بالبيرة من المجردين تنظيف خندقها . وكتب بتعويض كل ما ذهب منهـا . وسـير إلى أهلهـا الخلع والنفقـات والإنعـامـات، وخلع على الأمراء المجردين، وأحسن إليهم أتم إحسان .

ذكر فتح قيسارية

لما تم أمر البيرة على الصورة المشروحة عرج السلطان قاصدا غابة أرسوف بالتصيد، وأمر الأمراء باتباعه، وتصيد هو وهم، وقصد قيسارية، ونزل وضرب دهليزه، وضرب أمامه/ خيمة كبرى، وأمر أن يعمل داخلها ٦٤/ب خمسة مجانيق في السر، ففرغت في يومين وليلة، بحيث لم يشعر أحد، وكتب إلى سائر البلاد بإحضار المجانيق، وأمر العساكر بأن تلبس، ولم يعلم أحد ما الغرض، وأصبح الصبح، فحملوا على قيسارية، وملكوها عنوة، وتحصن أهلها بقلعتها المسماة بالخضراء، وهي قلعة حصينة إلى الغاية، فنصب عليها السلطان المجانيق، واجتهد فيها، فلما أيس من بها من الحياة، ورأوا عين التلاف، وعلموا أن كل محاصر مأخوذ، تركوها، وهربوا، فتبادر الجيش إليها، ونهبوا ما بها، وتقسم الجيش المدينة والقلعة، فهدمت إلى الأرض، بالطول والعرض.

وهذه القلعة كانت قد فتحت في زمن/ عمر ٦٥/أ
ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في نوبة اليرموك، سنة تسعة[1] عشرة للهجرة. وكان النزول على قيسارية يوم الخميس تاسع جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمئة. وكان فتح قلعتها في سابع عشره.

وفي غضون هدم هذه القلعة، سير السلطان جماعة من أمرائه إلى جهة عثليت، ففتحوا الملّوحة وحيفا، وأخربوهما وأسروا من ظفروا به من أهلها الهاربين إلى البحر، وسيروا إلى السلطان البشارة بذلك، فخلع على البشير، وعاد العسكر إليه، ومعهم الأسرى والرؤوس، وذلك في جمادى الأولى منها.

وركب السلطان جريدة، وقصد عثليت لكشف عوراتها والخلل الذي يمكن أن يتسلط عليها/ منه، فوصل إليها، وضرب هناك ٦٥/ب
دهليزه الحربي الأحمر، وطاف بها، ووجد هناك

---

(١) كذا في الاصل.

جزيـرة، فصلى بها، ثم أمر العسكر بهدم ما حولها من العمائر، وقطع الأشجار والكروم، وكـانت عامـرة آهلة، فجعلهـا للوقت خرابا يبـابـا. وعاد لتكملة خراب قيسارية، وأجل لأخذها أجلا.

ذكر فتح أرسوف[1]

لما فرغ السلطان من أمر قيسارية، على ما شرح، وتم خرابهـا، توجـه إلى أرسـوف، والنـاس لا يشعـرون إلى أين، ونـزل بها في أواخر جمادى الأولى، فدهش الفرنج لنزوله، واستعدوا لدفعه عنها، فنصب عليها المجانيق، وأخـذ في ردم الخنـدق، وحفر السرابات[3]، وصـار الفـرنـج كلما عمـل شيئـا بالخنـدق والسرابـات/ أحـرقوه، ومن جملة ما اتفق أن العسكر اجتهد وردم الخندق أخشابا وأشجارا وأحجارا، فلما شعروا بذلك نقبوا في الاسوار، ٦٦/أ

(١) مدينة على الساحل بين قيسارية ويافا. ياقوت ١/١٩٢.

ورموا بتاتى الزيت، وشحم الخنزير والخرق المسقيـــة، وركبـوا بتلك النقـوب المنـافـخ، فالتهبت النـيران، وتـداركها العسكر بالطفي فلم يقدروا، فلما أعيا أمر طفيها أخذ السلطان في غير ذلك، وأمر العساكر بحفر سرابات من البحر إلى الخندق، ففتحت، وجعل فيها عدة أبـواب، وعمـل الأمـير كرمـون أغا منجنيقا مفـترجـا، يرمى بسبعـة أسهم، وأثر تأثيرا[1] عظيـما، وسـير السلطان إلى دمشق لاحضـار مجانيق أخر، فوصلت إلى أرسوف في ستة أيام، وأقام الحصار على هذه القلعة أربعين يوما ليلا ونهارا/ ، بأنـــواع الحـصـــار. والـــذي عمله ٦٦/ب الحــدادون في هذه المــدة مئة قنطار، ولم يزل الحــال كذلــك، والفرنج ينجدون من البحر بالمــال والــرجال، إلى أن حان وقت فتوحها، فأول ما انشق منهـا البـاشوره، ثم سقطت، وزحف العسكر عليهـا يدا واحـدة. ولما أعيا الفـرنـج الأمـر طلبـوا الأمـان، فلم يؤمّنوا،

(١) في الاصل «ثاثريا».

وتسلقت إليهم الرجال، وأخذت، وأسر من بها، غير من قتل، ونقل جريحا إلى يافا ألف أسير من الإخوة المعتبرين.

من أعجب ما حكي أن شيخا يقال له علي المجنون، ركب وأتى إلى هذا الحصن، عندما طال الشرح صرخ وأغمي عليه، وعاد عند ما أفاق، وأن الباشورة انشقت ذلك الوقت.

وذكر للمذكور كرامات[1]/ ، وكذلك للشيخ علي بن العليم المدفون تحت هذا الحصن، لا يقتضي هذا المختصر ذكرها. ٦٧/أ

وفتح هذا الحصن يوم الخميس حادي عشر رجب من سنة ثلاث وستين وستمئة، المذكورة، وهدمت إلى الأرض، بالطول والعرض.

---

(١) المؤلف متوهم ومفرط في تقديره لهذين الشيخين، وهو بهذا يبخس المجاهدين الحقيقيين حقهم في هذا الفتح، الذي منّ الله به عليهم، وهو بهذا يعكس رأي عصر سادت فيه البدع، وانصرف الناس عما عليه السلف الصالح.

وللوزير محي الدين أبيات، تهنئة بفتحها، وهي:

أرح جوادك أِن النّصر قد جنبا
وأن أجرك عند الله قد حسبا

وقد غلبت على الدنيا فدونكها
كما تسرّك والدنيا لمن غلبا

وأكتب إلى الارض بالبشرى فربك
في السبع السموات بالبشرى بهاكتبا

وثبّت الدين لمّا ثبت مقتدرا
ياخير من ثاب أو ياخير من وثبا/ ٦٧/ب

طلبت ثأر الهدى والدين إذ قعدت
عنه[1] الملوك وما استطاعوا لها طلبا

نصبت للشرك أشراكا تصيّدهم
لم يقدروا رهبا أن يقدروا هربا

قلعتهم بقلاع ظلت تهدمها
أنت الذي تبتغي المسلوب لا السلبا

---

(١) في الاصل «عنـد».

إن أسرعوا نقلة عنها فإنهمُ

حلوا بها كل برج ظـل منقلبـا

تبت يد من غدا كفوا أبا لهب

وتبّ لم يغن مال عنه ما كسبا

إن الفتوحات لما رمت ملبسها

تبتز من بـزّ قيسـارية القشـبا

في كل أرض جيوش قد بعثت بها

حتى لقد أصبحت أنباؤها عجبـا/ ٦٨/أ

ففي الحجـاز لها وقـع وفي حلب

نفع، وكم تركت في خلفها حلبـا

لها السيوف التي كم أقفرت بلـد

لما غـدوت ومنها تقفـر القـربا

أكرم بها عصبـة مثل النجوم سنًى

وكالرجـوم إذا ما اضرموا اللهبا

أخلت من الكفر أوطاناوكم عمرت

من الجيوش بهم ما كان قد خربا

أمطيتها شزبا تزهى السروج بها

لا كلّ مستهجن مستهجن القتبـا

كم قد أذقت شياطين العدو بها
حتى لقد أبصروا من شهبها شهبا
شوس ضوامر مثل الريح سائرة
تكاد اثفارها أن تسبق اللببا/ (١)

[وأمر السلطان بكشف بلاد قيسارية، وعمل متحصلها، فعملت بذلك أوراق، وطلب قاضي دمشق وعدوله ووكيل بيت المال بها، وتقدم بأن يملك الأمراء المجاهدون من البلاد التي فتحها الله عليه ما يأتي ذكره. وكتبت تواقيع كل منهم من غير أن يطلعوا على ذلك، فلما فرغت التواقيع فرقت على أربابها، وكُتبَ بذلك مكتوب جامع بالتمليك، ونسخته:

«أما بعد أحمد الله على نصرته المتناسقة العقود، وتمكينه الذي رفلت به الملة الاسلامية في أصفى البرود، وفتحه الذي إذا شاهدت العيون مواقع نفعه، وعظيم وقعه، علمت لأمر ما يسود من يسود».

(١) ما بعد هذا يبدو أنه سقطت منه ورقة على الاقل، ولهذا أكملت المعلومات التي بها من السلوك ١/ ٥٣١ ووضعت بين الحاصرتين [ ].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار بالسيف البتّار، وأعلمهم لمن عقبىَ الدّار، وعلى آله وصحبه، صلاة تتواصل بالعشي والإبكار، فإن خير النّعمة نعمة وردت بعد اليأس، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس، فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسبابا، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبوابا، وهزمت من التتار والفرنج العدوين، ورابطت من الملح الأجاج، والعذب الفرات، بالبرين والبحرين، وجعلت عساكر الاسلام تذل الفرنج، بغزوهم في عقر الدار، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والامصار، وتقود من فضل عن شبع السيف المساغب إلى حلقات الأسار، ففرقة منها تقتلع للفرنج قلاعا، وتهدم حصونا، وفرقة تبنى ما هدم التتار بالمشرق، وتعليه تحصينا، وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعا شاهقة، وتتسنم هضابا سامقة، فهي بحمد الله

البانية الهادمة. والقاسم[1] الراحمة.

كلّ ذلك بمن أقامه الله وجرّده سيفا ففرى، وحملت رياح النصرة ركابه تسخيرا، فسار إلى مواطن الظفر وسرى، وكونته السعادة ملكا اذا رأته في دستها قالت تعظيما له ما هذا بشر، وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس، جعل الله سيوفه مفاتح للبلاد، وأعلامه أعلاما من الأسنة على رأسها نار بهادية العباد، فانه آخذ البلاد ومعطيها، وواهبها بما فيها، وإذا عامله الله بلطفه شكر، وإذا قدر عفا وأصلح فوافقه القدر، وإذا أهدت إليه النصرة فتوحات قسمها في حاضريها لديه متكرما[2]، / وقال «الهدية»[3] لمن حضر، وإذا ٦٨/ ب

---

(١) لعلها: القاصمة.

(٢) أثبت من هنا إلى الفاصلة نقلا من السلوك ١/ ٥٣١ رغم وجوده في الاصل إلا أنه كان مضطربا كالآتي:
«فكم واقعة لديها مثلها، وقال الهدية لمن حضر، وإذا خوله الله تخويلا من بلاد السيف البتار، والرقاب الاسار، والنواحي المزدرعة للأولياء والانصار، من الامور، وتطوى عليه طويات السير التي غدت بها فتحه الله من الدخور باسمه الثغور».

(٣) من الاصل وهي ساقطة من المقريزي.

خوله الله تخويلا، وفتح على يديه قلاعا جعل الهدم للأسوار، والدمار للبتّار، والرقاب للأسار، والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار، ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة في الصحائف لصفاحه من الأجور، وما تطوى عليه طويات السير، التي غدت بها فتحه الله من الثغور باسمة الثغور.

فتى جعل البلاد من العطايا
فأعطى المدن واحتقر الضياعا[1]]
سمعنا[2] بالكرام وقد أرانا
عيانا ضعف ما فعلوا سماعا
إذا فعل الكرام على قياس
فعالا كان ما فعل ابتداعا

ولما كان - خلد الله سلطانه - بهذه المثابة، وقد فتح الفتوحات، التي أجزل الله بها أجره،

---

(١) نهاية الجزء المنقول من السلوك ١/ ٥٣١ .
(٢) في الاصل «سميعا» .

وعظم ثوابه، / وله أولياء[1] كالنجوم إنارة ٦٩/أ
وضياء، وكالأقدار[2] نفاذا ومضاءاً، وكالعقود تناسقا، وكالويل تلاحقا إلى الطاعة وتسابقا، وكالنفس الواحدة عبودية[3] له وتصادقا، رأى -خلد الله ملكه وسلطانه- أن لا ينفرد عنهم بنعمة، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنفذ، وبعزائمهم تستخلص، وأن يؤثرهم[4] على نفسه[5]، الولد[6] ما يدوم إلى آخر الدهر، ويبقى (إلى) الأبد، ويعيش الأبناء في نعمته كما عاش الآباء، وخير الإحسان ما شمل، وأحسنه ما خلد.

وخرج الأمر العالي - لا يزال يشتمل الأعقاب والذراري، وينير[7] إنارة الأنجم[8]

(١) و (٢) و (٣) المؤلف يعني الاولياء هنا حاشية السلطان وقواده، ولكنه يخلع عليهم من الصفات مالا يستحقه البشر، مما أوقعه في المحذور. وهو مدفوع إلى ذلك برغبته في إظهار بلاغته اللفظية دون مراعاة إلى ما وقع فيه من زلل في المعنى.

(٤) في الاصل «يورتهم».

(٥) زاد في السلوك ١/ ٥٣١ «ويقسم عليهم الاشعة من أنوار شمسه».

(٦) في السلوك ١/ ٥٣١ «ويبقى للولد منهم وولد الولد ما يدوم إلى آخر الدهر».

(٧) في الاصل «ونير» والتصحيح من السلوك.

(٨) في الاصل «الاحم» والتصحيح من السلوك.

الـدرارى، أن يملك جماعـة أمرائه وخواصه الذين يذكرون، وفي هذا المكنون الشريف/ ٦٩/ب يسطرون، مما يعين من البلاد والضياع[1]، وهو المولى الأتـابك فارس الدين أقطاي الصالحي عتيـل[2] بكـمالها، الامير جمال الدين ايدغدي العزيزي النصف من ريتا، الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصـالحي نصف طور كرم، الأمير شمس الدين الدكن الكرخي ربع ريتا، الأمير علاء الدين البندقي دار الصالحي ياقه[3] الشرقية بكمالها، الأمير عز الدين أيدمر الحلبي الصـالحي نصف قلنسوة، الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي نصف طيبة الاسم، الأمـير جمال الدين/ النجيبي، نائب السلطنة ٧٠/أ بالشام[4] أم الفحم بكمالها من قيسارية، للأمير علاء الدين سنجر الحلبي نتان بكمالها للأمير جمال الـدين أقوش المحمدي الصالحي نصف

---

(١) وزاد في السلوك ١/ ٥٣٢ «على ما يشرح ويبين من الاوضاع».
(٢) في الاصل بدون نقط وقد طبعت في السلوك.
(٣) في الاصل بدون نقط.
(٤) في الاصل: «الشـام».

نورين، الأمـير فخـر الدين الطونبا الحمصي نصف نورين، عثـمان بن الملك المغيث ثلث حكمه، الأمير شمس الدين سلار البغدادي نصف البرج الأحمر، الأمير صارم الدين صبرا وثلث حكمـه، الأمـير ناصر الدين القيمري نصف الـبرج الأحمـر، الأمـير سيف الـدين ايتشـامش السعدي نصف بها[1] الأمير شمس الدين اقسنقر السلاح دار الظاهري نصف بها الملك المجاهد صاحب الجزيرة نصف دنابه، الملك المظفر صاحب بركه خان دير الفضول/ ٧٠/ب بكمالها، الأمير عز الدين الأفرم الصالحي أمير جانـدار نصف الشـويله، الأمـير بدر الدين الـوزيـري نصف طبرس، الأمير ركن الدين منكـورس المهمنداري نصف طبرس، الأمير سيف الـدين قشتمـر العجمي علاء بكمالها، الأمـير علاء الـدين خبـز[2] الـدوادار نصف

(١) تظهر في الاصل بدون نقط تحت الباء والنقطة وضعت لامكان طبع الحرف فقط.

(٢) كذا في الاصل وفي السلوك ١/ ٥٣٣ «أخو الدويدار».

عرعر، الأمير سيف الدين دكحل[1] البغدادي نصف فرعون، الأمير علم الدين الازكشي نصف فرعون، علم الدين طروج الآمدي استاتا بكمالها، الأمير حسام الدين بن أطلس خان سيدا بكمالها، الأمير علم الدين كندغدي الظاهري نصف أرباح، الأمير شمس الدين سنقر الألفي نصف أرباح، / الأمير علاء الدين طيبرس الظاهري نصف يافه[2] الغربية، الأمير علاء الدين الظاهري نصف يافه، غربيه، الأمير عز الدين ايبك الأتابكي الفخري القصير بكمالها، الأمير سنجر الصيرمي الظاهري أخصاص بكمالها، الأمير ركن الدين بيبرس المعزي نصف قفين، الأمير شجاع الدين طغريل الشبلي، أمير مهمندار نصف كفر راعي، الأمير علاء الدين كندغدي الحبيشي، مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعي، الأمير شرف الدين بن أبي القاسم

٧١/أ

---

(١) لعلها «دكجك».

(٢) هكذا في كل حالة.

نصف كسفا، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزوري نصف كسفا، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، استادار العاليه نصف برمكه، الأمير علم الدين/ سنجر الحلبي ٧١/ب العزاوي نصف برمكه، الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار نصف حانونا أم[1] أرسوف، الأمير سيف الدين بلبان الركني فرديسيا بكمالها من قيساريه، الأمير عز الدين ايدمر الظاهري، نائب الكرك ثلث حله من أرسوف، الأمير شمس الدين سنقرجاه الظاهري ثلث حله من أرسوف، الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومي ثلث حله، بدر الدين بكتاش الفخري، أمير سلاح ثلث حلحولية، الأمير علاء الدين السعدي الشمس الصالحي (ثلث) حلحولية، الأمير بدر الدين كجكا[2] الرومي ثلث كل حلحوليه[3].

---

(١) في السلوك «من» ١/ ٥٣٤.

(٢) أو بجكا.

(٣) في الاصل «كل حوليه».

وأشهـد مولانا السلطان ـ خلد الله ملكه، عليـه بذلـك جماعـة العـدول، وكتب كتاب التمليـك الشرعي الجـامع ذلك، وفرقت منه النسـخ/ ، لكل أمير نسخة بمكانه، وأحسن مولانـا السلطان إلى قاضي القضـاة، وأخلع عليــه، وتـوجـه إلى دمشق، وكتب الله هذه الحسنة في صحيفة مولانا السلطان قبل كتابتها في سيرتــه المبــاركــة، وتسلم الأمــراء هذه الصدقة، وتصرفوا فيها بعد ثبوتها على الحكام، والاسجال بالحكم بها. ٧٢/أ

ورحل السلطان بعد أن أمر بنقل المجانيق، وآلات الحصار، إلى الأماكن القريبة كالكرك وعجلون في ثالث وعشرين رجب سنة ثلاث وستين وستمئة. وشق القاهرة في حادي عشر شعبـان منهـا، وقد زينت، وبين يديه أسرى الفرنج وبيدهم أعلامهم منكسة، وفي رقابهم الصلبـان مكسرة، ومـا استقـر بقلعته حتى/ ٧٢/ب دخل بنفسه إلى الخزانة، ورتب خلع الأمراء،

ومعدي الحلقة، والمفارده، والوزراء، والقضاء، وخلع على الجميع.

وكان النصارى قد اعتمدوا النكاية في القاهرة ومصر، المحروستين، وصاروا يرمون النار بالأسطحه، وكثر الحريق، وقلق الناس من ذلك، فعزم السلطان على إحراقهم، فاحضر اليهود والنصارى وكبارهم من البطاركه، والرؤساء والربانيين، إلى القلعة، وأحضر الحلفا والنار، وفار التنور، فلما رأوا عنوان ما أعد لهم في الآخرة بذلوا في نفوسهم خمسمئة دينار عينا، والتزم بها أكابرهم، فأخر عذابهم إلى أجل معدود، وحمل هذا المال أولا فأول.

ذكر إمساك زامل بن علي أولا واخرا / ٧٣/ أ

هذا زامل، هو أمير، وكان بينه وبين أمراء العرب تنافس كعيسى ابن مهنا، أمير آل فضل، وأحمد بن حجي، أمير آل مرا،

وغـيرهم، واقتضى ذلـك تعـديـه، وتجريه، وكثـرت الفتنـة من جهته، وطلبه السلطان، واعـتقله مدة كسراً للفتنــة، ثم أخــرجــه، وضــاعف الأحســان له، وتـلافـاه. وأحضر السلطان عيسى بن مهنا وأحمد ابن حجي وعبيه وغـيرهـم ممن كان بينه وبينهم صورة، فأزالها الســلطان، وأصـلح ذات بيـنهــم، ودفـن الضغـائن، وتحـالفوا، وتعاهدوا، وتصافوا، وشملهـم بالخلع والإنعام، وتوجهوا من بين يديه.

ولما وصل زامل إلى الرمل أوهم أن عيسى ابن مهنا قد غار على بيوته، فساق، ولم يرد راس فرســه، / إلى بلاد التتــار، واتصـل بهولاكو، ٧٣/ب وأداه النصيحـة، وصار يعبث في البلاد شاما وحجـازا، والسلطان يضيق عليـه المسالك، ويغري عليه، ويقعد له بكل مسلك، فلما رأى عينها، وأن حيلة الظاهر تمت في الباطن فيه، كتب للسلطان وتـوسل وسأل، والسلطان لا

يجيب سؤاله، وكرر ذلك، وتشفع بأكابر أمراء دولتـه، فأجابه السلطان إلى العفو، وكتب له الأمان بالحضور، ووقت له وقتا، فحضر دون ذلـك الـوقت باثنى[1] وعشرين يومـا، فوجد السلطان الوسيلة في الانتقام منه، والخروج من عهــده (في) الأمـان، فاعتقـل بالقلعـة، هو وأخوه، واقتصر به على ذلك. وكان الأمثل أن يمثل به/ . ٧٤/أ

ذكر السبب في قتل علم الدين رضوان

هذا الرجل كان من أرباب الفتن، والعمل على الدول، وكان السلطان يعلم ذلك منه من الأيام المظفرية قطز المعزى، فانه كان يسعى إلى السلطان بها. أقـول: ومـا أحسن ما قالـه الجاحظ في رسالة له: ومن نقل إليك، فقد نقل عنك. ولما أفضت نوبة الملك إلى السلطان كابر فيـه، واعتقـد أنـه قد تغير عن ذلك الخلق، لقـول: وتأبا الطباع عن الناقل[2]، فشرع في

(١) كذا في الاصل ولعلها «باثنين وعشرين» . (٢) كذا في الاصل .

استصحاب تلك الأمور، وعمل على الدولة الظاهرية في الباطن، فلما علم أن السلطان قد شعر بأمره، ولّى هاربا، ولحق بعرب برقا، وكوتب على أن يحضر، وله الأمان/ ، فأبى، ٧٤/ب وأخذ يكاتب ويعمل على الدولة، وأخذ السلطان يحذره عاقبة ذلك، وهو لا يزداد إلا طغيان[1] ، وآخر ما سير يقول له: «إن دمت على هذا، سيرت من يأخذ رأسك»، فدام، وارتكب كل خلق ذام، فسير السلطان من أخذ رأسه، قال عطا الله بن عزاز، أمير عرب برقة: آخر كلمة سمعت منه: «شاباش يا ملك الظاهر، صدق قولك، أخذت رأسي، ومالي.» ومات من ساعته .

(١) هكذا . والصحيح «طغيانا».



ذكر جلوس السلطان بدار العدل من السنة وما اتفق في هذا اليوم

حضر تاج الدين بن القرطبي، وكان قد أنهى السلطان غير ما مرّه أن عنده نصائح، فلما حضر، قال له:

«قل ما عندك».

فقال / : ٧٥/ أ

«هذا القاضي تاج الدين، يعني ابن بنت الأعز، قاضي القضاة الشافعي، كان قد أخذ ضياعا، واستولى عليها في الأيام المعزية، وتولى الوزارة، وله جماعة من الأهل يخدمون في الدولة، وعليهم بواقي وتخريجات ديوانية».

قال السلطان للقاضي:

«ما تقول»؟

فقال:

«ما أخذت إلا ما آل إليّ بوجه صحيح، وأمّا أهلي فهم يخدمون من الأيام الكاملية، وإلى

هلمّ، ما قدمت منهم متأخرا، ولا أخرت مقدما».

فقال السلطان لابن القرطبي:

«أيش غير هذا»؟

فقــال:

«الأمــراء الـذين توفّـوا، عليهم حقـوق، استولت عليها ورثتهم».

فقال له السلطان:

«أين كنت أنت والأمراء يتلقون الزيارات بصـدورهم، وحجـارة المجانيق برؤوسهم؟» وأحضر/ زيارا، وأراه له وللناس. ٧٥/ب

وقال له السلطان:

«كم أنهرك ولا تنتهر، وأطردك وأنت إليّ قَدّام».

وأمر السلطان فأقيم، واعتقل.

ولما أراد السلطان القيام قال للقضاة:

«أنتم تعلمـون أن عساكرنا المنصورة أكثر أوقاتها في الغزاة والحصارات، وتحتاج إلى من يشهـد عليهم عنـدمـا تحضر أحدهم الوفاة، وأنـتـم لا تقـبلون إلا شهـودكم، فتضيـع المصلحة، ولا تبرأ ذمة، ولا بأس بأن كل أمير، وكلّ مقدم، يعين من أصحابه من هو من أهل الخير، ويزكى عندكم».

فأمن قاضي القضاة على ذلك، واعتمده.

وفي هذا اليـوم حضر شيـخ يقـال له ابن قرصة، وكان ولده قد قتل، فاشهد عليه بدار العدل أنه أبرأ من اعتقل بسبب قتله/ ، وهو ثلاثة نفر. ٧٦/أ

فقال السلطان:

«مـا هذا شيء، أثبت أن هؤلاء الثلاثة[1] قتلوا ولده[2]؟».

(١) في الاصل «الثلاث».
(٢) الحديث يبدو هنا أنه موجه للحاكم.

فقال الحاكم :

«لا» .

فقـال السلطان :

«هذه القضية أنا أعرفها، وهي أنه حصل خصـــام بسبب جسر، وأختلف فيــه جماعـة يقاربون الستين نفرا، وقتل هذا الولد بينهم، ولم يدر من قتله، وأتهمت[1] هؤلاء الثلاثة به، فقول هذا الوالد أبرأتهم من دمه يدل على أن دمـه في ذمتهم، ولـو كبر أولاد هذا المقتول، طالبوا هؤلاء الثلاثة بهذا الإقرار الموهم، بل يشهد هذا الشيخ على نفسه أنّ هؤلاء الثلاثة لم يقتلوا ولده» .

فاستحسن من السلطان هذا الامر، وأشهد الشيخ عليه بذلك.

ثم جلس السلطان جلوســا ثانيــا/ بدار العدل في الشهر المذكور، فرفعت إليه قصتان ٧٦/ب

(١) هكذا في الاصل .

من معتقلين، وسـألا الحضـور إلى بين يديـه لنصيحة، فأحضرا، فأما الأول فقال:

أنا أعرف أموالا مهملة بحمص، فإذا أفرج عني استظهرتها لبيت المال.

فقال له السلطان :

«أنا أعرفك، وأنت إنما اعتقلت لأنك كنت تكاتب التتار وتباطنهم».

ثَمّ أمر بعوده إلى الحبس، وأما الآخر. فقال:

«ثم رجل حرّاني، معه فرمانات من التتار، وجملة أموال». فأحضر الرجل، وسئل. فقال:

«هذا له مرار يتكلم فيّ بهذا الكلام، والله يظهر الحق». فقال السلطان لهذا المحبوس:

«لأيّ شيء اعتقلت؟»

فقال: «مظلوماً».

فقال: خلّ عنك هذا، وقل لي الصحيح.

فقال: «البرلي قال عني ما ليس له صحة»/ .

٧٧/ أ

فقال له السلطان:

«قد عرفتك، أنت من حران، ووشيت بأهلها للتتار، وآذيت المسلمين».

ثم أمر به فأعيد إلى الأعتقال.

وفي هذا الشهر، وهو شهر رمضان، حضر عدة رسل كرسل مرشيليه وجنوه والكرج واليمن والنوبة، وما منهم إلا من أحضر الهدايا النفيسة، وترامى إلى المحبة، وأحسن السلطان عوضهم وأعادهم.

وفي هذا الشهر الشريف من هذه السنة فتحت قرقيسيا، باتفاق من أهلها، وهي قديمة تعرف بالزبا، وفيها يقول ابن دريد:

فاستنزل الزباء قسرا وهي من
عقاب لوح الجو أعلى منتمى

وصورة فتحها أن السلطان جهز إليها عسكرا سار الليل كله، فوافاها صبحا، وقد فتحت أبوابها/ ، فهجموها وتسلموها، وقتل من كان فيها من التتار، وأسرت[1] المرتدة الموجودون بها، وهم ثمانون نفرا. ٧٧/ ب

وفي هذا الشهر أيضاً، توجه السلطان بنفسه، وبالعساكر لتدارك أمر بحر أشموم، وغرق به المراكب الفرنجية، وباشر شيل التراب للردم بنفسه، وخواص دولته، ولم يزل حتى دبر أمره أحسن تدبير.

وفيها بطّل السلطان حراسة النهار، وكتب بإبطالها توقيعا.

وفيها وصلت رسل هيتوم، متملك سيس، من جهة دمياط، والسلطان على بحر أشموم، في معنى الصلح، وأحضروا معهم الهدايا النفيسة، فلم يتفق له صلح، لتعذر ما التمسوه. واتفق أن شخصين من أصحاب

(١) كذا في الأصل بدلا من «أسر المرتدون» أو «أسر المرتده الموجودة».

هؤلاء الرسل تخاصما، فضرب/ أحدهما الآخر بسكين فقتله، فأمر السلطان بشنقه، وسأل الرسل فيه، فلم يرجع إليهم، فتشفعوا بالأمراء، والتزموا أن يسلموه لمستحقي دمه بالبلاد، فأجابهم إلى ذلك. ٧٨/أ

وفيها جهز شجاع الدين بن الداية الحاجب، رسولا إلى الملك بركه، عندما وصل روسل الأشكرى يذكر أن غارات بركه قد أضرت ببلاده وسأل رده عنه.

وفيها وصل رسول أخي الأشكري في موكب موسقة بضاعة، وعلى يده كتاب منه، يترامى إلى الصداقة، ويقول: إن أخاه قد ملكه الجزائر، وقد صار له حق الجوار. ويذكر أنه وجد الحرامية من الفرنج قد استولوا على مركب الإسلام، فاشتراها منهم محبة للسلطان/ وأحضرها صحبته، فأقبل السلطان على رسوله، وسامح بما يجب على بضائعه، وأحسن له العرض. ٧٨/ب

وفي ذي الحجة منها أمسك السلطان شمس (الدين) سنقر الرومي، لذنوب كثيرة سلفت منه، كان السلطان قد تناساها، فحركها عنده أن مملوكا من مماليك سنقر الرومي خاف منه، فحضر إلى السلطان متشفعا به، فخلع عليه، وسيره بشفاعة، فأظهر أنه قبلها، ثم ضرب المملوك المذكور، وكواه بالنار على مقاعده، إلى أن مات، فحنق السلطان عليه لذلك.

أقول إن الذنب الذي أوجب للمملوك ذلك أنه كان عينا على استاذه المذكور للسلطان يطالعه بأحواله، وقيل غير ذلك.

وفيها/ جعلت الحكّام أربعة، باختلاف المذاهب، وخوطب كل منهم بقاضي القضاة، بعد أن كانوا نوابا للقاضي الشافعي. ٧٩/أ

أقول: وسبب ذلك فرط عجب قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز، وتعقيده وسلاطته وإيغاله في الأذى، وتوقفه في قبول الشهادات، وتصميمه. حكي عنه أن بعض

العدول أخذ مروحة من بين يديه، ليروح بها عليه، فنهره، وقال: «هذا رشا».

وحكَى لي كاتبه أنه طلب ماء للشرب، ولم يكن عنده غيره، فأمر عبدين من عبيده، فأمسكا طرفي فوطه، حالوا[1] بها بينه وبينه حتى شرب. وأسقط في يوم جماعة من العدول، ووقفت أحوال الناس في مكاتبتهم، واجتمع/ الأمراء، وسألوا السلطان في ترتيب هؤلاء الحكام، فرتبهم، وكان الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي أبا عذرتها، والقائم فيها أشد قيام.

٧٩/ ب

واستهلت سنة أربع وستين وستمئة

في سابع المحرم منها عقد السلطان الملك المنصور قلاوون على بنت كرمون أغا، وكان من أمرائه إذا ذاك، كان العقد بالكبش، وحضر السلطان، بعد أن رُتّب وفُرش من

---

(١) هكذا بدلا من «حالا».

الخزائن السلطانية، وقرىء الكتاب بين يدي السلطان الملك الظاهر، وكان الوكيل في قبول العقد عز الدين الحلي.

وفي صفر منها اهتم السلطان بعرس المشار إليه، ورسم بضرب دهليز العيد بسوق الخيل، ومد فيه سماط السلطان/ وقد تنوع فيه، واستكثر، وحضره السلطان الملك الظاهر، وأكل الناس وانتهبوا، وحضّر كل من الأمراء التقادم من القماش والخيول، على قدر طبقاتهم، وأحضر السلطان الملك الظاهر أيضاً جملة من هذه النسبة. وحمل الجميع إلى بيت الملك المنصور قلاوون.

٨٠/أ

سبحان الله كان ضرب هذا الدهليز للملك المنصور دهليز ملك لا عرس، فإن نوبة الملك أفضت إليه بعد أربعة عشر سنة، وهي الأيام مازالت دولا فدولا، والأقدار ما برحت تحط أربابا وترفع خولا.

ذكر شيء يدل على عظم همة هذا السلطان، وقوة نفسه

إتفق أن وصلت رسل الإنبرور، الفنش[1]، ٨٠/ب ورسل اليمن، بسفائن مملوءة من الهدايا على اسم الإسماعيلية، مصانعة لهم، ودفعا لضررهم، وإغمادا لسكاكينهم المسمومة، وكانت إذ ذاك لهم شوكة ومهابة، وقلاعهم معمورة بهم، ومَلِكهم يقال له راشد الدين سنان بن سليمان البصري، وكانت فيه فضيلة أدبية، ومادة في النظم والنثر، ورسائله مشهورة، وبلسان الاستعظام مذكورة، فلما وصلت هذه الهدايا أراد السلطان أهنة القوم، وعدم المبالاة بهم، وأن يُعِرّف كلا من رسل هؤلاء الملوك، ورسل الإسماعيلية، أنهم عنده رعية، وأنه لا يبالي بهم، ولا يصانعهم، فأمر بأن/ تُستأدى، مما حضر برسمهم، الحقوق ٨١/أ الديوانية عن آخرها كما تُستأدى من أقل الناس بعزة وأنفة.

---

(١) تحريف لاسم «الفونسو».



ذكر الكرة المتفقة للابرنس،
صاحب طرابلس، على حمص

لما كان في صفر منها بلغ الأمير علم الدين الباشقردي، النائب بحمص، أن الابرنس، صاحب طرابلس قد استجاش، واستنصر بالملوك الفرنجية وبيوتهم، وعزم على الإغارة على الحمص[1]، فاحترز منه، وجعل له عليه عيونا، ولما خرج الإبرنس من طرابلس عُرّف به، وسبقه إلى المخاضة، وملكها عليه، فلما حضر بهت الذي كفر، وعاد منهزما، وعدَّى علم الدين الباشقردي له بمن معه، ففر بين يديه فلم يزل وراءه يقتل ويأسر، وعاد العسكر الإسلامي/ منصورا، ووصل البريد ٨١/ب بهذه البشرى للسلطان، فشكر الله على ذلك.

وفي ربيع الأول منها رسم بمد جسر على الفرات من الرحبة، وحصل للتتار من ذلك وهم شديد.

(١) هكذا بالالف في الاصل.

وفيه عملت مراكب بدمشق، وجهزت إلى البيرة.

وفيه أهتم بعمل المجانيق بدمشق.

وفي جمادى الأولى من السنة وصل إلى مشق جماعة كبرى من الأسرى المسلمين من النساء والرجال كان فخر الدين بن جلبان مقدم الشواني قد توجه لمشتراهم، من البلاد الفرنجية، بالمال المتحصل من أوقات الأسرى بدمشق.

وفي هذا الشهر رسم السلطان بعمل جسر على قناطر على الشريعة، وجاءت أحسن ما يكون/ ، وارتفق به المسلمون. ٨٢/أ

وفيه نجزت عمارة القاعة الظاهرية، المجاورة لباب سر قلعة الجبل المحروسة، المتولى عمارتها الأمير عزالدين أيبك الفخري، وهي قاعة عظيمة قد تفنن في عمارتها وزخرفتها، وتوهي فيها إلى الغاية والنهاية، ولما

نجـزت جلس بها السلطان، ومد بها سماطا، وخلع على عزالدين الفخري، مشدّها، ودفع له ألف دينـار وأنشـده الصـاحب محي الدين جامع سيرته فيها:

يامــالك الدنيــا الــذي
أمســى بعـون الله غالــب
يا مــن بــه الكفــار قــد
نهشــوا بأنيــاب النــوائب
لــولا سـيوفك لـم يــكن
بالثــأر للاســلام طــالب/ ٨٢/ب
كــم جنــة لــك أزلفــت
بعظــيم كتبــك والكتــائب

ومنهــا:

دار يــرق بهــا النعــيم
وتلتــقي فيهــا المــآرب
قـد صــوّرت فيهـا الجنـود
عـلى الخيـول لها القـواطب[1]

(١) هكذا في الاصل.

لتكون دهرك كله
أبدا ترى ناسا تحارب
وتكون في الخلوات ليس
ترى بغير السيف ضارب
وترى جنودك حول تختك
ليس منهم غير واثب
في السلم حولك مثلما
في الحرب دونك في المواكب
لا مثلما قد صور الـ
أملاك قبلك من غرائب
كل يصور نفسه
بين الأغاني في المشارب
فبقيت يا ملك الزمان
لك العطايا والمواهب
أبدا تمتع في النعيم
وما لملكك من مجاذب

وفيها توجه السلطان بنفسه لحفر خليج الاسكندرية، وحصل له في الطريق توعّك/ ٨٣/أ

فلم يرده ذلك عن قصده، وباشره بنفسه [و] أمرائه، ومماليكه وجنده، إلى أن حفر على أحسن صورة، وعدّى إلى برّ أبيار، وأعمل به جزيرة هائلة، وعاد إلى قلعته.

وفي رجب منها ورد كتاب الأمير جمال الدين النّجمي يتضمن أنه عُمِل[1] تقديرٌ يُغرم[2] على جسر دامية المرسوم بعمله، فكان مئتي ألف درهم نقرة، فعاد الجواب بصرف ذلك.

وفي رمضان منها وصل من أدعى أنه ولد الخليفة المستعصم، المسمّى بالمبارك، وكُشف عنه، وسئل عن نسبه منه، فلم يصح أمره، وأبقي بدار الضيافة متحفظا به.

وفيها وصل أيضاً شخص أسود، ومعه زوجته، وأدعى أنه من أولاد الخلفاء، فلم يتبين/ أمره، واحتفظ به.

٨٣/ ب

---

(١) في الاصل «عمـر».

(٢) موضع النقطة يجعلها يمكن أن تقرأ «يعزم».

هذه سواكن جزيرة من جزائر بحر الملح، وبها بجاة عرايا، وهي فوق من عيذاب بخمسة، ستة أيام. وكان بلغ السلطان أن صاحبها المسمى بأسبعانى، الملقب بعلم الدين، قد صار يتخطف التجار، ويستولى على مال من يموت منهم، وأظهر عصيانا، فاهتم السلطان بأمره، وكتب إلى والي قوص يأمره بأن يجهز لقصدها، وصنعت المراكب، التي بلا مسامير، المجهزة في مراكب المسامير، وهي مشحونة بالمقاتله، وجهزت أيضاً مراكب من جهة القصير، مشحونة بالمقاتلة فأما اسبعاني فإنه هرب هو وأصحابه، وترك البلاد، فملكت عليه،/ وأقيم بها فخر الدين ابن الكنز، نائبا، وعاد والي قوص بمن معه، فخطر لصاحب سواكن أن يقصد ابن الكنز، ومن رتب معه، فقصده، فخاب قصده، وعاد مهزوما. ثم إن الحدربي، وهو الذي أجار هذا ٨٤/أ

أسبعـاني، أرسل السلطان وهاداه، وتدرك[1] عنه الدخول في مراضي السلطان، فأجيب، واستقر أسبعاني بسواكن صورة نائب.

أقـول: وهـذا أسبعـاني إلى الآن بسواكن وقداس، والدولة تكاتبه.

ذكر ما أتفق للأمير عزالدين الحلي في من وثب عليه، بدار العدل في غيبة السلطان

كان هذا الأمـير عزالـدين يجلس بدار العـدل/ في غيبـة السلطان، للنـظر في أمور ٨٤/ب الـرعيـة، ومعـه الوزير الصاحب بهاء الدين والقضاة، فأتفق أن دخل إنسان، ومعه قصة يرفعها، فحمل على الأمير عزالدين بسكين، جاءت في بلعومه، فأمسكها الأمير عزالدين من يده، فجرحت يده وانقلب الرجل، فبقر بطن صارم الدين المسعودي، متولى القاهرة، وأراد

(١) هكذا في الاصل.

أن يلعب على الحاضرين بالسكين، فأمسكه الأمير فخر الدين بن التركماني من كتفيه ورمى به الأرض، وضرب بالسيوف فمات، وحمل الحلّي إلى داره، وقطب جرحه، واتصلت القضية بالسلطان، فعز عليه، وكشف أمر هذا الرجل، فوُجد جاندار[1]، وقيل إنه كان مختل العقل مصطولا[2]/ ، ثم ورد الخبر للسلطان بسلامته[3]، فخلع عليه[4]، ودفع له ألف دينار.

٨٥/أ

أقول: كان الواجب أن لا يعجل بقتله، وأن يستكشف أمره، وما جنسه.

وكانت هذه الواقعة في يوم الاثنين، منتصف ذي الحجة، سنة أربع وستين وستمئة.

(١) هكذا وأمير جاندار هو حامل السلاح ووظيفته أن يستأذن للامراء بالدخول على السلطان، ويدخل أمامهم، ويطوف بالزفة حول السلطان في سفره صبح ٤/ ١٩ فلعل «جاندار» هنا تعني أحد أفراد الحرس. وصحتها هنا «جانداراً».

(٢) هكذا في الاصل بدلا من (مسطولا) من أثر الحشيش.

(٣) الامير عز الدين.

(٤) أي على الرسول الذي حمل الخبر. راجع الروض: ٧٨ ب.

وفي شعبان وما يليه أهتم السلطان بنفسه وعساكره، بالإغارة على البلاد الفرنجية، كحصن الاكراد وطرابلس وعكة وصور، وأحرق وملك بعض قلاع هذه النواحي، كحلبا وعرقا، وأسر ونهب، وقتل وأرعد وأبرق، واستمرت إغارته، وإغارة عساكره إلى شهر رمضان. ووقعت الغيارة بجماعة من/ ٨٥/ب الفرنج قد خرجوا من صافيثا، قاصدين حصن الأكراد، فقتلوهم عن آخرهم.

ذكر فتح صفد[1] والاهتمام بها

أقول هذه القلعة كانت للمسلمين، واقتضى الحال أن سلمها الملك[2] للفرنج، عندما قويوا[3] عليه، ودارَى بها عن غيرها. وحكَى لي المولى شهاب الدين بن السلطان الملك الناصر، صاحب الكرك، أن السلطان

(١) صفد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص الشام، وتعتبر، في زمن ياقوت، من جبال لبنان. ياقوت ٥/ ٣٦٧ .
(٢) اسم الملك الذي سلمها قد سقط هنا .
(٣) هكذا في الاصل، والقياس الصحيح يقتضي «قووا» .

الملك الظاهر لما نزل هذه القلعة كان ولد مسلمها الملك... [1] حاضرا، وأن السلطان التفت إليه، وقال له: «هذه عمائل أبيك»، وعذق به من محاصرتها جانبا كبيرا.

ونرجع إلى ما نحن بصدده، ولما عزم السلطان/ على محاصرة هذا الحصن كان نازلا على عكا، مضايقا لها، غائرا عليها، فجرد في غضون ذلك إليها وإلى الشقيف أميرين، وهما فخر الدين الشهابي، أحد أمراء دمشق، فنزل الشهابي على صفد، واستمال أهل البلاد المجاورة لها، وكذلك الذي نزل على الشقيف. ٨٦/أ

وتوجه دهليز السلطان صحبة الامير بدر الدين بكتاش الفخري، أمير سلاح، وضرب على صفد، في ثامن رمضان المعظم من السنة، وقصد الحصن المذكور، وقد حضرت المجانيق المطلوبة من دمشق بتهويل عظيم، وأحتفال كبير، ولم يكن بأسرع من أن نصبت، وقسمت

---

(١) بياض في الاصل.

على الأمـــراء، والأجنـاد، وحصـل الحصـار والجد، الليل والنهار، وما من يوم إلا ويريهم السلطان من آيـة إلاّ هي/ أكـبر من أختها، ٨٦/ب وبينـما هو كذلك إذ ورد عليه رسول متملك صور، يستعفى من جور الغيارة على بلاده، ونهبهم ومضايقتهم، ويقول:

«إن بيني وبين مولانا السلطان عهد وذمة».

فحجه السلطان، وقال:

«كيف يكون لمرسلك عهد وذمة وقد آوى أعدائي من الفرنجية، وحماهم وحمى مواشيهم علي، وأخلف ميعادي في المعاونة على محاصرة عكا، وأخذها».

وأعاد الرسول بالخيبة.

ورد عليه أيضاً رسول الإسماعيلية، يطلبون رضاه، فقرعهم، وقال:

«أنتم كنتم تقـولـون: إن القـطيعـة التي تؤدونها للفـرنـج إنـما كنـتم تؤدونها لبعـد

عساكري، وخشية سوء جوارهم، وها أنا الآن قريب منكم/ ، منازل لاعدائكم، ولم يصل منكم ما يناسب قولكم من هدية ولا قطيعة، نحن بها أحق منهم، ثم ولا بكم نفع للمسلمين، إلا مجرد إيهامات، ولابد أن أجعل حصونكم قبوركم».

٨٧/ أ

وطرد الرسول:

فلما عاد إليهم بهذه الأقوال خاروا وجاروا، فحضر جمال الدين، نائب غزة، بنفسه إلى باب السلطان، فلما أذن له في الدخول شرع أمير جاندار في تفتيشه خشية أن يكون معه حديد، فأنكر السلطان على مفتشه، وقال:

«لا حاجة إلى ذلك، وأيش هو هذا، وأيش هو حديده».

وأحضر هدية، فاستحقرها السلطان، واستقلها بالنسبة والإضافة، وطرده بهديته.

ثم أقبل السلطان على ما هو بصدده من محاصرة هذا الحصن/ ، فجد، وصار يركب ٨٧/ب وحده، ويطوف بنواحيه لاستنهاض العزائم، فلما طال عذاب الحصار على الفرنج، وزهقت نفوسهم، وتحققوا الهلاك، سألوا الأمان على أنفسهم، ليسلموا بتسليمها، فشرط عليهم أن لا يستصحبوا شيئا من سلاح، ولا ما يتمول به من ذهب أو فضة، فأجابوا في الظاهر، وخالفوا في الباطن، فلما خرجوا اعتبرت أحوالهم، فوجد معهم من آلات السلاح والأموال، وأسارى المسلمين ما تحيلوا في إخفائه، ولكن لم يخف عن الظاهر، وما له من تدقيق الحيل التي كمن كان معها القاهر[1]، فحين خرجوا عن الشرط، والشرط أملك، وسلكوا من المخالفة أوعر مسلك، أمر السلطان/ فرمي فيهم السيف، وقتلوا عن ٨٨/أ آخرهم، إراحة من ذخيرتهم، ومعاقبة على

(١) هكذا.

سوء نقضهم، القاضي بسوء مصيرهم، ولم يسلم منهم غير رجلين، أحدهما يقال له افرير أيوب، والآخر أخ من الاسبتار، فأما أفرير أيوب فإن السلطان كان وعده بالعفو عنه، وأسلم المذكور، وخُتّن، وأستمر في الخدمة، وأما أخ الإسبتار، فإن فارس الدين الأتابك شفع فيه، ليذهب ويخبر بما أتفق عن يقين.

وتسلمها المسلمون، وعبى فيها زراد[1] خاناه، واستخدم فيها رجاله، وتقرر معلومهم في الشهر ثمانين ألف درهم، ورتب فيها وال ونائب، واستقرت دار إسلام، وسطرت في صحائف السلطان أجورها ذخيرة لدار/ ٨٨/ ب السلام، ورسم فبنى بها جامعان بالقلعة والربض.

(١) أي خزينة سلاح.



ما وقف على الشيخ خضر نصف قديثا، ما وقف على الشيخ علي المعروف بالمجنون نصف وربع الحقاب، ما وقف على الشيخ الياس الربع من الحقاب المذكورة، ما وقف على قبر السيد خالد ـ رضي الله عنه ـ قرية فرعم، ما وقف على قبر شعيب النبي ـ عليه السلام ـ قرية منها[1].

وكان رحيله عن صفد المذكورة في السابع والعشرين من شوال، قاصدا دمشق المحروسة، فدخلها بمفرده، وأمر العساكر أن لا تدخل، فتقدم أمره إلى الملك المنصور ـ صاحب حماه ـ بالتوجه إلى سيس، وكتبت على يده تذكرة بما يعتمده[2]، وأفاض عليه الخلع والتغالي/ والمال جملة متوفرة، وأمره باعتماد ما ٨٩/أ

---

(١) «منها» ليست في الاصل، أخذت من الروض: ٨٦ ب، لعل المقصود من صفد. يلاحظ أن الوقف على القبور والأضرحة هي من البدع المستحدثة، وأنها مخالفة لسنة رسول الله ﷺ وصحابته من بعده والتابعين لهم بإحسان.

(٢) في الاصل «بما يعتمدها».

تضمنته التذكرة.

وكان في غضون ذلك وفاة الأمير كرمون أغا، فأحسن مواراته، وقام بواجب حقه، ورسم ببناء تربة عليه، وأفاض الخلع على الامراء، ومن عادته بها، مصراً وشاما.

وتقدم أمره بأن لا يسكن أحد جامع دمشق، وأن ترفع ويذكر فيها اسم الله، وأن لا يترك بها أحد[1] من المجاورين، وقوفا على ما جاء في ذلك من الأحاديث النبوية، وتوجه إلى الجامع المذكور بعد ذلك، وشاهده على أحسن الصور، وصلى، وعاد وتوجه بكرة يوم السبت للصيد، فأوغل فيه، وقيض له من ساقه قصر العمر من الوحوش مالا يقدر عدد أن يوفيه/ . ٨٩/ب

وللقاضي محي الدين في ذلك أبيات، وهي:

يا أيها الملك الذي
فيه العقول غدت تحار

(١) في الاصل «أحدا» .

يا من إليه بفعل ما
يرضى الأَله غدا يشار
يا من غدا ويمينه
يُمن كما اليسرى يسار[1]
بالله قل لي : هل دم
يجريه سيفك أم بحار؟
وهل الخيول لها مسيـ
ـر تحت سرِج أم مطار؟
إن السيوف تركتها
لا يستقر لها قرار
فلذا تُرى ونصولها
قد أوحشت منها الديار[1]
عودتَها سفك الدماء
فما لها عنه[2] اصطبار
فإذا تعللها بسفك
دم الوحوش فليس عار[2]

---

(١) هذه الابيات ليست في الروض ٨٧/ب .

(٢) «عنها» في الروض ٨٧/ب .

لم يبق في الدنيا فرنـ
ـج ، لا ولا بقيت تتار
فالوحش عن مهج العدا
لما تفانت تستعار/ ٩٠/أ
وأظنها بك سوف تقفـ
ـر من سوانحها القفار
إن الدماء من العدا
والوحش أفناها الغرار
فدع السيوف بقدر ما
تبغى دما منها يثار
وآسلم ودم في نعمة
وبعزّ بابك يستجار

ذكر شيء من معدلته

كان الأمير أحمد بن حجي ، أمير آل مري ، ذا سلاطة ، وقوة نفس ، وكان يدعى أنه من نسل البرامكة ، وأن جدته أخت الرشيد ، واتفق أن هذا أحمد خصَى إنسانا ، وقتل هو

عرادة البـدوي، وولـده سليـمان قتـل آخر، فأعــرض السلطان عن الحــديث في ذلـك، وجاوب من أطلعه عليه أن هؤلاء عرب، ولهم اصطلاح، وهم في البراري، فلا ندخل بينهم، ولمـا بلغ ذلـك أحمد/ عن السلطان وثق به، ٩٠/ب وحضر هو وولـده بالتقـادم والخيـول، فحين ضاروا في القبضة كتب إلى غرامائهما، فحضر المخصِيّ ووكيل ولد عراده، وتحاكما معه فتوجه على[1] الحق، فأمـر بخصيـه، ثم بعـد ذلـك بشنقـه، فصـالحـه المخصِيّ على ألف دينـار، واشـتراه السلطان من وكيـل ابن عراده بألف دينار، وسلك ـ رحمه الله تعالى ـ أحسن مسلك السياسة والعدل بحكم الشرع الشريف.

ذكر ما جرى في أمـر الميـاه بدمشـق المحروسـة

كان السلطان منـع المياه، ورسم بالمطالبة بأثـمانها، وحصل في ذلك أقوال وبحث، من

(١) لعلها «فتوجب عليه».

الفقهاء بمجلسه، قال قوم «نملك» وقال قوم: «لا نملك»/، وأبقى مياه الخوانك والمدارس ٩١/أ والربط على حالها، ثم بذل أهل دمشق مالا لبيت المال، واتفقوا فيما بينهم بإجابته إلى ذلك.

وفي هذه السنة رسم بإبطال ما اعتمده النواب المتخلفون من ضمان الحشيش، وهو أربعون ألف درهم في السنة، وأدب مضمنها وضامنها، وضمن الله له الأجر عن ذلك.

ذكر ما سأله بيت إسبتار من المهادنة

حضر رسول المذكورين وسأل هدنة بالصلح على بلاده من جهة حماه وحمص وبلاد الدعوة، فامتنع، إلا أن يبطلوا ما لهم على الجهات المذكورة من القطيعة، وجملة ما كان على هذه الجهات ما يذكر: أبو قبيس وغيرها ثمانمئة دينار، قلاع الدعوة ألف ومائتي دينار/، وخمسون ألف مد حنطة، وخمسون ٩١/ب ألف مد شعير، وعلى حمص وحماة أربعة آلاف

دينار، فأجابوا إلى إبطال جميع ذلك وكتبت الهدنة، وجُعل الإختيار للسلطان في فسخها وعدمه.

ذكر ما اتفق لنواب السلطان من الاغارة والاستيلاء في سنة خمس وستين وستمئة

ورد كتاب الأمير جمال الدين النجيبي، نائب دمشق، بأنه حصلت الإغارة على جبيل، والمحاصرة لمن بها من الفرنج، وأنهم تسحبوا من باب سرٍّ بها لم يشعر به المسلمون، وأخذت، وأُغير على أقصاب عكا، ونهبت من الأمراء المقيمين بصفد، وعادوا سالمين بعد الغنيمة، وقتل العدّة من الفرنج/ . ٩٢/أ

وفيها وصل الخبر للعساكر المجردة بصفد والساحل أن الفرنج أغاروا على طبريّة، فركب العسكر الإسلامي للوقت، وقصد مرج عكا، قصدا في أن يكونوا قدام العدو، فلما حضر العدو، وهو في جمع يقارب ألفا[1] ومئتي

(١) في الاصل «ألف».

فارس، فحمل عليهم المسلمون، واستمر القتال إلى المغرب، فنصر الله الإِسلام، وقُتل العدو بأجمعه، ولم يفلت منهم إلا من لم ينتفع بنفسه، وكان بعكا من العزاء بهذا السبب مالا يعبر عنه، وتقدم مرسوم السلطان بالشكر والثناء على همة العسكر المذكور والإِنعام عليهم وعوّضوا عن الخيول التي قتلت تحتهم.

وفيها جهز لاستخراج العداد[1] من الجواشنه، عرب برقا، أربعون ديوانا، صحبة جمال الدين/ الشقيري وابن عزاز، فاستخرجت بعد ممانعة من القوم ومقاولات، وأنهم لم تجر لهم بذلك عادة لا من الشرق ولا من الغرب، وجملة ما استخرج من ذلك من الغنم مئتا ألف رأس.

٩٢/ب

(١) العداد وهو ما يجبي من العرب والتركمان عن مواشيهم وأنعامهم. كاترومير ١/ ١/ ١٨٩.

ذكر حسنة من حسناته

رحمه الله تعالى

كان النواب بحلب قد أنهوا إليه خراب المساجد والخوانك والمدارس والربط بيد التتار عندما استولوا عليها، وجفل أهلها عنها، وأنها شاغرة من لوازمها، وأشاروا بأن يستخدم بأوقافها عسكر يكون قبالة العدو. فحين وقف على هذا الرأي استشاط، وأعاد الجواب بالإنكار التام، وأن هذه حسنة/ لا يجعلها سيئة، وحذر من اعتماد ذلك والمعاودة فيه، وأرعد وأبرق، ورسم بعمارة معاهد العلم والذكر والصلوات بعمارة أوقافها.

٩٣/أ

ذكر غزاة[1] سيس

قد تقدم أمر تجهيز الملك المنصور، صاحب حماة لغزوة سيس، والتذكرة المكتوبة على يده[2]. ولما كان في ذي الحجة من السنة توجه

---

(١) كذا في الاصل وهو استعمال درج عليه مؤرخو تلك الفترة.

(٢) راجع ما سبق الورقة ٨٨/ ب و ٨٩/ أ.

المذكور وصحبته العساكر المصرية والشامية، أميرها ومأمورها، واقتحم البلاد نزولا ورحيلا، ولما توسطها راسل ملك سيس بما يعود نفعه عليه من الطاعة، والدخول تحت المراحم السلطانية، فاعتقل/ الرسل، وقيدهم، ولم يعط سمعا ولا طاعة، فأخذ الملك المنصور ـ صاحب حماه[1] ـ في التوغل وخراب البلاد السيسية، بلدا بلدا، وقلعة قلعة، وحصنا حصنا، ونهب الأموال، وأسر العيال، إلى أن وصل إلى سيس، وحصل الظفر بولد صاحب سيس ليفون وابن عمه، وقيد. وعاد الملك المنصور ـ صاحب حماه ـ كما بدأ نصره[2] واستظهارا.

٩٣/ ب

وقد غنمت العساكر مالا يعبر عنه من الجواهر والمواشي والأسرى، هذا والسلطان يتصيد في البلاد الحلبية وغيرها. ولما وصل صاحب حماه خرج السلطان لتلقيه، وتلقى من

---

(١) في الاصل «صاحب سيس» وهو خطأ ظاهر.

(٢) لعلها «نصرا».

معه، وأجزل النعم لولد[1] صاحب سيس من نفـائس الأمـوال، وعـامله بما يجب له من الاجلال. / ثم بعـد ذلـك، ولـزومه، وتمام النعمة فيه، توجه السلطان إلى الكرك جريدة، وهي السفـرة التي تقنـطر[2] فيهـا قريب بركة زيزا[3]، وهي الوقعة التي أثرت في رجله، وكان يخمع[4] منها إلى أن مات لسوء تجبيرها. وأقام قليلا ريثما سكن ألمه، وأفاض الخلع على من بالكـرك من النـائب وغـيره، وبسط آمالهم، وتقبل أعمالهم، ورحل عنها راكبا في المحفة إلى غزه، ثم منها قاصدا مقر ملكه. وعندما قرب من قلعتـه نزل ولـده السلطان الملك السعيد لتلقيـه، وصعـد قلعتـه، فلما استقـر أفـاض

٩٤/أ

---

(١) في الأصل «لىدا».

(٢) تقنطر: وقع من ظهر فرسه.

(٣) زيزا قرية كبيرة في البلقاء، وفيها بركة كبيرة يقيم فيها الحجاج سوقا كل عام. ياقوت ٤/ ٤٢٤.

(٤) الاقرب إلى الصحة أن يقول «يظلع» أو «يعرج» لأن «الخمع» يأتي فجأة من عثـور الشخص بعقبـة أمامه أو التواء عصب مفاجىء في القدم وأكثر من يستعمل هذا التعبير بالعامية أهل نجد، يقولون كان فلان سائرا فخمع أي عثر.

النعم، ووفر القسم، وحضر إليه رسل سيس بالقـراعة والسؤال، وطلب المراحم/ في حق ٩٤/ب ليفـون المـاسور، فاحضره بحضرة الرسول، ففك قيد إساره.

وأصبـح قاصدا رمي البندق ببركة الجب، منزلة الحجاج. وفي جمادى الآخر[1] منها شرع في بنـاء جامعـهِ الـظاهـري بالحسينيه بالميدان المعروف بقراقوش، مملوك الملك الناصر صلاح الـدين يوسف بن أيوب، فعمر بعضه جامعا على أحسن الصور، كما تراه، وحكر البعض، وجُعل وقفا على الجامع، واحتفل به إحتفالا أثر هذا التـأثير المشاهد من حسنه، وتمام هيئته. وركب منـه إلى مدرسـة الـظاهرية بخط بين القصرين، وقـد شحنت بالفقهاء في أواوينها الأربـع[2] ومدرسيها، وأيتام سبيلها، فجلس بإيوان الحنفية ثم بإيوان الشافعية، وشكر الله/ ٩٥/أ على الهامه لتأثير هذه المثوبة المتصل عمله بها

---

(١) كذا في الاصل.

(٢) كذا في الاصل بدلا من «الاربعة».

بعد انقطاعه، وبسط آمال من بها، ووصى أن
لا يندفن بها، وأقول: كيف وتربته مقدرة
بدمشق بدار العقيقي من أول يوم محطوم[1] بها
عن التقلب في البلاد ومساومته بمقابلة
الأعداء، ما بين حصار ومساومته بمقابلة
الأعداء، ما بين حصار ومواجهة، أشد سوم.

ومن كتبت منيته بأرض
فليس يموت[2] في أرض سواها

ذكر الموجب لشنق الانان الأعجمي القزويني

هذا الرجل كان يتجسس للتتار، وله
قاعدة، يقال له جلال الدين بن الدوادار،
وكانت الأخبار ترد على السلطان باسم
المذكور/ بحليته ونسبه، فأمسك بالبيره، ٩٥/ب
وأحضر إلى بين يديه، فسأله، فأنكر، وهدده،
وأرعد عليه، وأبرق، وكرر، وهو لا يزداد إلا

---

(١) كذا في الاصل. (٢) في الاصل «بأرض».

إنكـارا، فلما رأى عينهـا أقـر، فأمـر بشنقه، وامساك ابن الدوادار.

وفيها حضر الملك المنصور ـ صاحب حماه ـ لزيارة السلطان بعد الاستئذان في ذلك، فانزل بمنظرة بستان الخشاب، وبودر في كرامته على العادة وزيادة. واستأذن إلى ثغر الاسكندرية ليراها، فأذن له، وكوتب النواب بها باعتماد ما يجب لتعـظيم سلطانـه، وعـاد ريثـما استجّم وتوجّه صحبة السّلطان إلى غزّة واستأذن منها على التوجه إلى القدس والخليل، وتوجه وزار وعاد منها إلى مملكته/ بحماه. ٩٦/أ

ذكر ذلـة الاسماعيليـة
أرباب السكاكين، بعز السلطان[1]

قد علم أن هذه الطائفة لا يصطلى لها بنار، وأنها تأخذ من نفسها لذوي الثأر بالثأر، وأن مسلطهم يجدع مارن[2] أنفه بكفه، ويقضي على روحـه بحـدفـه[3]. وتقـدم أمـر ما اعتمـده

(١) في الاصل «بعز سلطان». (٢) (٣) كذا في الاصل.

السلطان من أبطال القطيعة التي كانوا يؤدونها لبيت الإسبتار عنهم، فرأوا لذلك، وخافوا من قوة سلطانه، وأرسلوا رسولهم، وعلى يده[1] القطيعة، التي كانوا يحملونها للفرنج، لمولانا السلطان، وطلبوا عفوه بأن يكونوا من جملة صنائعه، فقبله، وما أهملهم بل أمهلهم، وما فصلهم في الفتك بل أجملهم، فتلك بيوتهم/ ٩٦/ب خاوية بما ظلموا.

وأقول: لقد دوخ البلاد، ووطد التهايم والنجاد، وألقى ماله[2] في الذب عن دين الله ماله[2] قبل الوساد، فرحم الله تلك الروح، وأحسن تلك العزائم، التي[3] أنامت الرعية في زاوية عافيه بما لتأثيره من فتوح.

---

(١) في الاصل: «وعليه يده».

(٢) احداهما زائدة.

(٣) في الاصل «إلى».

ذكر طلب السلطان حق الله من الزكاة المقارن وجوبها للصلاة، كما جاء في الكتاب والسنة

سير السلطان إلى أمير المدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ـ رجلا من العرب يقال له شكال[1]، في طلب العداد، فأبى عليه، فاستنصر[2] ببني خالد، فلما أمّره[3] السلطان، فأذعن، وخشي العاقبة/ ، وكتب إلى السلطان يطلب من يستأديها، وجهز خيولا نفيسة للتقدمة. ‏٩٧/أ

ولمسير هذه السيرة ـ رحمه الله ـ :

ملك، إذا ذكر اسمه
فالرعب[4] يقذف في القلوب
ويكاد يخرج من مها[5]
بتها إليه من الجيوب

(١) «سكاك» في الروض ٩٣ ب .
(٢) أي «شكال» .
(٣) لعل بيبرس هدد الشريف أمير المدينة بأن يسحب الامارة منه .
(٤) التصحيح من الروض ٩٤ أ وفي الاصل «الرعد» .
(٥) في الروض ٩٤ أ «مخافتها» لعل صحة البيت :
وتكاد تخرج من مهابته إليه من الجيوب

لم يبق إلا من أطا
ع من البعيد أو القريب
فالله ينصره، فإ
نَّ بنصره كشف الكروب

وفي هذه السنة، وهي سنة خمس وستين وستمئة، أمر السلطان بإقامة الجمعة بالجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، وهو الثامن من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وستمئة، بسؤال الأمير عزالدين أيدمر الحلي، جاره[1]، فأقيمت به، وأعيدت إليه، وهو الآن عامر بالذكر، مشحون/ الزوايا بالذكر، وقراءة القرآن والمواعيد. ٩٧/ب

وللأمير ناصر الدين بن النقيب الكناني[2]، وهو من شعراء الزمان، والمخصوص في شعره بفضيلتي البيان والتبيان، وجلة المجيدين فيه والأعيان، وله ديوان شحيم لحيم، ولا ينكر إذا

(١) جار الجامع الأزهر.
(٢) يبدو أن هناك كلمة قد سقطت من الجملة ولعلها كلمة «قصيدة» كما يظهر من سياق الحديث.

كان للأمير الكبير ديوان. ولم اثبتها لأنها نازلة عن طبقته، مرذولة بالنسبة إلى شعره ونصاعته.

وقد ذكر مؤلف السيرة ملخصه[1] مالا غنى عنه في أمر هذا الجامع وغيره مما يتعين أن يستفاد (منه)[2]، وأن يعاد بنصه على سماجة المعاد.

وهذا الجامع هو جامع القاهرة، بنى عندما بنيت في سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة، وأقيمت/ ٩٨/أ الجمعة في هذا الجامع بعد بنائه، وذلك في شهر رمضان المعظم سنة إحدى وستين وثلاثمئة، وجدد فيه العزيز ابن المعز أبي تميم معد، والده مختط القاهره، أماكن، وعلىَّ بناءه، وفيه طلسم يمنع من دخول العصافير إليه[3]، وعليت منارة هذا الجامع في زمن قاضي القضاة صدر الدين بن درباس الهذباني، وكان فيه تنوران من

(١) كذا في الأصل ولعلها ملخصا لا غنى عنه أو ملخص ما لا غنى عنه.

(٢) زيدت لتستقيم الجملة.

(٣) هذا من المعتقدات الباطلة تروى عن ذلك الزمن.

فضه، وسبعة وعشرون قنديلا من فضه أيضاً.

أوقافه بمصر

جزو[1] بدار الضرب، وجزو[1] بقيسارية الصوف، وجزو[1] في دار الخرق الجديدة، ومبلغ أجرة ذلك ألف دينار واحدة، وسبعة وستون دينارا، ونصف دينار، وثمن دينار برسم حصره العباداني/ ، ووقوده وجامكية خطيبه ومؤذنيه. ٩٨/ب

وذكر مؤلفها أنه رأى كتاب وقفه عند نجم الدين بن الحلي، وانتقل إلى قاضي القضاة تقي الدين بن رزين، ولم يبق من هذه الأوقاف شيء لمّا أحرقت مصر. ولم تزل الخطبة به إلى أن بنى الحاكم أبو علي المنصور بن العزيز بن المعز جامعه المسمى بجامع الأنور، خارج باب الفتوح، كما يشهد بذلك ما هو مكتوب على بابه ومنبره، وكان بناء هذا الجامع في سنة ثلاث

(١) كذا في الاصل والمقصود «جزء» راجع الروض ٩٥/ أ.

وأربعمئة .

وتضمنت سيرة الحـاكم أن أبـا الفرج بن كلس الـوزير اختط بناء هذا الجامع ، في يوم الاحـد العـاشر من شهر رمضان المعظم سنة تسـع وسبعين وثلاثمئة . فانتقلت إليه الخطبة من الجـامـع الأزهر، وكان/ الخليفة في شهر رمضان يخطب في الحاكمي جمعة ، وفي الأزهر جمعـة ، وفي الـطولـوني جمعـة ، وفي جامـع (مصر)[1] جمعـة ، وبنى باب الفتوح بعد بناء هذا الجامع ، وحازه في زمن المستنصر في وزارة أمير الجيوش سنة ثمانين وأربعمئة . ٩٩/أ

ذكر سفر السلطان إلى صفد المحروسة ، لتشييد قواعدها ، وترتيب أمورها

كان توجهه إليها ، في رجب سنة خمس وستين وستمئة ، بهذا السبب ، فبينا هو في لمّ شعثهـا ، وتجديد بنائها ، إذ ورد الخبر إليه أن

(١) الروض ٩٥/ب .

التتار المخذولين نازلوا الرحبة[1]، وأحاطوا بها، فلم يلبث أن كتب إلى النائب بدمشق بتجهيز الأمور، وركب فوصل دمشق في أحد عشر يوما، وتواصل الجيش/ إلى دمشق، وعزم ٩٩/ب وجزم، فورد الخبر برحيل التتر عنها عندما بلغهم اهتمام السلطان ومبادرته، ولما تحقق ذلك عاد إلى صفد لإتمام ما شرع فيه ومشاهدته.

ذكر شيء من مخاتلته

كانت رسل عكا قد وصلت إليه لتسأل المهادنة والصلح خوفا منه ورهبة، وكان قد بلغه أن الفرنج أغارت على الشقيف، فأنكر على رسلهم ذلك، فتنصلوا، وحلفوا، ثم أغفلهم، وسار في الليل هو وجيشه، بحيث لم تشعر الرسل، وأهل عكا مطمئنين[2]، وقصد عكا فقتل من بمرجها/ وحولها، وحرق ١٠٠/أ

(١) الرحبه : ويسميها ابو الفداء الرحبة الجديدة، على نحو فرسخ من الفرات، وهي بلدة صغيرة، ولها قلعة على تل ترابي، استحدثها شيركوه بن أحمد ابن شيركوه، وهي من ثغور البلاد الاسلامية في تلك الفترة، التقويم : ٢٨١ .

(٢) كذا في الاصل .

أشجارها، وهدم بناء ظاهرها، وأنكى فيهم النكاية التامة، مجازاة لإغارتهم على الشقيف.

ذكر مهادنة صور[1]

ترددت رسل القومص صاحبها في هذا المعنى، وكان من نواب السلطان بتلك الأطراف انسان يقال له السابق شاهين، فاتفق أن قتل بيد بعض الفرنج، وكان السلطان يطالب بديته لأولاده، وتردد الرسل في الصلح، وهو يأبى إلا بعد الدية، فأجابوا بعد أن أشرفوا على التلاف، وتقررت ألف دينار مصرية، عنها خمسة وعشرون ألف دينار صورية، وحمل من ذلك سبعة عشر/ ألف دينار، وجماعة من الأسارى المغازية، كما استقر، وحصلت المهادنة، وتقررت بلوازمها. ١٠٠/ب

وفيها هودن الفرنج على صور والمرقب لمدة عشر سنين.

---

(١) صور من المدن المشهورة بين ثغور المسلمين، تشرف على البحر، ويحيط بها من ثلاث جهات، وهي لذلك حصينة، وتعد في زمن ياقوت من أعمال الاردن. وهي شرقي عكة، بينهما ستة فراسخ. ياقوت ٥/ ٣٩٧.

ذكر أمر مالك بن منيف ،
وتوليته نصف الأمره بالمدينة النبوية
ـ على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ـ

كانت أمرة المدينة النبوية شركة بين الشريفين جماز ومنيف، ولما توفي منيف كان ولده بدر الدين مالك[1] صغيراً، فاستولى عليها جماز، ولما كبر مالك لم يجبه جماز إلى الشركة، فحضر إلى السلطان، وهو على خندق صفد، وأحضر الخيول المسومة/ النجدية، ١٠١/أ واستجار بالسلطان في إعادة حقه إليه من ذلك، فأجاره، ورأى لقدومه، وراعى شرفه، وللوقت أمكنه من نصف أوقاف المدينة النبوية بالديار المصرية، وكتب إلى جماز بالصورة، وجزم أن لا بد من ذلك، فأجاب إليه، وتوجه مالك بن منيف، واستقر في مشاركة الأمرة بها، وذلك سنة ستة وستين وستمئة[2].

وفيها وصل العداد المستخرج من المدينة كما تقدم من المال والجمال.

---

(١) في الاصل «بملك» وصححت من السطر التالي.

(٢) كذا في الاصل بدلا من «ست وستين».



ذكر تجديد عمائر
مدينة الخليل عليه السلام

كانت أماكن بحرم الخليل قد وهت لطول المدة وتقادمها، فبادر السلطان إلى اكتساب حسنة/ تجديد ما به من المقاصير، وغير ذلك، ١٠١/ب فجددت على أحسن الصور بالجملة الكبيرة.

وفيها ورد [من][1] نواب القدس الشريف ان الماء انقطع عنه، وظب[2] بئره، وأن الحاكم هنالك أنزل إلى البئر من يكتشف أمرها، وأن الذين نزلوا وجدوا بالبئر سدا قديما متقنا من زمن بخت نصر، الذي خرب البيت المقدس، وأنه اجتهد في فتحه إلى أن بلغ الجبل، وأن الماء تفجرت عليهم ينابيعه، فصعدوا في سلاليم بأقصاه وكاد أن يغرقهم، وأن منبعه من تحت الصخرة المطهرة.

وفيها احتفل السلطان بأمر جسور نيل الديار المصرية، واستجد بها أبحرا كالنقيدى،

(١) زيدت «من» لتستقيم الجملة. ويمكن أن تكون «أورد».

(٢) لعلها «نضب».

ووسع خلجا[1] كالسردوس/ ، وفتح تراعا[2] ١٠٢/أ طال سدها كالكافوري، واستجد قناطر على بحر أبي الرجا، ومر[3] على بحر أبي الرجا، وعلى بحر أمواس، وعلى جسر دمياط، ستة عشر[4] قنطرة.

ذكر شيء من سعادة السلطان

لم تخف مشقة خفض ما للشريعة[5] للمصعد والمنحدر، سيما عند زيادته، سيما للعساكر المنصورة، واقتضت همة السلطان العالية أن يُبنى عليه جسر أبدي، وكتب إلى النواب بالشروع في ذلك، وورد جوابهم بأن ذلك لا يستطاع، فأنكر عليهم، وغلظ، وتوعدهم، فحضروا بالآلات والأصناف، فرأوا الأمر مهولا، والسلطان يكتب أن لا بد من ذلك،

---

(١) كذا في الاصل، والمقصود «خلجانا».

(٢) هكذا في الاصل بدلا من «ترعا».

(٣) هكذا في الاصل، ولعلها «وأمر أن يبني».

(٤) هكذا في الاصل.

(٥) المقصود نهر «الشريعة».

فبيناهم/ حول النهر يعملون الفكرة وإذا بالماء ١٠٢/ب
قد انقطع، وجف موضع الغرض، فانتهزوا
الفرصة وحفروا الأساسات، وأرسوا القواعد،
واستمر قطع الماء من نصف الليل إلى الرابعة
من صباحه، فنهض العمل واستبد، ثم تخرق
الماء كالجبال، واستطلعوا الخبر في قطعهِ، فإذا
جبل قد انهار من جهة القدس، وانقطع الماء
بقدرة الله، إلى أن تمم الله بسعادة السلطان هذا
العمل، ثم رجع على ما كان.

ذكر طاعة
الملك المظفر شمس الدين بن رسول
ـ صاحب اليمن ـ

كان والد المذكور أمير جاندار الملك
المسعود/ بن السلطان الملك الكامل ناصر ١٠٣/أ
الدين بن الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب بن
شادي عندما ملكه والده اليمن، وأتفق أن
الملك المسعود أراد الحضور إلى الديار المصرية
من جهة مكة ـ شرفها تعالى ـ فحضر، وقدرت

وفاته بمكة، وتغلب المذكور على ملك اليمن، وورثه ولده المذكور، ولما ملك السلطان وصل رُعبهُ إليه، فأخذ في التهادي والتهاني إلى الصدقة[1]، فأرسل رسله بنفيس الهدايا اليمنية والخيول والفيلة، وكاتب يسأل الصداقة، فأجيب، وقبلت هديته، وعوض عنها أحسن عوض، وسير ما التمسه من الخلعة والصنجق[2]، وكان من جملة سؤاله طلب قميص من ملابس السلطان، الملاصق لجسده، / الشريف، المنهوك في جهاد أعداء الله ١٠٣/ب الفرنج والتتر، فأجيب، وسير له مع جواشن وخود وآلات سلاح، وكتب له: «قد سيرنا إليك آلة السلم والحرب».

وعقيب وصول هذا الرسول وصل ابن الماكساني التاجر، وصحبته هدية أخرى، ومن

(١) لعلها الصّداقة.

(٢) يقول القلقشندي: «وقد يعبر عن الألوية بالسناجق، والسنجق باللغة التركية معناه الطعن، سميت الراية بذلك لأنها في أعلى الرمح، والرمح هو آلة الطعن يسمى بذلك مجازا، صبح ٢/١٢٨ ويقول في تعداد الرايات «رايات صفر صغار تسمى السناجق» ٤/٨.

جملتهـــا شيء له قيمـــة جزيلة من جهـة أم[1] صاحـب اليمن، وسـألت صرف ثمنهـا في المجاهدين والغزاة، فأجيبت، وأنفقت فيهم، وأشترى ببعضها أسرى من بلاد الفرنج.

ذكر الضيعة المستجدة بناحية الدير[2]، والعباسة المعروفة الآن بالظاهرية

كان طلب الصيد قد أدى بالسلطان إلى هذه الجهة/ ، فراقت له رقة نسيم فضلة الصبا المارة عليهـا، فاختط بها ضيعة وجامعا وسوقا، ولم تزل العباسة وتلك الخطة مستنزه الملوك، وبها ولد العباس بن طولون، وبه سميت، والملك الأمجد تقي الدين عباس بن العادل وكان الملك الكامل ظنينا[3] بها، ويقول: ١٠٤/أ

«هذه قفل ديار مصر، إذا أقمت بها أصطاد الـطير من السـماء، والسمـك من المـاء،

---

(١) في الأصل «أو» بدلا من «أم» والتصحيح من الروض ١٠١/ أ .

(٢) قرب العبّاسة، الروض ١٠١/ أ .

(٣) في الاصل «ظنين» .

والوحوش من الفضاء، ويصل الخبز من قلعتي إليّ بها وهو سخن».

ذكر فتح يافا والشقيف

أما يافا فإنها ضالة المسلمين، قيل إن عمر ابن عبدالعزيز - فتحها[1]، وقيل معاوية، ثم تغلب الفرنج عليها/ ، ونازلتها ملوك كالناصر ١٠٤/ب صلاح الدين والعادل أخيه وغيرهم[2]، ولم يتفق فتحها، وخبّئ للسلطان.

وكان السلطان قد تجهز لما بلغه من حركة التتار المخذولين، وجدّ السير، وكتب إلى نائب دمشق بتجهيز[3] العساكر، فلما وصل إلى قريب يافا بلغه من النواب المجاورين سوء مجاورة يافا وتعديهم، وأمدادهم الاعداء، وتعديهم، وأن صاحب يافا القمص هلك، وأقيم له ولد صغير، فحمل السلطان ما بلغه من تعدي قوم

---

(١) في الاصل «افتحها».

(٢) كذا في الاصل بدلا من «غيرهما».

(٣) في الاصل «تجهيز» بدون الباء:

على منازلتها[1]، فسألوا الامان، فأجيبوا، ونزلوا كما اقتضاه أمانه، وشرع في هدمها، فهدمت، وأراح الله البلاد من سلعتها[2].

وأما الشقيف فإن السلطان كان قد تقدم إلى/ العسكر الشامي بقصدها، والنزول ١٠٥/أ عليها بالمجانيق، وأن لا يحدثوا أمرا غير الحصر، فرحلوا إليها وأحاطوا بها إلى أن وصل السلطان إليهم، فلما حضر جرى على العادة في مباشرة الأمور بنفسه، ورتب المجانيق، وأحاط بقلعتي الشقيف القديمة والمستجدة، العساكر، وشرع في القتال، وحصل الاجتهاد.

ولما أشرفت[3] أحد[4] القلعتين، وهي المستجدة، خربوا بيوتهم بأيديهم، وحرقوا حواصلهم، وسلموها، وهرب البعض وقتل البعض.

---

(١) في الاصل «منازلتنا».

(٢) كذا في الاصل، ولعل المقصود «شرها».

(٣) لعل الاصل «أشرفت على السقوط إحدى».

(٤) كذا في الاصل، والصحيح «احدى».

وأمـا القلعـة الثـانية، وهي القديمة، فإن العمل المتفرق موفر عليها القتال، وألجئت إلى أضيق الأحوال، وكان الديويه بعكا قد سيروا كتبا على يد مسلم، يقال له أبو المجد، وفيها/ ١٠٥/ب أمـايـر وإشـارات فاقتضى اسـلام المـذكور، وسعـادة السلطان، أن حملت إليـه وعربت، وكـتب بالعكس مما تضمنتــه، وحملت إليهم فتحيروا واعتمدوا عكس ما كانوا عليه.

ثم ان الفرنج سألوا على لسان الأمير بدر الـدين بيليـك الخـزندار، نائب السلطنة بأن يعفوا من القتال تلك الليلة، وأنهم في غدها يعتمدون ما يرضـي السلطان، فلم يلو[1] على ذلك، وظن أنها مكيدة، أو تدارك ثلمة تهدمت بعـمارتهـا، وجد في القتال، وضاعف أسباب النكاد، فلما تهدم صورهم[2] أو كاد، وأحاط بهم النكـال بما له من إنكـاد، سلموا بعد أن كادوا أن يسلمـوا انـما إليـه أسلمـوا، وسألوا

(١) لعل المقصود من «يلو» «لم يلتفت».

(٢) هكذا بدلا من «سور».

الأمان فأجيبوا، وخرجوا منها، ونزحوا عنها، وتسلمها السلطان، وهدمها/ ، ولم يبق لها أثرا. ١٠٦/أ

ذكر الاغارة على طرابلس الشام

هذا الحصن كان للاسلام قديما، وآخر من كان به بنو عمار، وحاصره بعض ملوك الفرنج عدة سنين، وبنى أمامه حصنا لطول مدة المحاصرة، فلما أعيى بنى عمار ذلك تركوا فيه واحدا منهم، وذهبوا ليستنصروا ويستنجدوا، وكان الذي تركوه منهم بها مختلا، فقام بأعلاها، ونادى الفرنج: «أن ادخلوا وتسلموا» فتسلموها. وآخر من ملكها بيمند ابن بيمند الإبرنس.

ولما أفضت نوبة الملك للسلطان الملك الظاهر، صاحب هذه السيرة، وأيد الله به الاسلام. وصار[1] يبلغه عن بيمند هذا من

(١) لعل الواو هنا زائدة.

سوء الجيرة، وكثرة التعدي/ ، والتعرض إلى ١٠٦/ب من يقصد أبوابه، حتى أنه[1] ظفر برسل أتوا من الكرج، وقد انكسرت مركبهم، فأخذهم، وأخذ ما على يدهم من الكتب الواردة إلى السلطان، وسيرهم وسيرها إلى هولاكو ملك التتار، فأتى على نفوسهم ونفوس مرسليهم، إلى غير ذلك من مجاهرة، فاقتضت الغيرة الاسلامية، والحمية الإيمانية، أن تهيأ لقصدها، وأسر في التهيئة خلاف ما ظهر منها، وأقتحم إليها الجبال والأودية، وفرق العساكر الاسلامية، فأحاطوا بها الهلاك، وأسروا ونهبوا وأرعدوا وأبرقوا، واستولى على أكثر بلادها، وتركها بما أقتضاه الحزم وعاد.

ذكر قصد السلطان أنطاكية بعد التمويه بغيرها / ١٠٧/أ

قد تقدم ذكر الإغارة على طرابلس، وانهاك قواها، ورحيله عنها، من غير أن يعرف إلى أين.

---

(١) أي بيمند.

موّه السلطان بضرب عدة دهاليز، جعل باب كل دهليز إلى ناحية، لتحيير الأفكار. ثم فرق عساكره قاصدا أنطاكيه، وهي في مملكة الإبرنس صاحب طرابلس، فتوجهوا موغلين في القتل، والاسر، وخراب الديار، وتعفية الآثار.

وقصد السلطان أنطاكية بنفسه، فنزل بها مستهل رمضان سنة ست وستين وستمئة، وكان استاد[1] داره الامير شمس الدين أقسنقر الفارقاني قد وجد في توجهه جماعة من فرسان أنطاكية، فضرب معهم رأسا، فأهلكهم عن آخرهم، وأسر كند اسطبل، نائبها.

واجتمعت العساكر على أنطاكية من كل جانب وكان/ ، وحصل الزحف، وملكت ١٠٧/ب الأسوار، وأخذت البلد، وقتل من بها من الجمع الكبير الكثير، ثم حصرت القلعة،

---

(١) أو استاد دار الصحبة: يلقب به متولي مطبخ السلطان، وسمي به لملازمته بابه سفراً وحضرا، ويشرف على الشراب والطعام، ويمشي أمام السلطان إليه، ويقف على السماط. صبح ٤/ ٢٠ ـ ٢١، ٥/ ٤٥٧.

فأخذت بالأمان، واستقرت في قبضة الاسلام.

وأمر السلطان بالكتابة إلى الإبرنس عزاء بفتحها، وخسرانا له بربحها، من إنشاء مؤلفها - رحمه الله - ما كان أدراه بمواقع الكتابة! وأظفره بمضان الإصابة! وأنكاه بدسائس كتبه! ودفائن تفتيشه عن مقاصد ملكه وتطلبه! وعند الفرنج أنه لا يجعل إبرنس إلا صاحب أنطاكيه، فخاطبه مؤلفها بالقومص لخروج أنطاكيه عنه.

ويعترض ذلك ما حكاه لي - رحمه الله - قال: «كان السلطان قد جهزني رسولا صحبة الأمير فارس الدين أتابك إلى طرابلس، عند تقرير هدنة طرابلس»، وأن السلطان الملك الظاهر دخل معهما/ متنكرا في صورة سلاح دار، ١٠٨/أ ليكشف حال البلدة، ويخبر جهاتها، ومظان أخذها، وأنه لما أحضره الإبرنس للحديث فيما وصلا فيه، واستقر الأمر، والسلطان واقف ينظر على رأس الاتابك، ويسمع، إنه أخذ،

فكتب: «واستقرت الهدنة بين مولانا السلطان وبين القومص». ولم يكتب «الإبرنس»، إن صاحب طرابلس لمحها، واستشاط، وقال: «من هو القومص». فقلت له: «أنت». قال: «لا. أنا إبرنس»، قلت له: «الإبرنس السلطان الملك الظاهر، لأن الإبرنسيه هي لصاحب القدس وأنطاكية واسكندرونه، وهو مولانا السلطان». فنظر إلى جيشه الواقف، فارتج المجلس. قال: فغمز السلطان الأتابك برجله، فقال الأتابك: «يامحيى الدين، صدقت، وإنما مولانا السلطان/ قد أنعم على ١٠٨/ب هذا بلفظة الإبرنس، كما أنعم عليه بتوطينه في مملكته». فقلت للأتابك «إذا عملت هذا فلا بأس». وكتبت عوض القومص الإبرنس.

قال مؤلفها: «ولما انفصلنا، وحل مولانا السلطان لمخيمه، أخذ مولانا السلطان يحكيها لأمراء دولته، ويضحك، ويلتفت إليّ، ويقول: «هذا كان وقته، لعن الله الإبرنس

والقومص». إنقضت الحكاية.

ونعود إلى إثبات نسخة الكتاب وهي:

«قد علم القومص[1] فلان أكبر الطائفة العيسوية، المنتقل إلى اللفظة القومصية، ألهمه الله رشده، وقرن بالخير قصده، وجعل النصيحة محفوظة عنده، ما كان من قصدنا طرابلس، وغزونا له في عقر الدار، وما شاهد بعد رحيلنا من إخراب العمائر، وهدم الأعمار، وكيف كنست تلك الكنائس/ من على بساط الأرض، ودارت الدوائر على كل دار، وكيف جعلت تلك الخسائر[2] على جانب البحر من الأجسام كالجزائر، وكيف قتلت الرجال، واستخدمت الأولاد، وتملكت الحرار[3]، وكيف قطعت الأشجار، ولم يترك إلا ما يصلح لأعواد المجانيق - إن شاء الله -، والستائر،

١٠٩/أ

(١) قارن ما ورد هنا بما ورد في الروض من القاب ١١٠/ب.
(٢) «الجزائر»، الروض ١١١/أ.
(٣) «الحرائر»، الروض ١١١/أ.

وكيف نهبت[1] الأموال والحريم والأولاد والمواشي[2]، وكيف استغنى الفقير، وتأهل العازب، واستخدم الخديم، وركب الماشي، هذا وأنت تنظر نظر المغشي عليه من الموت، وإذا سمعت صوتا قلت فزعا عَلَيّ هذا السوط[3]، وكيف رحلنا عنك، لكن رحيل من يعود، وأخرناك وما تأخيرك إلا لاجل[4] معدود، وكيف فارقنا بلادك وما بقيت فيها ماشية إلا وهي بين أيدينا ماشية/ ولا جارية إلا وهي في ملكنا[5] جارية، ولا سارية إلا وهي بين أيدي المعاول سارية، ولا زرع إلا وهو محصود، ولا موجود لك إلا وهو منك مفقود، وما منعت تلك المغائر التي هي في رؤوس تلك الجبال الشاهقة، ولا تلك الأودية التي هي في التخوم مخترقة، والعقول خارقة، وكيف سقنا ١٠٩/ب

(١) «لك ولرعيتك» الروض ١١١/أ .

(٢) «الحواشي» صبح ٨/ ٣٠٠ .

(٣) «الصوت» الروض ١١١/أ .

(٤) «إلى أجل» الروض ١١١/أ .

(٥) «الروض ١١١/أ في الاصل «ملكها» .

عنك ولم يسبقنا إلى مدينتك أنطاكية خبر، وكيف وصلنا إليها، وأنت (لا)[1] تصدق أننا نبعد عنك، وأن بعدنا فسنعود على الأثر، وها نحن نعلمك بما تم، ونفهمك بالبلاء الذي[2] عَمّ.

كان رحيلنا عنك من طرابلس في يوم الاربعاء رابع عشرين شعبان، ونزولنا أنطاكية في مستهل شهر رمضان المعظم، وفي حالة النزول خرجت عساكرك/ للمبارزة فكسروا، وتناصروا فما نصروا، وأسر من بينهم كنداسطبل، فسأل في مراجعة أصحابك، فدخل إلى المدينة، فخرج هو وجماعة من رهبانك، وأعيان أعيانك[3]، فتحدثوا معنا، فرأيناهم على رأيك من إتلاف النفوس بالغرض الفاسد، وأنهم[4] رأيهم في الخير مختلف، وقولهم في الشر واحد، فلما رأيناهم قد فات فيهم الفوت، وأنهم قد قدر الله عليهم

١١٠/أ

(١) «لا» من الروض ١١١ ب . (٣) «اعيان اعوانك» النويرى ٧٨ .
(٢) «الذي عليك عم» مفضل ٥١٦ . (٤) «وأن» النويرى ٧٨ .

المـوت، رددنـاهم، وقلنـا نحن الساعة لكم نحاصر، وهذا هو الأول في الأنذار والآخر.

فرجعوا مشتبهين بفعلك، ومعتقدين أنك تنجدهم بخيلك ورجلك، ففي بعض ساعة مر شأن المرشان[1]، وداخل الرهب الرهبان، ولان[2] للبلاء القصطلان، وجاءهم الموت من كل مكـان/ ، وفتحنـاهـا بالسيف في الساعة ١١٠/ب الـرابعـة من يوم السبت، رابع شهر رمضان المعـظم، وقتلنـا كل من اخـترتـه لحفـظهـا، والمحاماة عنها، وما كان أحد منهم إلا وعنده شيء من الدنيا، فما بقي أحد منا إلا وعنده شيء منهم ومنهـا. فلو رأيت خيالتك وهم صرعى تحت أرجـل الخيـول، وديـارك والنهـابة فيها تصول، والكسابـة فيها تجول، وأموالك وهي توزن بالقنطار، وداماتك في كل أربع[3] منها تباع، فتشتري من مالك بدينار.

---

(١) لعلها تحريف «المارشال».

(٢) «للبلاء» الروض ١١١ وفي الأصل: «البلاء»

(٣) «فكل أربع» الروض ١١٢/أ.

ولو رأيت كنائسك وصلبانها وقد كسرت، وصحفها من الأناجيل المزورة وقد نشرت، وقبور البطارقة وقد بعثرت. ولو رأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القدّاس، والمذبح وقد ذبح فيه الراهب والقسّيس والشمّاس، / 111/أ
والبطارقة وقد[1] دهموا بطارقة، وأبناء المملكة وقد دخلوا في المملكة. ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تحترق، والقتلى منكم بنار الدنيا قبل نار الآخرة تحترق، وقصورك وأحوالها قد حالت، وكنيسة بولص وكنيسة العصيان[2] وقد نزلت[3] كل منها وزالت، لكنت تقول: «ياليتني كنت ترابا، ويا ليتني لم أوت بهذا الخبر كتابا». ولكانت نفسك ذابت[4] من حسرتك. ولكنت تطفي تلك النيران بماء عبرتك.

ولو رأيت مغانيك، وقد أقفرت من مغانيك، ومراكبك، وقد أخذت في السويدية

(١) «دوهمو» الروض ١١٢/أ.
(٢) «القسيان» الروض ١١٢/أ.
(٣) «زلت» الروض ١١٢/أ.
(٤) «تذهب» الروض ١١٢/أ.

بمراكبك، فصارت شوانيك[1] من شوانيك، و[2] لتيقنت أن الإله الذي أنطاك أنطاكيه منك استرجعها، والرب/ الذي أعطاك قلعتها منك ١١١/ب قلعها، ومن الأرض اقتلعها. ولتعلم أنا قد أخذنا ـ بحمد الله ـ منك ما كنت أخذته من حصون الاسلام، وهو در كوش[3]، وشقيف كفر دبين، وجميع ما كان لك في بلاد أنطاكية، واستنزلنا أصحابك من الصياصي، وأخذناهم بالنواصي، وفرقناهم في الداني والقاصي، ولم يبق شيء يطلق عليه اسم العصيان إلا النهر، فلو استطاع لما تسمى بالعاصي، وقد أجرى دموعه ندما، وكان يذرفها عبرة صافية، فها هو أجراها بما سفكناه فيه دما.

وكتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة وطول العمر، بكونك لم يكن لك في انطاكية في هذه المدّة إقامة وكونك ما كنت بها، فتكون أما قتيلا واما أسيراً وإما

(١) «الشواني» السفن. (٣) ديركوش الروض ١١٢/ أ.
(٢) بدون «و» في النويري ٧٩.

جريحا وإما كسيرا، / وسلامة النفس هي التي ١١٢/أ
يفرح بها الحي إذا شاهد الأموات[1]، ولعل الله
ما[2] أخرك إلا لأن تستدرك من الطاعة والخدمة
ما فات.

ولما لم يسلم أحد يخبرك بما جرى خبرناك،
ولما لم يقدر أحد يباشرك بالبشرى بسلامة
نفسك، وهلاك ما سواها بشرناك بهذه
المفاوضة وباشرناك، لتتحقق الأمر على ما
جرى، وبعد هذه المكاتبة لا ينبغي لك أن
تكذب لنا خبرا، كما أن بعد هذه المخاطبة يجب
أن لا تسأل غيرها مخبرا[3].

ولما وصل انقضى[4] الكتاب بهدّه ورعده،
وبلوغ حد أحرفه، التي هي أنكى من حرف
السيف، إلى حده. فرحم الله كاتبه لقد جاد إلى
الغاية، وأرى المكتوب إليه الآية في تعزيته حتى

---

(١) هكذا في الروض ١١٢/ب وفي الاصل «الميت».
(٢) «انما اخرك» صبح ٨/٣٠٢.
(٣) «عما جرى» صبح ٨/٣٠٢.
(٤) لعل الجملة هكذا: «ولمّا وصل الكتاب إنقضى بهدّه ورعده»:

في نفسه/ ، فالآية ، فوا أسفي لقد أخلى الديار ١١٢/ب
حقيقة لا مجازا، وأعدم البلاغة أطنابا وإيجازا ،
فلا عين لكتابة ولا أثر، ولا خبر ولا خبر، ولا
سور ولا صور، ولا ولا ولا ، وأقول: فاسردها
على الولاء.

وأما طرابلس فاستمرت في هدنة الملك
الظاهر، ومات، وهي مهادنة ، فانقضت في
دولة مولانا السلطان الملك المنصور قلاوون
-رحمه الله- فحضر رسله إليه، وهو بدمشق ،
وهم الوزير غراب وأتباعه من الغتم[1]
وغيرهم.

وكنت كاتب إنشاء حينئذ في صحبته ،
فحضروا ، وحضرت ثاني الصاحب فتح الدين
ابن عبدالظاهر، قريبي -وهو صاحب ديوان
الإنشاء، فاستخبر السلطان ما الغرض في
حضورهم، بالتركي/ ويعبر عنه بالعربي، ١١٣/أ
فقال الوزير غراب:

(١) كذا في الاصل .

«الغرض في الحضور سؤال مولانا السلطان في أن يجري محب عز سلطانه بالمهادنة مجرى أخيه الملك الظاهر».

فقال السلطان بالتركي:

«أنا إلى الآن ما فتحت حصنا، فما خرجت إلا على نية فتح هذا الحصن».

فضرعوا وخضعوا وتشفعوا بأمراء الحل والعقد الحاضرين في إجابته إلى أجل معدود، فأجاب، وأخرج الرسل هدنة الملك الظاهر التي بيدهم طمعا أن يجروا على ما تضمنته من الهدنة، فامتنع الصاحب فتح الدين، وقال:

«نجيبكم عليها إلا عرقا، وإن تضمنتها الهدنة».

وخبر هذه عرقا أن الهدنة الظاهرية كان قد اشترط عليها عند المهادنة القيام بمال جم، وجماعة من الأسرى/ المسلمين، وتوجه معهم ١١٣/ب في ذلك الوقت الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار ـ رحمه الله ـ للتحليف، وأخذ

المال والأسرى، فأقام مدة أشهر، وهم يسوفون وينتظرون العوارض على عادتهم، فتحيل الأمير سيف الدين، وخرج هاربا، فاحتاط الملك الظاهر على هذه عرقا، وهي أجل بلادهم، ومادة طارفهم وتالدهم.

وكان جواب هذا الرسول عن هذا الفصل للصاحب فتح الدين:

«إن طول إقامة الامير سيف الدين إنما كان لتحصيل الأسرى من أقصى البلاد الفرنجية».

فقال له:

«لم لا سيرتوهم بعد ذلك».

فقال الوزير غراب:

«نحن نقوم الآن بالمال والأسرى، وتبقى الهدنة عندكم إلى أن أسير ذلك،/ لكن تحاسبونا على ما قبضتموه من هذه عرقا، في طول هذه المدة، ومهما فضل سيرناه». ١١٤/أ

فانزعج الصاحب فتح الدين لهذا القول

لأنه يفضل علينا، وأوحاه إلى السلطان، فنهر الرسل، وسل عليهم السيف وطردهم فقاموا ففرطت مني كلمة وهي:

«ان هذا مجلس تناصف ومعدلة ومهادنة وجواب».

ولم يسمعها مني إلا الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري، وكان رأس المشورة، وأكبره[1] قدرا، وأفهمه، فناداني، فامتنعت من التقدم، وأخذ يستفهمني عما قلت، وأنا أجمجم، وخاطب السلطان في ذلك، وأمر بعود الرسل، فعادوا، وناداني بلقبي، وقال:

«جاوب هذا الرسول».

فامتثلت، وقلت:

«ياوزير، ان[2] طلبت المحاسبة على المال المأخوذ من عرقا؟» / فقال: ١١٤/ب

«نعم»

---

(١) كذا في الأصل، والضمير يعود إلى مجلس المشورة.

(٢) يبدو أنها «أنت».

فقلـت :

«أنت تعلم أن الهدنةكانت بشرط، وهو المال والأسرى، ولم تقوموا به، وكان الحال يقتضي نقض المهادنة كلها، ثم والملك الظاهر لم يحتازها[1] إلا نكاية لا أن يحاسبكم بما يستخرج منها، ثم والتقاوي بأرضها إنما هو من مال الملك الظاهر وعوامله ونوابه، والأرض فلسيفه بمقتضى الإخلال بالشرط».

فبهت الذي كفر، والتزم بالمال والأسرى بكماله، وأعجب السلطان افحام هذا الرسول، وشكر، فقبلت الأرض، ورسم لي بالتوجه صحبة الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار لتحليف الإبرنس، فقبلت الأرض ثانيا. وكان لي عن التوجه بمساعدة قريبي فيما عذق به ما عدا لي ثانيا/ .   ١١٥/أ

ثم مات الإبرنس، وانحلت مهادنته للملك المنصور، وخرج من بها عن شروط الهدنة،

(١) كذا في الاصل بدلا من «يحتزها».

وأساءوا الجوار، فقصدها السلطان الملك المنصور، فحاصرها أتم حصار، واستعان عليها بالمهاجرين المجاهدين معه والأنصار، ولم يزل أو[1] فتحها في سنة ثمان وثمانين، وهي الآن دار إسلام - رحم الله مهادنها وفاتحها وملازمها ومبارحها.

واعتمد السلطان في مغانمها، وتفرقتها على الوجه الشرعي، وكان مكسبا عظيما من المتاع والجواهر والورق والعين، وحلف وحلّف أن لا يخفى الناس شيئا. ثم بعد ذلك طلع إلى القلعة فأحرقها، وأحرق المدينة.

وفي هذه الغزوة عند الانفصال منها سأل النواب في تسليم ديركوش، وشقيف كفردبين/ ١١٥/ب وشقيف كفر تلميش، وهذه الثلاث جهات كان صاحب طرابلس قد استولى عليها، واغتصبها من يد الاسلام، فعندما[2] استولى التتار على حلب سنة سبع وخمسين وستمئة،

(١) هكذا بمعنى «حتى».

(٢) يبدو وأنها «عندما» بدون الفاء.

وكانت مادتها من أنطاكية، فعندما أخذت أنطاكية، علموا أنهم مأخوذون لا محالة، وقلبوا الماء على لحاهم، لما حلقت لحية جارهم، وعلموا أنه لم يكن شك في دمارهم، وتسلمها السلطان بالامان، ونظمت في سلك الممالك الاسلامية.

وأما قصير أنطاكية فهي بلد البطرك، ويزعمون أن بيدهم كتاب[1] من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- باستقرار البطرك، فإنه خطب مودة السلطان ورحمته، وسأل الانضمام إلى كنف عفوه، والتزم حمل الغلال/ إلى الحصون الاسلامية، فأجيب ١١٦/أ وهودن على نصف القصير في ذلك الوقت[2] ولم يكن بها الآن غير المسلمين.

وفيها الفرنج الديوية من بغراس خوفا ورعبا لما سمعوه من أخذ أنطاكية وما حولها،

(١) كذا بدلا من «كتابا».
(٢) في الاصل «للوقت».

وتـركـوهـا عاملة آهلة، وحضر شاب فأعلم السلطان بأمـرهـا، فسير الأمير شمس الدين اقسنقر استاددار فوجدها عامرة آهلة، ولم يكن بها غير عجوز، وكان على أهل حلب من هذه القلعـة أعظم مضرة، وغزيت قديما وحديثا، فلم يصطلى[1] لاقتداح زند سهام مقاتليها بنار، إلى أن أتاحتها الأقدار وجاءت عفوا صفوا في قيد الإسار.

ذكر مفاداة سنقر الأشقر بابن صاحب سيس /

١١٦/ب

قد تقدم أمر أسار ليفون بن صاحب سيس في إغارة الملك المنصور ـ صاحب حماه ـ واستمر هذا ليفون في الخدمة الظاهرية، بغير إسار في أمرة وإقبال وإنعام. وكان شمس الدين سنقر الأشقـر العـلاي أحد مرتجعة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل بن

---

(١) كذا في الاصل بدلا من «يصطل» .

العـادل بن أيوب قد أسره التتار نوبة حلب، ودام إسـاره إلى الأيـام الـظاهرية، وكان بين هذا[1] السلطان خوجد اشية أكيده، وصحبة من الأيام الصالحية. ولهذا الأمير شمس الدين شهرة كبيرة، ومكانة خطيرة. وكان السلطان، بعد خلو وجهه لما تقدم من فتوحات، قد عزم على قصد سيس، وشاع ذلك وتهيأت أسبابه، فكتب صاحب (سيس) يستعفيه من ذلك/ ، ١١٧/أ ويسأل الصدقة عليه بولده، وبذل ما لا يسع التعبير عنه من الأموال والتحف والهدايا، فرد عليه السلطان سؤاله، وقال:

«إن أردت ولـدك فتـوصل إلى فكاك أسر سنقر الأشقر من التتار».

فاستمهـل وتـوجـه إلى أردو[2] التتـار، واستكشف أمره، فوجده في أسر سلطان جق، فبذل أموالا كثيرة، وأجيب إليه، وفك إساره،

---

(١) يبدو أنها «بين هذا والسلطان».

(٢) الاردو كما ذكره كاشغري في ديوان لغات الترك: قصبة الملك، ومنه سميت بلدة كاشغر اردوكند، أي بلدة الأمام، وقصبة الملك.

وحضر إلى سيس، وأخذ صاحب سيس يقترح زيادة على المفاداة بولده، فغضب السلطان لذلك، ولم يجبه، وقال:

«إذا سمحت أنت بولدك الذي هو ثمرة فؤادك، وقرة عينك، فأنا بأن أسمح بسنقر الاشقر أولى، وأين الخوجداش من الولد».

وترددت الرسل ووافق، وقال السلطان:

«أنا لا بد لي من زيادة».

فأجاب، واستقرت الهدنة على تسليم قلعة بهسني[1]/ وقلعة الدربساك، وقلعة مرزبان، ١١٧/ب وقلعة وعيال[2]، وقلعة الروب[3]، وسح[4] الحديد، وجميع ما كان قد أخذه من قلاع الاسلام، واتفق الحال، وسيرت الرهائن من صاحب سيس، وتوجه ولده بعد الإنعام التام

---

(١) قلعة حصينة بقرب مرعش وسميساط كانت في زمن ياقوت من أعمال حلب. ياقوت ٢/ ٣١٥.

(٢) «رعيان» في الروض ١٢٠ ب.

(٣) «الزرب» في الروض ١٢٠ ب.

(٤) «شيح» في الروض ١٢٠ ب.

عليه، وسير الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، وتلقاه السلطان خفية، ثم ظهر معه، فبهت له الناس، وأفاض عليه ما لا يعبر عنه من الإنعام، وأدام عليه المواصلة بالنعم، وأمّره، وأسكنه قلعة الجبل معه.

ذكر ما اتفق في أمر الجبلة

كان صافاج قد سأل الأمان على البلاد التي بيده، وهي صافيثا وغيرها، فامتنع السلطان إلا بتسليم جبله، وهي للاسبتار فتوجه المذكور إلى عكا، وسأل في ذلك/ الإسبتار فأجابوه، ١١٨/أ وتسلمها نواب السلطان. وكان جماعة من رعية السلطان قد أقاموا فتنة مع مجاوري جبلة، فهجموا على المسلمين، وقتلوا هؤلائك. وكان السلطان عندما فتح حصن خليفة أسر منها جماعة، وأودعهم سجن حمص، فلما اعتمد الفرنج ذلك كتب إلى نائب حمص باخراج

هؤلاء[1] الأسرى [و] ضرب رقابهم في قبالة ما اعتمدوه.

ذكر ما اتفق في أمر عكا
بعد المهادنة ومقدميها ونائبها

كانت هذه عكا حين المهادنة بلا ملك، فملكت لشخص من فرنج قبرص، فلما وليها هذا المذكور كتب إلى السلطان، مترامياً إليه، خاطباً مودته، / سائلاً استقرار الهدنة على ما ١١٨/ب هي عليه، وسير هدية نفيسة مثمنة، فما كره السلطان منه ذلك، وقبل تودده، وعوضه بهدية، فسأل الملك المذكور أن تكون المهادنة باسمه، ودخل في الطاعة والضراعة، فأجاب السلطان، فحلف له على المهادنة، وسير لتحليفه الصاحب محيي الدين، ومؤلفها، وكمال بن شيث.

وحكى لي محي الدين المشار إليه قال:

---

(١) في الاصل هذا.

«لما استحضرنا هذا الملك، وجدناه على سرير مرتفع، وأراد أن يكون فوق ونحن أسفل، فأبى لنا الإسلام ذلك، فرفعنا إليه، وأخذنا معه في الحديث، فأخذ يمغلط، ويدخل حديثا في حديث فأغلظت عليه، فنظر إليّ بعين المغضب/ ، فقال للترجمان: «قل له ١١٩/أ ينظر إلى من وراه». فنظرت، فإذا به قد صفف جنده، وجملهم، وقال له: «قل له أنظر إلى هذه الكثرة». فنظرت، وأطرقت، فقال للترجمان: «قل له: إيش تقول فيما رأيت». فقلت: «قل له ولي الأمان؟» فقال له: «نعم». قلت: «عرف الملك أن عندنا في خزانة البنود. وهو حبس بمملكة السلطان بمصر، أسارى من الفرنج أكثر من هؤلاء». فأغضب، وصلب على وجهه، وقال: «وحق ديني ما أسمع لهم رسالة في هذا اليوم». فانصرفنا، ثم استحضرنا فحلفناه، واستقرت الهدنة إلى الأيام السلطانية الملكية المنصورية القلاوونية.

وحضرت رسل عكا إليه[1]، وسألوا إجراهم على العادة الظاهرية، فأجيبوا بعد/ ١١٩/ب اللتيا والّتي، وكتبت الهدنة بخطي فاتفق في أثنائها أن كتب الجواسيس بها إلى السلطان الملك المنصور أن جماعة من الفرنج قتلوا جماعة من المسلمين، فكتب إليهم مستوضحا للصورة، فوروا عنها بأن قالوا إن جماعة من المسلمين شربوا مع جماعة من الفرنج الغُرب الواردين إلى الثغر، وأنهم أدبوا الغُرب، وشنقوا جماعة منهم، ولم يكن الأمر كذلك، بل ما حكاه لي إبن الريس موسى، فإنه إذ ذاك كان بعكا: إن الصورة إنما هي أن أحد المسلمين أفسد زوجة كبير من الفرنج له صورة، وشرب عليها ببستان بمرج عكا، فبلغ زوجها، فهجم عليه وعليها وقتلها وقتله، وقتل جماعة من المسلمين، وإنما أخفوها فرارا من العار، فجمعوا لعنهم الله من كفرهم/ بين ١٢٠/أ

---

(١) أي قلاوون .

العـار والنار. ومات السلطان الملك المنصور وولده الملك الأشرف مفتتحها. هذه الصورة على جريتها.

واقتضى ذلـك أن ضرب السلطان الملك المنصـور مشـورا في قصـدهـا، فتـوقفوا على مضمون الهدنة، فسئل صاحب ديوان الإنشاء فتح الدين مؤلفها، قريبي:

«هل في الهدنة فسحة»

فتلمحهـا فلم يجد فسحـة، فأحضرني، وأحضر مؤلفها والده، وحكى الصورة، وقرأ الهـدنـة علينـا، فقال والده: «لا فسحة فيها والحالة هذه» ولم أتكلم، والتفت إليّ فتح الدين وقال:

«ما تقول؟»

فقلت :

«نحن مع السلطان إن آثـر الفسـخ فهي مفسوخة وان آثر الاستمرار فهي مستمرة».

فقال لي ما هذه صيغته :

«أمـــا الأمـراء فقـد كبروا وكسلوا، وأمـا السلطان/ فهو يؤثر فسخها». ١٢٠/ب

فقلت له :

«نحن مع السلطان»

وأشرت إلى فصل من الهدنة وهو: «وعليّ أنـه متى وصـل غُرب قصدهم أذى المسلمين كان على المتقدمين والنائب دفع أذاهم بالطاقة والإمكـــان، وإن عجـزوا طالعـوا ليستـدرك فارطـهم». وقـــد اعــترفـــوا أن هذه المضرة للمسلمين قد حصلت من فرنج غُرب.

فابتهـــج بذلـــك، وعـرف بها السلطان، فتجهـــز للوقت، وأخـــرج دهليـزه، وجيش لقصدهم فأدركته الوفاة بمسجد التبن.

ومـن كتبت منيتـــه بـــأرض
فليـــس يمـوت في أرض ســــواها

ورثيته رحمه الله بأبيات، وهي :

هي المنيـــة لا بالحيـــل والحيـــل

تـــرد سطوتهـــا عن حـــائن الأجـــل

كم حال ما حـــال منها بين ذي أمل

وبين ما كان يرجـــوه من الامـــل

كم أثكلت أهل مفقود وكم تركت

معا مصونـــا بمنهلّ ومنهمـــل/ ١٢١/أ

لم يبق من أحد حتى تجرعـــه

كاســـاتها بـــين الهلـــك والنهـــل

يمشـــي المؤمـــل للدنيـــا وســـرعتهـــا

إلى التزود للاخـــرى عـــلى مهـــل

والمـــوت محتفـــل بالمـــرء يأخـــذه

وهـــو المغفـــل غـــر غـــير محتفـــل

لم يغـــض عن ملـــك يومـــا لعـــزتـــه

ولـــو فـــدى بعـــزيز الخيـــل والخـــول

ولا حمتـــه جنـــودٌ كـــم حمـــت ملكـــا

مـــن غـــيره بحســـام ســـابق العـــذل

يبيـــت من عزمـــه تخشـــى غوائلـــه

ويبقـــى حـــذرا منـــه على وجـــل

لا فرق في أخذه الأرواح بين فتى
عـالي المكانـة محمي ومستقـل
أين الأولى شيّدوا الأملاك وافتتحوا
مغالـق المدن من سـهل ومن جبـل
أين الذين بنوا الأهـرام واحتفلوا
بصونها من دواهي الزيـغ والـزلل
أين الذين رأينـا في الوجـود لهـم
عجائبـا من ذوي الأديـان والملـل
أين المليك الذي بالامس مصرعـه
حدث بما شئت عن أوصافه وقـل
قلاون سيف دين الله من شهـدت
له المواقف في الأبكار والأصـل
كم شاهد الناس منه في مواكبـه
ملء المسامع والأفواه والمقـل/ ١٢١/ب
معظم الملك عاليـه ولا عجـب
أعلى الممالك ما يبنى على الأسـل
كان العليم بأدواء الزمـان لـه
فضيلة العلـم والأفضال بالعمـل

يمشي إلى الحرب في الهيجاء منحملا

من لذة النصر مشي الشارب الثمل

تكفيه وقعة حمص والثبات بها

وقد تزعزعت الدنيا من الفشل

يكفيه فتح قلاع كم مضى ملك

لفتحها يد للعجز لم تطل

سقيا لدولته ما كان أحسنها

كأنها غرة في جبهة الدول

كانت ولا مثل والأقدار تخدمها

حتى غدا ذكرها في الناس كالمثل

أعزز علي بأن أحيا إلى زمن

أراه فيه عن الدنيا بمنتقل

أبكي وأنكي لمن كانت مقالته

ونحن أغلظ أكبادا من الأبل

لهفي عليه لقد غمت مصيبته

وعمت الناس من حاف ومنتعل

وصيرت كل قلب بعد فرغته

من الشواغل بالأحزان في شغل

وأضرمت في الحشـا ناراً توقـد مع
فيض المدامع مثل العارض الهطـل
إن زال عن ملكه بالموت إن له
عند الألـه لملكا عنه لم يزل/ ١٢٢/أ
في جنة الخلد في أعلى القصـور على
أعلى الأسـرة يجنى أشرف الحـلل
فهـو السـعيد إذاً دنيا وآخـرة
عن عهده السعد في الدارين لم يحل
مضى وخلف فينـا من لسنتـه
أحيـا ويسـر ما للخـير من سـبل
وسـد من بعـده إذ حـل سـدتـه
بأهبـة الملك ما للدهـر من خـلل
الأشـرف الملك المغنـى بصـولتـه
عن القواضـب والعسـالة الذيل
نص الشهيد عليه نص مختـبر
من حـاله الحال بالتفصيل والجمـل
فالله يبقى عليه ملكـه أبـدا
لا يبتغي عنه طول الدهر من حـول

ونعـود إلى ما كنـا عليه من اختصار سيرة الملك الظاهر.

ثم استهلت سنة سبع وستين وستمئة، وقد استقر بقلعة الجبل.

ذكـر حضـور السـلطـان إلى مصـر
مختفيـا علـى البـريـد مـن دمشـق

كان هذا السلطان خفيف الركاب، قادرا على سرعـة/ المجيء والـذهاب، راغبا في أن ١٢٢/ب يدهم النـاس من أحواله بالعجب العجاب، وأن يورى رعيتـه [و][1] أمـراء دولته أنه متى دُعي بلسان ضرورة أجاب.

وكـان في هذه السنـة بدمشق بالقرب من العدو، والنظر في حال فتوحاته، فلما عزم على الحضور إلى مصر أمر الأمراء والعساكر بالتقدم إلى مصر، ونزل هو بخربة اللصوص، وادعى المرض، واستخفى في دهليزه عمن بقي معه إلا

(١) يعتقد أن الواو ساقطة.

الأتـابك وحسام الدين الدوادار، وخرج، في غضون ذلك مستخفيا، وعلى كتفه بساطا[1]، إلى من واعده، وهم: الأمير بدر الدين بيليك الأيـدمـري، وسيف الدين جبرك الناصري، وأقسنقـر السـاقي، ولم يكن أفهمهم عنـد المـواعـدة المقصـد إلى أين، وأخذ في السوق لقصـد ديار مصر، وأمامه علم الدين شقير، مقـدم البريدية، فلم يزل إلى أن وصل/ إلى قلعة الجبل ليلا في صورة بريدية، وافتح لهم باب الاسطبل على العادة فيهم، وجلسوا على مسطبة أمير آخور، وهو لا يعرفهم، ثم عرّفه السلطان بنفسـه، فقبّل الأرض، ثم قام إلى باب السر، وكان قد قرر مع زمام الدور المبيت خلفـه عنـد سفره، وقرر معه أماير، وضرب الباب، فكلمه الزمام، وأعطاه الأماير، فدخل هو ومن معه إلى القاعة المجاورة لباب السر، وأقـام بها من ليلة الثـلاثاء إلى يوم الخميس،

١٢٣/أ

(١) كذا في الاصل بدلا من «بساط».

فخـرج فصـادف ولده الملك السعيد لركوب الموكب، فأخّره ريثما ركب هو، فبهت الأمراء له، فلما عرفوه قبلوا الأرض، وأخذ في التسيير إلى ميـدان العيـد، وهرعت الأمة لمشاهدته، وعـاد إلى القلعة/ ، فجلس بالايوان الكبير، ١٢٣/ب لفصـل القضـايـا، واستراح إلى يوم السبت، فركب ولعب الكرة، ثم عاد كما بدأ على خيل الـبريـد متنكـرا إلى دهليـزه، وتحيـل على الـدخـول، فدخـل مستخفيـا، والنـاس لا يشعـرون إلا أنـه محجـوب لمرض، ثم ركب مظهرا أنه عن نصول[1]، فقبلت الأرض بين يديـه تهنئـة بالعـافية، ثم فشى الأمر، وأخذ العجب مصرا وشاما ـ رحمه الله ـ.

ذكـر ما اتفـق عنـد عـودة السـلطان إلـى دمشـق المحـروسـة

صادف وصـول رسـل أبغـا بن هولاكو، ورسل الأشكري، رسل منكوتمر بن بركة، فلما

(١) كذا في الاصل، وفي الروض «فأظهر أنه كان متغلث المزاج» ١٣٠ أ .

استقر بقلعة دمشق جلس بايوانها الكبير، فأحضر الرسل، وسمع مشافهاتهم، وقرأ كتاب أبغا، وفهم منه تنفسا ومعيرة بقتل/ ١٢٤/أ الملك المظفر قطز، واعتذارا عما كان طلبه الملك الظاهر منه من القفجاق وغيرهم، فأعاد الجواب بأشد من الابتداء، وقال:

«إنما قتلت قطز للملكي. فإن الملك لي بالإجماع، وأما ما لوح به من قصد الإغارات والمصافقة، ونحن ننتظر ذلك ساعة بساعة، لارتجاع مغتصب البلاد، وأخذ الثأر، وما لنا عاقه، جهز جيوشك، ثم وجههم إلينا».

وجهز رسله ورسل التكفور ورسل منكوتمر، القائم بعد بركه، بالتكريم والتعزيز.

وفي هذه السنة فوض لولده الملك السعيد محمد بركة قان السلطنة حسبما له من تفويضها، وحلف له الأمراء والعساكر على ذلك، وركب بشعار السلطنة، واستقرت

سلطنته/ ، وكتب له تقليد قرىء على رؤوس ١٢٤/ب الأشهاد من إنشاء الصدر فخر الدين بن لقمان .

وفيها أمر بالإدمان في رمي النشاب، واللعب بالرمح ، سائر الجيش، الأمير والمأمور، وأمر ببناء مصطبة بميدان العيد، خارج باب النصر، وحصل الإحتفال بذلك إلى الغاية .

وفيها أعاد التكفور السؤال في صلح أبغا ، وتوجه إلى أبغا في ذلك ، وسير أبغا رسوله فيه ، ولم يتفق .

وفيها هرب أربع[1] مماليك إلى عكا ، واشتد الطلب من السلطان لهم ، وترددت الرسل في معنى المدافعة عن تسييرهم ، وادعوا تنصرهم عندما رأوا عينها .

وفيها تسلمت بلا طنس .

---

(١) كذا في الاصل بدلا من «أربعة» .

كان مظفر الدين عثمان بن منكورس قد استولى على هذه القلعة، من أيام استيلاء التتار على البلاد، ولما أفضت نوبة الملك إلى الملك الظاهر طالبهُ بتسليمها، فدافع وماطل، ودام التردد إليه في طلبها، وهو لا يجيب، وطالت المدة، فاقتضى أن كتب السلطان إلى التركمان بالإغارة عليها، فغاروا، وأمعنوا، وأشرفوا، فحين رأى عينها سير ولده وقاضيه، وسأل أن ينعم عليه بقرية على سبيل الصدقة، يعيش فيها هو وأولاده، فعينت له[1] الحما من شيزر، وكتب له بها، وحلف السلطان عليها، فعند ذلك سلمها، ونزح عنها.

وفيها سامح السلطان بالمطلوب من بواقي دمشق، وهي جملة كبيرة من عين وغلال، وفيها وردت الأخبار/ بحصول زلزلة عظيمة ١٢٥/ب بسيس، تساقطت لها الحصون.

(١) في الروض ١٣٠ أ «قرية الجلمه».

وفيها تُوفِّي عزالدين أيدمر الحلي الصالحي بدمشق المحروسة [و][1] احتفل السلطان بمرض المذكور ووفاته، وشهدها بنفسه. وهذا المذكور من خوجداشية السلطان، وهو أكبر أعوانه على السلطنة، بعد قتل قطز بقصير الصالحية، وهو الذي ركب ليلا عند سلطنته إلى عند قلعة الجبل، وتسلمها له، وكان يستنيبه في أسفاره بالديار المصرية إلا هذه السفره التي كانت تربته بدمشق فيها.

ولما تُوفِّي المشار إليه أمّر ولده ناصر الدين بطبلخاناه، واحتفظ على موجوده بمصر والشام، وانتدب الأمراء الكبار كبدر الدين بيسري وغيره بالحوطة على أمواله، ولم يُمكّن أحداً من التعرض إليها من حاكم مع صغر ولده، وجعلت ببرج قلعة الجبل/ وختم عليها ولده، وجعلت مفاتيح حاصلها عند قاضي القضاة سديد الدين التزمنتي، وكان من العلماء

١٢٦/أ

---

(١) أضيفت «الواو» ليستقيم المعنى .

الأعلام ـ رحمه الله ـ وهي جملة كبيرة كثيرة وافية وافرة، من عين ودراهم وأثاث فاخر وجواهر، قيل إن الذهب المضروب كان عشرة قناطير، والدراهم ثلاثمئة قنطار.

ومن النسبة أقول: إن الاحتراز كان من تخريجات الصاحب بهاء الدين، وزيره، لأنها كانت تستوعب أمثال أمثالها، إلا أن الصاحب استولى عليها بما لا بد منه شرعا، وهو أخذ الزكاة فأخذ منها جملة السنة بعد السنة إلى أن نفد أكثرها.

وفيها أغار جماعة من فرسان البيرة، ورجالة البلاد، على كركر وشميصات، وتلك النواحي الشرقية، وحصلوا على الجملة الكبيرة من الأغنام وغيرها، ورحلت طائفة كبيرة بالأمان من تلك/ النواحي، وأمر بإنزالهم بنواحي ١٢٦/ب حمص وشيزر.



ذكر حجه في هذه السنة
وهي سنة سبع وستين وستمئة

جرى على عادته، أخفى مقاصده، والتمويه بغيرها، ولم يعلم أحد إلى أين، وقصد الكرك، وقد جهزت بها مواد الحج، ولم يبق ما يحتاج إليه، فعزم فوصل إلى المدينة النبوية -صلوات الله وسلامه على ساكنها- فحج واعتمر، وأعطى وأنعم، وتواضع لله تعالى سرا وجهرا. وكان قد توجه من بغداد رَكْب من المغل والتتار وغيرهم بمقاصد فاسدة، فلما بلغهم حضور السلطان إلى مكة عادوا هاربين. وعاد السلطان بعد حجة الاسلام، واستناب بمكة بسؤال أميريها أبي نمي وقتاده.

ولمؤلفها أبيات في معنى حجه: / ١٢٧/أ

ما كان في خلد الأئمة يهجس
أن الأعنة عن مداها تحبس
كلا ولا أرض الحجاز يزورها
غيث إذا ضن الحيا يتبجس

حتى انتحاها ظـاهـر، ملـك إذا

شـاء اختفـى فأمـوره[1] تتلبـس

متأنـس بالله ليـس بغيـره

في طـرقـه وطـروقـه يتأنـس

بينـا تـراه بالحجـاز إذا بـه

في الشام للحج الشريف يقدس[2]

وتراه في حلب يدبّـر أمرهـا

وتراه في مصـر يـذب ويحـرس

أعطى وأنعـم في الحجـاز فما به

من يوم حجته الشـريفة مفلـس

كم ألهـب النيران حـول خيامه

ذهبـا بأبي قبيـس يقبـس

ويلوح في حج عليـه عبـاءة

ويلـوح في غـزوٍ عليـه أطلـس

غير السـروج فما له من مجلـس

ولكم لـه في دار عـدل مجلـس

---

(١) الروض ١٣٦ ب ، في الاصل «ماموره يتلبس» .

(٢) الروض ١٣٦ ب ، في الاصل «يتقدس» .

ومن العجائب كم لـه من ليلـة
فيها الصباح من الظبا يتنفس
جنت به بيع الفرنـج فكلهـا
أجراسـها من خوفه تتوسـوس
وبه بساط الأرض أقسـم أنـه
بسعوده عنـه الكنائس تكنس/ ١٢٧/ب
فلملحـد كم راح وهو مصبـح
ولمسـجد كـم جـاء وهـو مغلـس
متعـود سفـك الدمـاء فكم لـه
بالحق في أرض دم يتبجـس
في الشرق إن لم يقتنص كفرا يرى
في الغرب يقتنص الوحوش ويفرس
لا زال للدنيـا يسوس أمـورهـا
ويشـيّد الأخـرى بهـا ويؤسـس

وفيهـا أفرج عن الشريف شمس الدين، قاضي المدينة النبوية ـ صلوات الله وسلامه على ساكنهـا ـ وهو خطيبها، ووزير أميرها، وكان قد أحضر في رسالة من صاحبه، فعوق، ثم

أفرج عنه، وكان قد أحضرت جمال كان أحمد ابن حجي قد استعدى عليها لأقوام، فسلمها السلطان لهذا القاضي، وأمره أن يوصلها لمستحقيها، وكان العيد قد أقبل، فأمره السلطان أن يخطب بالناس وبه، تحت القلعة بالدهليز، مراعاة لشرفه، وقدم هجرته، وقدم هجرة سلفه في الخطبة من ثلاثمئة سنة في الخطابة على منبر رسول الله ـ ﷺ / ، وأنعم عليه، وسافر مع الحاج. ١٢٨/أ

وفيها حضر ابن صاحب صهيون، وقوبل بالاحسان.

وفيها هودنت صاحبة بيروت.

وفيها وصل صاحب بلا طنس، وأحسن إليه.

وفيها وصل رسول الكياعيكوس، خليفة الأرمن في طلب قلعة الروم، وكَتَبَ له بها تقليدا حسب سؤاله، وتراميه للطاعة.



ذكر جريه على عادته في إخفاء مقاصده ،
ومداهمة كل مملكة بحضوره
من غير إشعار

لما قضى حجته - رحمه الله - وعاد إلى الكرك، خرج متسللا من غير أن يشعر به إلى حلب، فأقام بها يومين، ولم يشعر به إلا وهو بالكرك، فأقام بها يوما، ثم قصد البيت المقدس/ ، فقدس حجته، ثم زار الخليل، ١٢٨/ب وانفصل عنها متسللا، وعسكره سائر متتابع، فلم يشعر به إلا وهو بالغرالى[1] -رحمه الله- ما كان أخف ركابه! وأكثر تحيله وأصح تخيله، وألم شخصه، لقد فات الطيف، وأتعب حتى رحلة الشتاء والصيف. وأقول: كان نوابه في حذر من مهاجمته، وخوف من درك مبادرته، هكذا هكذا وإلا فلا.

وكان الملك السعيد ولده قد خيم بالصالحية لتلقيه، فتلقاه أحسن ملتقى، ووفاه من عظم

(١) كذا في الاصل ولعلها «العوالى» . .

الهيئة، والتطليب، في أعلى مرتقى، ثم حضر إلى قلعة الجبل، فاستقرت به النوى.

ذكر توجهه للصيد ودخوله الاسكندرية / 129/أ

لما قضى نهمته من لحوم الصيد بسفك دمائها، واقتنص منها ما يعجز اللسان عن تعدد أسمائها، دخل ثغر الاسكندرية في صورة دهشت لها الأبصار، واستقر بها، ولعب الكرة ثاني يوم بظاهرها، وأحسن بها التأثير. وكان وزيره الصاحب بهاء الدين علي بن محمد قد سبقه إليها لتدبير الأحوال، وتحصيل الأموال، واتفقت قضيتان لم يذكرها[1] مؤلف السيرة في هذا الفصل:

أحدهما[2] أنه قصد زيارة الشيخ الصالح القباري ـ رحمه الله ـ فلم يأذن له، وامتنع عليه في تكرار السؤال، وهو ـ رحمه الله ـ متذلل لم

(1) هكذا في الاصل بدلا من «لم يذكرهما».
(2) هكذا في الاصل بدلا من «احداهما».

تأخذه عزة الملك، وآخر ما رضي به أن ينظر إليه من الأعلى، فنظر إليه، ودعا له، ووصاه بالمسلمين خيرا، وانصرف متواضعا لله، / ١٢٩/ب راضيا في الله متوكلا على الله، راغبا إلى الله -رحمه الله-.

وأما الثانية فإنه صلى الجمعة بجامع الثغر، وكان خطيبها عالم[1] زاهد[1] عابد[1] ناصح[1] في الله، فلما رأى السلطان تحت المنبر بمرأى ومسمع منه، أرعد وأبرق، وأورد من المحاذير والتهويل ما هو به أليق، وحذر من الظلم أيما تحذير، وأورد من الأحاديث فيما أعد للظالم من جهنم وبئس المصير، وقال، وقال، وما استقال.

ولما انقضت الجمعة أحضر الصاحبُ الخطيبَ المذكور، وأنكر عليه ما اعتمده من جسارة، وعجل له بالعزل ما ظُنّ أنه خسارة. وولّى قاضي الثغر الإمام العالم ناصر الدين بن

---

(١) هكذا في الاصل الرفع بدل النصب.

المنبر الخطابة. وحضر السلطان الجمعة، فأخذ ناصر الدين المذكور في الإطراء والمبالغة/ في مدح السلطان وفي ضمنه ما فيه من الإغراء، فلما انقضت الجمعة سأل السلطان عن الخطيب الأول، فقيل له: عزل ذلك الخطيب بهذا القاضي، واستبدل به ظنا أن السلطان لم يكن بذلك النصح راضي[٤]، فقال السلطان يعاد ذلك الخطيب، فانه صاحب حق، وناصح صدق، وهذا الخطيب مرائى، وليس الرياء من آرائي، فأعيد[١].

١٣٠/أ

وانقضت هذه السفرة على خير وعاد إلى قلعته.

وفيها قويت الأخبار من جهة القصاد والمكاتبين، ونواب البلاد بحركة التتار، وأنهم أغاروا على بعض الأطراف، فسار من قلعة الجبل جريدة في خواصه، واستدراك أمره، وأمر العساكر المصرية بالاستعداد، فلما أحس

(٤) هكذا.

(١) راجع ما سبق ورقة ٤١/أ.

التتار/ بمسارعته فرّوا وما قرّوا ولعزائمه ١٣٠/ب
أقرّوا، وقال للبريد: لو جئتني بثبوت التتار، لكانت لك البشرى وما يجب لها، وأقام بدمشق.

وفيها بلغه سوء طوية أهل عكا، وأنه وصل إليها نجدة كبيرة من الغرب، وأن الفرنج قويت نفوسهم، وزادت نحوسهم، وظنوا ربحا فعاد خسرانا، صاروا يغارون ويمدون رجلا ولا يؤخرون أخرى، وتحقق ذلك عند السلطان، فأخذ في التمويه بالصيد من جهة إلى جهة في جماعة يسيره، ثم تقدم وتابعته الجيوش، فأخذهم على غرة بإغارته، وأبادهم، وقتل كبارهم، ونهب أموالهم، وعاد منصورا.

وفي سنة ثمان وستين وستمئة خرج/ ١٣١/أ
السلطان من دمشق متوجهاً موهما أنه يعدى الفرات، فصادف ثلوجا وأمطارا ورعودا، فاقتضى أن أقام بحماه مدة أيام، وكان في قلبه

حسيفـة من أهل حصن الأكراد، وهي أنه لما قصد أنطاكية، واجتاز على حصن الأكراد نزل له منهـا فرنجيّ أعـور من عنـد الإخـوة بها، قائلا: «إن الأخوة يقتضي اشفاقهم أن يحذروك من أن تتـقــرب إلى الحـصـن، وأن تمر بهذا الطريق، فان ثم غُرب يخشون عليك منهم».

ضحك منه السلطان، وقال:

«من أين تريدون أن نمر؟».

فقـال:

«من الطريق التي جئتم منها».

وكـان السلطان في عظمـة جيشـه الشامي والمصري، فادخرها عنده إلى أن حل بحماه، فخرج منها متصيدا، ولاحف الثغر، فصادف فرسـانـا، وحمـل فيهم في أربعين فارسا، من غير/ سلاح من ملبـوس، فأخـذ رؤوسهم، ١٣١/ب واستبـاح نفـوسهم، وحـاز خيولهم، وتم إلى حصن الاكراد، فارتعبوا منه. فقال:

«أين الأعور وأين الغُرب؟».

وعاد مؤيدا منصورا.

وفيها صحت الأخبار، واستفاضت أن التتار قصدوا البيرة والرحبة، ولم يكن في ذلك شك ولا ريب، فخرج بالعساكر المنصورة في أقوى همة، وأمضى عزمة، وبينا هو يفكر أي الجهتين يقصد، أم[1] الرحبة أم البيرة، وتقسم فكره، فلم يشعر إلا وقد وصل إليه الخبر المحقق برحيل القوم عن الرحبة، فتوفر عزمه على البيرة، فوصلها والتتار قد أشرفوا عليها من ذلك البر، في جيش كبير، وأقاموا ستائر يرامون من ورائها، فقصدهم السلطان، ورمى بالخيل في الفرات، فسبحت إليهم/ ، ١٣٢/أ ودهمتهم، ففروا، فأتبعهم السلطان، وقد ولوا الأدبار، فقتل ونهب وأسر، واستولى أهل البيرة على ما تركوه من أزواد وآلات ومجانيق، وعاد السلطان بعد أن أنعم على أهل البيرة بالألوف

---

(١) كذا في الاصل، و «أم» هنا زائدة.

من الدنانير، والخلع النفيسة.

ولناصر الدين بن النقيب الكناني أبيات يهنيه بها، وهي:

نهضت لها ولم تبد[1] اعتذارا
ولا خفت الثلوج ولا القطارا
ولا ريحا يكون بأرض حمص
ولا بردا يكون بأرض قارا

ومن هذه النسبة وهي مطولة، ويأبى استيعابها الاختصار المشروط.

وفيها سلمت حصون الإسماعيلية، وهي الكهف والخوابي والمنيقة والقدموس من يدي شمس الدين بن الصاحب.

وفيها/ أسر بليوس[2]، أحد أمراء عرب ١٣٢/ب برقا، بعد اجتهاد وجهاد ومواقعة عدم فيها جمع كبير.

وفيها أمر بالاحتراز على الثغور الاسلامية

---

(١) في الاصل «تبدي». (٢) في الاصل «بلبوش». الروض ١٦٦ أ.

كالاسكندرية وغيرها من غوائر الفرنج، لما بلغه ورود كتاب من والي الاسكندرية[1] أنه نصب عليها مئة منجنيق.

وفيها ورد كتاب والي قوص بأنه اقتحم بلاد النوبة، ونهب، وأخذ، لما اعتمده داود، متملكها، من العدوان والطغيان.

وفيها نجزت عمارة قبة الصخرة المقدسة على ما رتبه.

وفيها خيم في الاهرام للصيد.

قال مؤلفها:

«شاهدت السلطان، بنهر القناطر، وهو يسبح، وعليه زردية، وفي رأسه حبل صفره، مملوة بسطا/ ، وعليها أميران راكبان، وقطع بها ١٣٣/أ من البر إلى البر».

---

(١) في الاصل «السكندرية».

واستهلت سنة
اثنتين وسبعين وستمئة

في هذه السنة جهز السلطان إلى كينوك، وهي الحدث الحمراء، التي ذكرها المتنبي في أبياته، جماعة من عساكر[1] الحلبية، لما زاد عتوه[2] وعتو الأرمن، وتزييهم بتزي التتار، ونهبهم للتجار، فغزوها، وقاتلوا من بها، وأسروا، وتوغلوا في بلاد الأرمن بالفتك والنهب.

ذكر الشخص النحاس الموجود على
باب البحر، وهو أحد أبواب القصر

وصورته أنه وجد بصندوق، كان جالسا على كرسي من نحاس ويدي الشخص مشتالتان، وعليها صحيفة كبيرة/ من نحاس، ١٣٣/ب في الصحيفة صور وأسطر مكتوبة بالقبطي وغيره، وبها مكتوب بيبرس ملك الزمان،

---

(١) بدلا من «العساكر الحبية»، كما في الأصل.

(٢) يبدو أن المقصود عتو صاحب سيس.

وعربت الأسطر فإذا هي عوذ ودعوات وحراسة لمصر والقاهرة من عدو يطرقهما، وجعلت في دخائر السلطان.

وفيها وصل شمس الدين بهادر، صاحب شميصات، هاربا من يد التتار، وقد أمسكوه لما بلغهم من أن المـذكور يكاتب السلطان في أخبـارهم، ووصـل، وأخـبر أن له أيـامـا لم يستطعم بزاد، وأنه وأبوه كان[1] من ميافارقين، فأكرمه السلطان وخوله، فزاد وأمّره، فتوطن البلاد. ١٣٤/أ

وفيها ظفر بملك الكرج، وقد حضر متنكرا لزيـارة القـدس، وحج قمامة من جهة عكا، وكان السلطان قد بلغه/ ذلك، فأرسل له من يعرفه بحليته، فأمسكه، وسير هو ومن معه من خواصه إلى دمشق، وأحضر بين يديه، وطيب قلوبهم، وأمر بالاحتفاظ عليه.

---

(١) هكذا بدلا من «كانا».

وفيها رسم بعمارة الجسرين بالرملة، فعمرا أحسن عماره.

وفي شوال منها احتفل بختان ولده الملك نجم الدين خضر غاية الاحتفال، فختن هو وجماعة من أولاد الأمراء أصحابين[1] الطبلخانات، بقبة الرحبة، بقلعة الجبل المحروسة، بعد لعب القبق أياما بسوق الخيل، ونقط الطست بجملة من الأموال، وفرقت على مباشرة الختان، وعمت الخلع وسائر الناس. وقال مؤلفها:

يا مالك الدنيا ومن
بعزمه الدين نُصر
يا آخذا اعداءه
أخذ عزيز مقتدر/ ١٣٤/ب
هنيت بالعيد وما
على الهنا اقتصر
بل إنها بشارة
لها الوجود مفتقر

(١) هكذا في الاصل بدلا من «أصحاب».

بفرحـــة قـــد جمعــت
ما بــين مــوســى والخضــر

أقول لقد أحسن ـ رحمه الله ـ مؤلفها في هذا البيت ما شاء.

وفيها أراد السلطان تدريب ولده السلطان الملك السعيد وتمرينه، فأمره بالتوجه إلى الشام بالعساكر المنصورة، فتوجه وعيد بدمشق، وخلع وأنعم وعـاد، فسر به والـده وابتهـج ـ رحمهما الله ـ.

وفيها حصل لأهل ناحية يافا وخم عظيم، بسبب شربهم من آبار لهم هنالك، لا ماء لهم غيرها، وأن نصرانيا أعلم واليها أنه حصل مثل ذلك قديما، وأنه أخذ، من آبار بقرية يقال لها/ ١٣٥/أ ماء عابـود بالجبل، ماء، وقلب في هذا الأبار فانصلح حالها، فاعتمد الوالي ذلك، وطاب ماؤهـا، وذلـك على ما قيـل إن الآبار الجبلية تكون ذكورا والساحلية تكون أناثى.



واستهلت سنة
ثلاث وسبعين وستمئة

فيها خرج السلطان الملك السعيد مع والده للصيد لرمي البندق، فصرع أوزة، وقطع سبقه الطواشي مختار البغدادي الخليفتي، وادعى لوالده، فقبله، وجاد له بما لا يسع التعبير عنه. وفي ثاني يوم رمى أيضاً أوزتين في وجه، ورمى سنجر دواداره وسنقر البدري الخزنداري كل منهما أوزه، وأدعى للملك السعيد.

وفيها هرب من كان أسر في الفرنج، وحبسوه بقلعة عكا، وهم ريّس الاسكندرية والمغربي، وهما[1] ستة نفر، وكان السلطان قد بذل جملة/ في فكاكهم[2]، فلم يسمح الفرنج ١٣٥/ب بهم، فأوسعوا الحيلة وهربوا، ووصلوا إلى

---

(١) كذا في الاصل ولعلها «ومعها» وجملة من ذكرهم ابن شداد أربعة ٢/ ٥٤.

(٢) في ابن شداد ٢/ ٥٤ ما يشير إلى عكس هذا تماما، حتى أنه كتب إلى هؤلاء الرؤساء المأمورين بأن لا يفدوا أنفسهم وأن من فعل ذلك منهم فإنه سوف يشنقه. ولعله كان يرتب لهربهم، ليكون ذلك صفعة قاسية على الأفرنج، أو لعله كان يخطط لخطف من يبادل بهم مع الأفرنج.

باب السلطان، وكان[1] المنة لله لا لهم.

وفيهـا ورد كتـاب صاحب اليمن الملك المظفر ابن رسول، وطيه كتاب ملك الحبشة، صاحب أمحرا، في طلب بترك، بكلام مجمجم، لم يعـرف الغرض منه، وأعيد عليه الجواب، لأنهم لم يفهموا المراد.

وفي جماد الأول[2] منهـا كانت وفـاة الأمير فارس الـدين أقـطاي المستعرب الصـالحي النجمي، الملقب بالأتـابـك، بقلعـة الجبل، وحضر السلطان إلى بابه، وجلس إلى أن جهز، ومشى أمـامـه، وأبعد، وصلى عليه، ووقف واستوقف. وبكى واستبكى، وندب الدار والجار.

أقـول لما قتـل الملك المـظفر قطز/ بقصير الصالحية، بأتمام سيف الملك الظاهر بعد بداة ضربـة سلاح داره قنص، حسبما تقرر معه، ١٣٦/أ

(١) بدلا من «وكانت».

(٢) كذا في الاصل بدلا من «جمادى الأولى».

ودفن مكان قتلته، وقد ساق للتصيد، وحضرت الامراء بالدهليز، وقد تهيأ به دست السلطنة، فدخلوه، وعزموا على إقامة الامير سيف الدين بلبان الرشيدي الصالحي، وكان أجلهم، وكان الاتابك هذا قد عوق عن الدخول معهم فهجم، وقد قرب جلوس الرشيدي، فالتفتوا إليه، وهو هاجم، فقال لهم:

«ما الذي عزمتم عليه؟»

قالوا:

«على أن نسلطن هذا» وأشاروا للرشيدي.

فقال لهم:

«كيف هي أسة الترك؟»

قالوا:

«أن يكون الملك لمن قتل»

قال:

«فمن قتل؟»

قـالـوا :

«هذا» يعنون الملك الظاهر، فأخذ بيده، وأجلسه ملكا، فقال الملك الظاهر:

«إنما/ أستقر باسم الله، أقعدوا احلفوا» ١٣٦/ب

قال له الأتابك من طريق الدهاء :

«لا، ما يحلفون لك، أنت الـذي تحلف لهم، بأنك لا تخونهم، ولا تتخصص عليهم، وتعظم من أقدارهم، وتزيد في إمرتهم، ونفاذ أمرهم، تكون واحدا منهم».

قال ذلـك تسكينـا لثـورة الامـراء، إذ قد خالـف ما عزمـوا عليـه، وحـجبـوه، عن حضوره، فانبسطت نفوسهم واعتقدوا أنه لهم لا عليهم وحلف وحلفوا. وساق الأمير عزالدين أيـدمـر الحـلي الصالحي بتسليم قلعة الجبل، وأركب الأتـابـك الملك الـظاهـر في الـوقت والسـاعـة، وقصـدوا القلعة، وكان قد لقب بالقاهر، فغير إلى الظاهر.

هذه صورة سلطنته[1]، ولم يذكرها مؤلف هذه السيرة خوفا ورهبا، كان الأولى أن تكون مذكورة في أول السيرة، وأن[2] هذا الأتابك، فإن هذا الملك الظاهر/ قاسمه الملك، فجعل ١٣٧/أ له سماطا رنك سماطه، وجعل له عدة مئتي فارس بالشام ومصر، وكانت الكتب تكتب بإشارته، والكتّاب على بابه، والوزير بين يديه، ولما تطاولت المدة تقاصر الحال، وأنزل عن رتبته الماضية في الحال إلا أنه مات على اِمرته. وكان حظنا منه وافر ـ رحمه الله ـ.

وفيها كثر فساد صاحب سيس، واستعانته بالتتار، وقطع الطرقات، وزاد إلى (أن) نقص، وامتد إلى أن رد على عاقبه[3] هاربا ونكص، فاعتد له السلطان، وخرج له في جيش لا يسعه مكان، في غاية التمكن والإمكان، فهجم وخرب، وأسر واسترق

(١) راجع ما سبق الورقة ٨ ب وما بعدها.

(٢) هكذا في الاصل لعلها «وأما هذا الاتابك».

(٣) هكذا في الاصل والأصح «عقبه».

الأحرار، وخرب الديار، ووصلت جيوشه إلى سيس، فنقضوا حتى ماها من قوة تأسيس.

وفيها يقول مؤلفها من أبيات: / ١٣٧/ب

نحن قلبنا سيس من فوقها
والناس قالوا سيس لا تنقلب

وفيها افتتح قصير الأنطاكية، لسوء مجاورته، وكثرة تعدّيه، وخروجه عن لوازم المهادنة والموادعة، ونقض العهود، ومخالفة دعوى العبودية. وصورة افتتاحه على ما حكاه لي علم الدين شقير مقدم البريدية، قال:

«نزل السلطان قريبا منها، وسيّرني أنا والأمير سيف الدين بلبان الدوادار الرومي - رحمهما الله - في صورة مسلمين ومبشرين بقدوم السلطان، فسر وابتهج، وسير من الإقامات والهدايا جملا فجملا، وركب السلطان، وقرب إلى القصير، وأومى بالسلام على كليام[1]

(١) كليام تحريف للاسم «جيوم».

صاحبها، فخرج إلى باب القصير مقبلا للارض، فاختطفه الامير سيف الدين الدوادار ومماليكه وشقير البريدي، واركبوه على فرس سابق.

قال مؤلفها:

«وكنت/ بباب الدهليز بخيمة الكتابة، ١٣٨/أ فرمى كليام الراهب عندي، فقال: «يامسلم هلكت»، وكشف عن قليطته، وهي قدر البطيخة الهائلة، وقد انسلخت من السوق. فقلت له: «استتر ـ لعنك الله ـ».

وأمر فكتب بالأمان إلى من بها، فسلمت، ولكن بعد حصار شديد، وتضييق عظيم أكل من (بها) حتى الميته، ومات كليام وأبوه بدمشق ـ لعنه الله ـ.

وفيها هلك بيمند بن بيمند، الملقب بالإبرنس، أقام ولده بيمند مقامه، وحصل بينه وبين السلطان في أمر برج اللاذقية، فان السلطان أطّلع بعد مهادنة أبيه أنه كان من

حقـوق بلاد الاسـلام وانه كان بيد الإبرنس اغتصـابـا عنـد تخبيط البـلاد بالتتار في الأيام النـــاصريـــة، ولم يثبت فيـه مع ولـده أمـر، واستقرت الهدنة إلى أيام/ الملك المنصور سيف ١٣٨/ب الدين قلاوون، وافتتحها في سنة ثمان وثمانين على ما اقتضاه الرأي ثانيا، كما اقتضاه الرأي في مهادنتها أولا، من الملكين ـ رحمهما الله ـ.

وفيها نقلت ملكة بيروت منها، وخلت من ملك وملكه، إلى قبرص، وكان زوج المذكورة قد هلك، بعـد أن وصى السلطان عليهـا، فكتب إلى صاحب قبرص يسأل ما السبب في نقلهـا، فاعتذر بأنها كانت مطلوبة على ديون كثـيرة كانت على زوجها، وترددت الكتب في هذا المعنى من الجهتين ابتداء وجوابا، ولم يتم أمر إلى أن فتحها الله هي وغيرها على يد الملك الأشرف خليل بن السلطان الملك المنصور قلاوون.

وفيها رسم السلطان بتجديد ما تداعى من

منارة[1] الاسكندرية فجدد إبقاء لمعجز بنائها.

أقول: / اتفقت زلزلة عظيمة في سنة اثنين[2] وسبعمئة في ذي الحجة، ارتجت الأرض حقيقة لها لا مجازا، وكاد وعد الساعة أن يكون انجازا، فلم يبقى[3] مشيد حتى وهى، ولا واه حتى آل إلى العدم وانتهى، وتداعت الأسوار، وتهتكت الأستار، واتبعت الراجفة منها الرادفة، والماضية منها الآنفة، والغادية منها الرائحة، والليلة من مقلقها البارحة، وتساقطت المنائر، ودارت على الدور منها الدوائر، وأوقعت بمنارة[4] الاسكندرية أشد وقع، وكادت أن تجعل عاليها سافلها بما لتأثيرها من صدع. ١٣٩/أ

واستهلت سنة أربع وسبعين وستمئة

فيها حاصر التتار المخذولون البيرة، ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقا وأدرك السلطان

---

(١) في الاصل «السكندرية».
(٢) كذا في الاصل من «اثنتين».
(٣) كذا في الاصل بدلا من «يبق».
(٤) في الاصل «الاسكندرية».

أمـرهـا/ في جيشه العرمرم، وأنفق الأموال، ١٣٩/ب
وأوغل في القتال، وأراهم ما هالهم، وقاضى
باياسهم منها بعض الظن كل الظن أنها لهم،
وطـال عليهم المـطال، وانقطعت عنهم المير،
فولوا الأدبار، ورجعوا خائبين بما رأوا مما ليس
لهم من جير[1] أسد غاب الاسلام من قرار .

وفيـها غزيت النـوبة لفساد داوود ملكها،
وعتوه وغارته على بلاد عدن، ووصول ضرره
إلى أســوان، فاقـتـضـى[2] أن جرد السلطان
الأمـيرين عزالـدين أيبـك الأفـرم الصالحي،
وشمس الدين أقسنقر الفارقاني، أستاد داره،
في جمع كثير من العساكر المنصورة، وقصدوا
النوبة من كل جهة، واقتحموا حتى الجنادل .

أقــول ولم تزل بيض الصفــائح في سود
صفحات وجوههم، حتى محت آية نهارها ليل
بهيم/ بهيميتهم المظلمة، ومحكم تحكمهم التي ١٤٠/أ

---

(١) كذا في الاصل ولعل هناك كلمة «الأمر» ساقطة .

(٢) لعلها «جيرة» أو «جئير» .

مازالت في أجل منهم حكمة محكمة .

ونعود. وكان نائب هذا داوود قد أسر ومعه جماعة، فوسطوا تحت القلعة، ودخل ملكهم في الذلة والمسكنة، وأطاع منهم من كان قد عصى، وارتدع العبيد لعصى الرماح، والعبد لا يردعه إلا العصا.

وفيها عقد للملك السعيد ولد السلطان على ابنه السلطان الملك المنصُور قلاوون ـ رحمهما الله ـ وقرأ مؤلفها هذا الكتاب بنفسه في حضرة السلطان والده بالايوان المجاور للساعات، وكان محفلا كبيرا، اجتمع فيه الأمراء والكبراء والعلماء والوزراء، وزين من الفضيات والأواني المذهبة، وغير ذلك بما لا يعبر عن قيمته. وكنت حضرت لاقرأه ظنا أن السلطان يخرج سحرا، لضعف عيني/ مؤلفه، فلما خرج ١٤٠/ب حتى أسفر النهار بمقتضى الطالع، فقرأه مؤلفه، ونسخته.

الحمد لله موفق الآمال لأسعد حركة،

ومصـدق الفـال لمن جعل عنده أعظم بركه، ومحقق الإقبـال لمن أصبـح نسيبـه سلطانـه، وصهـره ملكه، الذي جعل للأولياء من لدنه سلطانـا نصـيرا ومشـيرا، قد آثرهم باصطفاء تأهيله[1] حتى حازوا نعيما وملكا كبيرا، وأفرد فخاره بتقريبه حتى أفاد شمس آمالهم ضياء، وزاد قمـرهـا نورا، وشرف به وصلتهم حتى أصبح فضل الله عليهم بها عظيما، وافضاله[2] كبـيرا، مهيىء أسبـاب التـوفيق العـاجلة والآجلة، وجـاعـل[3] ربـوع كل أمـلاك من الأمـلاك للشموس[4] والبدور والأهلة آهلة، جامـع أطـرف الفخـار لذوي الايثـار، حتى حصلت لهم النعمة الشاملة، وحلت عندهم البركة الكاملة/ . ١٤١/أ

نحمده على أن أحسن عند الأولياء بالنعمة

---

(١) «وميز أقدارهم باصتفاء تأهله» صبح ١٤/ ٣٠٠ .

(٢) وأنعامه. صبح ١٤/ ٣٠٠ .

(٣) صبح، ١٤/ ٣٠٠ وفي الاصل وعاجل .

(٤) «بالشنموس» صبح ١٤/ ٣٠٠ .

الاستيــداع وأجمــل لتــأملهم[1] الاستــطلاع، وكمــــل لاختيـــارهم[2] الأجنـــاس من العــز والأنواع، التي[3] أمالهم بما لم يكن في حساب أحسـابهم من الابتـداء بالتخويل والابتداع. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له[4]، ونصـلي على سيـدنا محمد، الذي أعلى الله به الأقدار، وشرف به الموالي والأصهار، وجعل كرمــه دارا لهم في كل دار، وفخـره على من استـطلعـه من المهـاجرين والأنصار، مشرق الأنوار، صلى الله عليه وعليهـم، صلاة زاهية الأزهار، يانعة الثمار.

وبعــد:

فلو كان اتصال كل شيء بحسب المتصل به في تفصيله، لم[5] استصلح البــدر شيئـــا من

---

(١) «لتأميلهم»، صبح ١٤/ ٣٠١.

(٢) «لاخبارهم»، صبح ١٤/ ٣٠١.

(٣) «وأتى»، صبح ١٤/ ٣٠١.

(٤) زاد في صبح ١٤/ ٣٠١ «شهادة حسنة الاوضاع، ملية بتشريف الالسنة وتكريم الاسماع».

(٥) «لما» صبح ١٤/ ٣٠١.

المنازل لنزوله، ولا الغيث شيئا من الرياض لهطوله، ولا الذكر الحكيم لسانا من الألسنة لتنزيله[1]، ولا الجوهر الثمين شيئا من التيجان/ لحلوله، لكن يتشرف[2] بيت يحل به ١٤١/ب القمر، وبيت[3] يزوره المطر، ولسان يتعوذ بالآيات والسور، ونضار[4] يتجمل بالآلىء والدرر، ولذلك تجملت برسول الله ـ ﷺ ـ اصهاره من أصحابه، وتشرفت أنسابهم بأنسابه، وتزوج رسول الله ـ ﷺ ـ منهم، وتمت لهم مزية الفخار، حتى رضوا عن الله ورضي عنهم.

والمرتب على هذه القاعدة إفاضة[5] نور يستمده الوجود، وتقرير أمر يقارن سعد الأخبية منه سعد السعود، وإظهار خطبة تقول الثريا بالانتظام[6] عقودها كيف، وابراز وصلة بترصيع جوهرها متن السيف، الذي يغبطه

(١) «لترتيله» صبح ١٤/ ٣٠١ .
(٢) «ليتشرف» صبح ١٤/ ٣٠١ .
(٣) «وبنت» صبح ١٤/ ٣٠١ .
(٤) «ونثار» صبح ١٤/ ٣٠١ .
(٥) «الفاضلة» صبح ١٤/ ٣٠١.
(٦) «للثريا لانتظام» صبح ١٤/ ٣٠١ .

على إبداع هذه الجوهرية[1] كل سيف، وتنتج صهارتهم بها[2] - ان شاء الله - كل أمر سديد، ويتفق بها كل توفيق تخلق الأنام[3] وهو جديد، / ويختار لها أبرك طالع، وكيف لا تكون البركة في ذلك الطالع، وهو السعيد، وذلك بأن المراحم الشريفة السلطانية أرادت أن تخص[4] المجلس السامي الأمير فلانا بالاحسان المبتكر، وتفرده بالمواهب التي يرهف بها الحد المستضيء[5]، ويعظم الجد المنتظم[6]، وأن نرفع من قدره بالمصاهرة مثل ما رفعه[7] - ﷺ - من قدر صاحبيه أبي بكر وعمر، فخطب إليه أسعد البرية، وأمنع من تحميه السيوف المشرفيه، وأعز من يسبل لها سبول الصور[8] الخفية، وتضرب دونها خدود الخلال الرضية، وتتجمل بنعوتها العقود، وكيف لا! وهي الدرة الألفية، فقال والدها هكذا ترفع

١٤٢/أ

---

(١) «هذا الجوهر به» صبح ١٤/ ٣٠١ .
(٢) «ونسج صهارة يتم» صبح ١٤/ ٣٠١
(٣) «الايام» صبح ١٤/ ٣٠١ .
(٤) «تحصن» صبح ١٤/ ٣٠١ .
(٥) «المنتضى» صبح ١٤/ ٣٠٢ .
(٦) «المنتظر» صبح ١٤/ ٣٠٢ .
(٧) لعلها «رفع» .
(٨) «ستور الصون» صبح ١٤/ ٣٠٢ .

الأقـدار وتزان، وهكذا يكون قران السعد، وسعد القران.

ومـا أسعـد روضـا أصبحت هذه المراحم الشريفـة السلطانيـة له خميلة! وأشرف سيفـا ١٤٢/ب غدت منـطقـة الـبروج سماؤها له حميله، وما أعظمها معجزة أتت الأولياء من لدنها سلطانا، وزادتهم مع إيمانهم إيمانا! وما أفخرها صهارة، يقول التوفيق لابرامها ليت، وأشرفها عبودية كرمت سلمانها بأن جعلته من أهل البيت!

وإذ قد حصلت الاستخـارة في قدر رفـع الملوك، وخصصتـه بهذه المزية التي تقاصرت عنها آمال أكابر الملوك، فالأمر لمليك البسيطة في رفع درجات عبيده كيف يشاء، والتصدق بما يتفوه به هذا الإنشاء، وهو:



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب مبارك تحاسدت رماح الخط، وأقلام الخط، على تحريره، وتنافست مطالع النوار، ومشارق الأنوار، على نظم سطوره، فأضاء نوره[1]. ١٤٣/أ

واستهلت سنة خمس وسبعين وستمئة

فيها حضر بيجار[2]، وهو من أكبر أمراء الروم، وحريمه وأولاده، وصحبته اثنى[3] عشر أميرا إلى الأبواب العالية، ومستنجدا على التتار وعدوانهم، وأحسن السلطان إليه وإليهم بالأمرة والانعام، وقربهم ورتب لهم المرتبات.

(١) «بالجلالة وأشرق وهطل نوؤه بالاحسان فأغدق، وتناسبت فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل فقال الاعتراف: هذا ما تصدق، وقال العراف: هذا ما أصدق مولانا السلطان، أصدقها ما ملأ خزائن الاحساب فخارا، وشجرة الانساب ثمارا، ومشكاة الجلالة أنوارا، وأضاف إلى ذلك ما لولا أدب الشرع لكان أقاليم ومدائن وأمصارا، فبذل لها من العين المصري ما هو باسم والدها قد تشرف، وبنعوته قد تعرف، وبين يدي هباته وصدقاته قد تصرف». هذه التكملة من صبح الاعشى ١٤/ ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) في الاصل بدون نقط على الباء والياء والتصحيح من ابن شداد ٢/ ٩٧ وقد سماه حسام الدين بيجار.

(٣) كذا في الاصل.

وفيها كانت غزاة أبرستين[1] مع التتار، ونصر الله عليهم أتم نصره.

وفيها اهتم السلطان بدخول ولده الملك السعيد بزوجته، فتقدم إلى العساكر المنصورة بالعرض في أحسن زي من الجواشن والخود المذهبة، والقنطاريات المذهبة، والخيول الملبسة، والسيوف المحلاة، وكان العرض لعب في صورة جد، وأقاموا أياما في مطاردة ولعب قبق/ وكوزره، والرهجيات تخفق بأنواع مطرباتها، والأسمطه تمد بصنوانها وغير صنوانها، والقاعات بالقلعة معمورة بالسمار[1]، مشحونة بالملهيات التي تستفز العقول إلى[2] حلت سلمى بسليم.

١٤٣/ب

ذكر دخول السلطان إلى الروم

أقول وهي الغزوة التي لم يؤرخ مثلها فيما

---

(١) كذا في الاصل وهي في الروض (الايلستين).

(٢) لعلها (بالسمار).

(٣) كذا في الاصل ولعلها «إلى أن خلت».

أرخ المؤرخـون، وأثبتـه في صحف التفـاخر المثبتـون. كان معـين الدين البرواناه، المقدم ذكره، قد كاتب وندم وراسل، ثم علم أنه لا نجاة له من التتار، فحكم بما علم، وأخذ يأخذ ويعطي، ويسرع ويبطي، ويصيب ويخطي، ثم أن السلطان صمم (على)[1] جمع العساكر مصرا وشاما،/ وقصد قيسارية الروم، فقطع ١٤٤/أ دونها منازل مقفرة من الزاد، خالية من الناس، وبـلاد خراب يباب، فتجشم مشاقها إلى أن دخل إلى قيسارية، فوجدها عامرة آهلة، قائمة الاسواق على ساق، قد شحنت بأنواع المآكل، فابتهلت رعيتهـا بالـدعـاء له، وحـل دار سلاطينهـا آل سلجـوق، وجلس على كرسي مملكتهم، والتاج على رأسه، وقام ووقف على باب حريمهم، وسير إليهم السلام، وخاطبهم لما يجب من السلام والتخيم[2] جبرا منه، وصلّى الجمعة بجامعها، وخُطب باسمه على منبره،

---

(١) «على» ليست في الاصل . (٢) لعلها «والتحية» أو «التفخيم» .

هذا والتتار الحاكمون عليها لا يعلمون بشيء من ذلـك، وأما البرواناه فإنه هرب إلى التتار فقتلوه، ووجـد السلطان ولده فأسره، ونهب داره، وخرج منها موهما أنه قاصدا[1]/ غيرها ١٤٤/ب من الروم، ولم يزال إلى أن دخل دمشق المحروسة.

واستهلت سنة
ست وسبعين وستمئة

فيها دخل السلطان إلى دمشق عند تمام هذه الغـزوة، فلما استقـر به الحال بها حتى توعك مزاجــه، ومـرض مرضـة المـوت، وأن منـه الفـوت، وكتم أمره، ومرض أياما، قيل أنها كانت دوزنـطاريـة كبـديـة، قضيت بحينه، وأدنت بينــه، واتفقت وفـاتـه بقلعـة دمشق المحـروسة، يوم الخميس بعد الزوال، سابع وعشرين المحرم من السنة، واشتريت له دار العقيقى، وهيئت مدفنا ومدرسة، ونقل إليها

(١) بدلا من «قاصد».

في ليلة الرغائب من رجب.

وقال مؤلفها راثياً له:

ما مثل هذا الرزء قلب يحمل
كلا ولا صبر جميل يجمل/ ١٤٥/أ
كيف السبيل ولا سبيل لسلوة
في ذا المصاب ولا جفون (تقبل)[١]
الله أكبر إنها لمصيبة
منها الرواسي خيفة تتزلزل
عز العزاء فليس رزء مثل ذا
ما كان في ذهن أمرىء يتشكل
ما للجياد كئيبة محزونة
أفذا الأنين حنينها إذ تصهل
ماللسيوف قد انحنت[٢] أترى درت
أن المنون لحدها[٣] ستفلل
ما للرياح تخولتها رعدة
ألتركها[٤] أن ليس تعقل تعقل

---

(١) كذا في تاريخ الملك الظاهر لابن شداد ٢/ ١٧٣/ أ.

(٢) كذا في تاريخ الملك الظاهر لابن شداد ٢/ ١٧٣/ أ وفي الاصل «أنحت».

(٣) كذا في تاريخ الملك الظاهر لابن شداد ٢/ ١٧٣/ أ وفي الاصل «بحد».

(٤) كذا في الاصل وفي تاريخ الملك الظاهر لابن شداد ٢/ ١٧٣/ أ «أتركتها».

الخطب أعظم أن يقال فجيعة
إن الفجائع ربما تتسهل
هذا هو الرزء الذي فدحت به
الدنيا فأحشاء[1] الزمان تقلقل
هيهات يرجى للوجود إفاقة
من شرب كأس مهلها لا يمهل
لهفي على الملك الذي كانت به
الدنيا تطيب وكل قفر منزل
الظاهر السلطان من كانت (له)[2]
منن على كل الورى وتطوّل
بيبرس ركن الدين والسمح الذي
من جوده جرد السحائب تخجل
لهفي على آرائه تلك التي
مثل السهام إلى[3] المصالح ترسل/ ١٤٥/ب
لهفي على تلك الجيوش وكونها
من بعده قد أصبحت تتململ

---

(١) كذا في تاريخ الملك الظاهر لابن شداد ٢/ ١٧٣/ أ وفي الاصل «أحناء» .

(٢) ليست في الاصل .

(٣) تاريخ الملك الظاهر (٢/ ١٧٣/ أ) وفي الاصل «للمصالح .

أسـفي على تلك الجيـوش وقولهـا
أيـن الذي كنا به لا نخـذل
أسفي على السـير التي ألفتهـا
كيـف اغتـدت بـوفاتـه تتكمـل
أسفي على الـدرر التي نظمتهـا
كيـف انثنت برثاي فيه تفصـل
أسفي على الغرر التي بينتها[1]
لم لا بدت بحيـاته تتحجـل
أين الـذي[2] أسر الملوك فأصبحـوا
في أسـره من بعض ما يتخـول
أين الـذي هـزم الجيـوش ومـاله
إلا الملائـك نجـدة تتنزل
أين الـذي عمـر القـلاع فأصبحت
من دون رفعتها السـماك الأعـزل

وهي قصيدة مطولة، أقتضى الاختصار اختصارها[3].

---

(١) هذه الكلمة وردت بدون نقط.

(٢) في الاصـل «أين أسرى الملوك» والتصحيـح من تاريـخ الملك الـظاهـر (٢/١٤٥/أ).

(٣) القصيدة بكاملها (٧٧) بيتاً في ابن شداد ٢/١٧٣ ـ ١٧٥.

وله فيه ـ رحمه الله ـ غير هذه ما هو مثبت في سيرته، وبعذره، إذ كان ـ رحمه الله ـ شاملا له باحسانه، مبالغا في رفعة شأنه، رافعا من مكانه، مجزلا مراد إمكانه، اطلعه على سره، منوها بترادف الخلع/ والانعام من ذكره، مشيرا إليه بسنح من مهماته، معتمدا عليه في محوه واثباته، مجزيا له عن حسنه هذه السيرة بأمثالها، مصغيا ببشاشة إستحسانه إلى أقوالها، كان السلطان ـ رحمه الله ـ إذا كمّل الجزء منها، جلس وأجلسه لسماعه، وأحسن جزاه بالخلع النفيسة، وما يتبعه مكافأة لامتاعه وإبداعه، وبعذره لقد كان ـ رحمه الله ـ كاتبا مجيدا، وكافيا مبدا[1] ومعيدا، أن سطرت أنامله فالدر النفيس، وإن نشت عبارته فبدائع الجناس والتجنيس، وإن تطرت قريحته فحسان إبداعه وذو رِمّة اختراعه. كانت له ـ رحمه الله ـ خبرة لرتب المخاطبات، ودربة في اصطلاحات

١٤٦/أ

(١) لعلها «مبديا».

البداءات والإجابات ـ رحمه الله ـ ما أولاه بقول القائل : / ١٤٦/ب

إن هـز أقلامه يوما ليعملها
أنسـاك كل كميّ هـز عاملـه
وإِن أقـر على رِقٍّ أناملـه
أقـر بالرقّ كتاب الأنـام لـه

ونعـود فنقـول: ولـمـا فات في السلطان الفوت، وأصابته مصيبة سهام الموت، تُرك في قلعـة دمشق مصبرا، والاسلام بابتعاث آماله لحسن خلف ولـده السعيـد مصبرا، واجتمع رأي أمراء الحل والعقد على إخفاء وفاته، وأن يترك كل شيء من عزائه وندبه إلى أوقاته، وأن يظهـر أنـه مريض في محفة، وجمعت الخزائن والخيـول السلطانية، وأجمعوا على الخروج في هذه الصـورة، فخـرجـوا فيهـا، والأمير بدر الـدين الخـزنـدار، نائبه، يعاود المحفة ساعة بساعة، / إيهاما، ويوافيها، إلى أن حضروا إلى الديار المصرية. ١٤٧/أ

إستقر بقلعة جبلها جسما بلا روح، ومساءً بلا صبوح، وعين[1] بلا ناظر، وباطنا بلا ظاهر، ومقيم[2] ولكنه بغير قلعته المصرية قاطن، فلما عوهد ولده، وإن لم يزل معاهدا، وشوهد لمقر ملك والده مستقلا، ولم يزل مشاهدا، أقيم العزاء، وأهينت للطم الخدود الأعزاء، وأنبث في كل ناحية نائحة، ودام[3] أيام ندبه، وكل من لياليه مشبه البارحة.

حلف الأمراء والعساكر لولده بالاستقلال، وظهر أمر وفاته/ وأظهر الأحتفال، وعملت ١٤٧/ب الختوم بجوامع مصر والقاهرة ومدارسها، وعمر بالذكر معهد عامرها ودارسها، إلا أنه بوافر الصدقات، وتلاوة الآيات، وجزيل النفقات، بحضور أمراء الحل والعقد، والصدور الأعيان، والوزراء وذوي علو الشأن، والوعاظ متراسلة لسرد مناقبه على

---

(١) كذا في الاصل بدلا من «عينا».
(٢) كذا في الاصل بدلا من «مقيما».
(٣) كذا في الاصل بدلا من «دامت».

المنابر، والقراء مترنمة للتلاوة والدعاء في أول كل تلاوة وآخر، إلى أن تكملت أربعة عشر محفلا بالاطعمة والشموع والدعاء للذي بمواطن الاجابة مرفوع، وخلع على الوعاظ والقراء، واستقرت سلطنة ولده، وفلذة كبده، إلى أن قضى الله ما قضى.

ولما حصلت وفاة الشهيد كتب إلى ولده السلطان الملك السعيد كتابا[1] عن الامير بدر الدين بيليك الخزندار، نائبه[2]، وهو من انشاء هذا المختصر/ . ١٤٨/أ

. . . وحمل[3] عن قلبه، وهيهات أن يحمل ما ألم من مصاب، والهمه الصبر، وإنه فيما دعي لأمرّ من الصاب، وثبته عند صدمة ملمة لإثبات مع ما ألم بها[4] من آلام وأوصاب،

---

(١) كذا في الاصل.

(٢) كتبت الجملة الآتية في الهامش: «كتب بها لولده الملك السعيد محمد بن بركة قان إلى مصر».

(٣) يبدو أن هناك على الاقل صفحة ساقطة احتوت على بدء خطاب التبليغ بوفاة السلطان.

(٤) بياض في الاصل.

وسكن جاشه وهيهات وقد عدم جيش الاسلام من لم يزل بمناصبة أعدائه ذا انتصاب، هذه المطالعة، لا بل الصادعة، لا بل الرائعة، لا بل المنبئه عن واقعة، يالها من واقعة، وحسبها سواد وجه طرسها بنفسه، ولبسها الحداد، وقد سلب من لم يكن يخيل فقده في حرز الدين وحدسه، ولم تقف عند ذلك إلى أن شَقت الأقلام جيوبها، وتعثرت في أذيال مكتوبها، وكادت أن لا تجري بجريان/ ما جرى من هذه الداهية، وأن لا تمتد أعناقها بارعاد قوائمها الواهية، وهو وفاة مولانا السلطان، وما كان أولاها بالخرس عن أن تفوه بلفظة وفاته، وأن تدخر ليوم تسطير عزائه ومصيبة موافاته، ولقد كان ألا يمتد، وأن عنق براءة برايته ألا يمتد، ولقد عوتب من محالكه في الدواة، فقال: مكره أخوك لا بطل، وشتان بين تحليتي بالامس ببشرى سلامته وبين ما اتصفت به الآن من عطل.

١٤٨/ب

فيالها من مصيبة فتت في الأعضاد، وفجعت في عضدٍ كم أغنى في نصرة الاسلام من أعضاد، وناصرٍكم أرى في الكفر من خذلان، ١٤٩/أ
وعون كم أرى الموت لذوي الشقاق من الكفر عيان، وهدم من حصون، وبذل في نصرة دين الله كل مصون، وأوثق من إسار، وهتك من أستار، وأثخن من جراح، وراض بالالقاء على الارض كل ذي جماح، وساق كل ذي سلاطة بعظيم سلطانه إلى السياق، وطارد في ميدان التصافف، فسبقت جياده إلى اقتلاعهم، وما كل من سابق يدري السباق، طالما نفخت بوقاته في صور، فصعق من وراءه رعبا، وخاطبت خرصان أسنته فأفصحت لكنها كان خطابها خطبا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد دهى الاسلام في مؤيده، وساعد النصر في مهنده، وكرسي الملك في آيته/ ، وعامله في ١٤٩/ب
ترائي رايته، وقبة السلطنة في طائرها الميمون، والرعية في در دريه المكنون، كان، وليته لا كان، في ليلة أسفر صباحها عما سود وجه

أسفــاره، وتبـلج عن غربيـب غراب بين أسفاره، وهو اليوم الفلاني من الشهر الفلاني، بمرض زار إلماما فابقى آلاما، وعوض بجوهر نفســه النفيسة، ولـولا حسن خلف مولانـا لكـانت كل الملوك له عرض، فارتج لفجعته حتى السرير، وكاد القصر بمد مدد الدموع أن لا تكون له بلقة بذهاب مبيضه، وكم أذهب المبيض من بصر بصير.

وقـد اقتضى الحزم أن يكتم أمر وفاته عن المقيم والساير، وأن يخفى، وهيهات أن يخفى الظاهر/ ، أنا وقد ظهرت الكآبة على الوجود، ١٥٠/أ والــوحشـة على التهـايم والنجـود، وأعلنت الحمائم على الأغصان بالنواح، وظهرت الكآبة حتى على وجه الصباح، وخرست الألسنة من غير أعـلام، فلا تسمـع إلا همسا، وأظلمت الـدنيا في العيون حتى ظن أن الأفق قد عدم شمســا، ونحن واصلون ولكن جسم[1] بلا

(١) هكذا بالرفغ في الاصل .

روح، ومساء بلا صبوح، وعين[1] بلا انسان، وفم[1] بلا لسان، وعامل[1] بلا سنان، ونفاد[1] ولكن بلا سلطان بشعار السلطنة، وأنه في محفّته غير مشاهد، لكنه الشهيد، معللين الأنفس -إن شاء الله- بحسن الخلف عن الشهيد من مولانا بالسعيد[2].

فيحيط علم مولانا الشريف بهذه النائبة، ويتلمح/ اعطاف هذه التعزية، والتي هي ١٥٠/ب بالقاء دموع النفس في خدود الطرس عن مشاهدة ما نحن عليه نائبه، وما أرشد مولانا السلطان أن لا يعيد في ذلك ولا يبدي، وأن يكتم سر هذه الفجيعة إلى أن يتم ما اجتمع عليه الرأي مما -بمشيئة الله- يجدي، ويلتئم، بمشاهدة وجه مولانا السلطان ما بالقلوب من جراح، ويغتفر ما للدهر من جناح، وتجتمع كلمة السلطنة على وارثها، والمملكة على من يتدارك بحسن سلطنته ملم حادثها، وتصافحه

---

(٢) هكذا ولعلها «السعيد» بدون حرف الجر.

الأيمان بالايمان، ويناط بتصريف يمينه ما لاستقلال الملك من عنان، وتمسح باذيال حسن تعويضه ما ركد في الآماق من دموع، ويلتئم ما بالجوارح من صدوع، وتأنس منه المواكب/ الاسلامية بعد الوحشة، ويمتع سلطانه بسكونه وسكناه سريره وعرشه، ويأخذ في سنن مورثه بما للجهاد من فرض وسنن، ويحذو حذوه في مخاتلة أعداء الله بالسر والعلن، والاتيان على ما أبقاه لعزائمه من فتكات، واحياء مواته في قمع كل طاغية. ١٥١/أ

ومن خلف مثله - أعز الله سلطانه - ما مات، كيف وعمله - قدس الله روحه - المتصل بالثلاث، والدائم النصرة بها لهيبته من انبثاث، وما تم إلا أن يقتدى بآرائه وراياته، وأن يراجع من وصيته محكم آياته، وقد اتسق النظام، وتداول في قهر أعداء الله الاهتضام، وأمن الاسلام أن يضام، وتمثل - أعز الله أنصاره -/ بمفتخر نفس عصام سودت عصام[1]. وأُمتع ١٥١/ب

---

(١) كذا في الاصل بالرفع.

المسلمون بملكين راحل وثناؤه مقيم، ومقيم ثناؤه يرحل، وقد سلك سراط أبيه المستقيم.

سطرها المملوك والدموع تكاد أن تغسل سطورها، والبرد أن تشق صدورها، فتخفيها إشفاقا أن تبدي ورودها وصدورها، والله تعالى يمتع من مولانا السلطان بحسن الخلف بأنوار غرته البهية ما اعترى الخدود الملطومة من كلفة الكلف، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى.

وكتب إلى صاحب اليمن المظفر شمس الدين تعزية بوفاته:

«أعز الله نصرة المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المظفري الشمسي، ولا زال ثبت الجنان/ عند كل وارد مقلقة وواردة، ١٥٢/أ
حسن التعزي عند وافد كل مزعج ووافدة، مسلما لقضاء الله في نازل كل مؤلمة تغدو بها دمعة الحزن غير راقية، ونار الأسى غير خامدة، صابرا عند الصدمة الأولى من خبر أعزائه، وحق لها أن تكون واجدة، اذ لم تكن

لمثل فقيدها واجدة، مجرية دمع خلوص الإخاء حارة، وطالما كانت الدمعة الباردة.

المملوك يخدم خدمة لفح بعد بردها على الكبد هجيرها، ونفخ بعد ما نفخ من شذى المسرات كيرها، وصدر عن سدر القلوب خطابها، فلا غرو أن يتعثر باذيال الحزن مسيرها، ويصف من نوازل الدهر ما شق على القلوب حمله/ ، وشق الجلود قبل الاكباد نبله، ١٥٢/ب وأوهى قوى الاصطبار، وعز أن يفدى ولو بالأعمار، وسار نبؤه فعم وغم، وسرى حديثه فأثكل كل أمّ حيث أم، وأحزن حتى الأعداء، وإن كان خلاف المعتاد، وأبكاهم وإن طالما أنكاهم، أسفا على نفس الشجاعة التي شهدوا منها ما أعلن بالإعجاز على رؤوس الأشهاد، وأثر حتى في الجياد وصهيلها، والسيوف وصليلها، والأقلام وصريرها والسهام ومرورها، والرماح وهزها، والممالك وحرزها، فصهيل الجياد عويل، وصليل

السيوف غليل، وصرير الأقلام بكاء ونحيب، ومرور السهام خفوق ووجيب، واهتزاز الرماح تقصف/ لقاماتها وتكسر، وانحطاط العوالى اسنتها عن أن ترد لصدر أو عنه تصدر، وهي وفاة والدنا السعيد الشهيد، سقى الله عهده صوب الرحمة ـ وأحسن فيه عزاء هذه الأمة في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا بدمشق المحروسة، بقصرها الأبلق، الفرد الذي هو الأحق به، بقول من لغيره عنى، والأولى من دون المغاني، وقد فاضت به روحه الطاهرة بأن يغدو لقصور الجنان المنزهة عن الغنا، بمرضة مرض لها الغائب والشاهد، والطالع والمعاند، والواجد والفاقد، والولد ـ واسأل به خبيرا ـ والوالد، فإنها عاجلت وما عالجت، وألمت إلماما ولكنها آلمت، وزارت حماها/ غبا، إلا أنها ما ازدادت حبا، وأشهدت مصرعه على فراشه، وإن كان مما لا يؤثره، وغزته في عقر داره، إلا أنها ما أذلته بل أعزته، إذ لم تمتد إليه الأيدي المخاتله فما أنكته.

١٥٣/أ

١٥٣/ب

وكانت هذه النازلة عند عودهَ من غزوة أبلستين، التي أباد من بها من التتار والمغول، والطائفة الذين انتخبوا من جنسهم بما ظنوا أنه لا يهون بل يهول، ودخوله قيسارية الروم، وجلوسه على كرسي آل سلجوقها، والاعلان بكلمة سلطنته لدى طريقها وطروقها، وتصرفه في بلادها وعبادها، وتسنم ذروتها، وأن رغم أنف أهل عنادها.

وكانت غزوة مشقة، لتوعر المسالك/ بما ١٥٤/أ أخربه التتار، وعفوه من آثار، وأخلوه من رفق الدار والجار، وهي منازل لا تثبت بها القوات، لعدم الأقوات، ولا تستقر قوائم الخيول لمزالق تلك الهضبات، إلا أن الوالد ـ رحمه الله ـ سهل بعزائمه حزنها، وجاود بمكارمه مزنها، وأوجد بها ماأغنى خزائنه، وأقنى، ولم يزل حتى دخلها على حين غفلة من أهلها، وحلها فقام بفرض الغزوة ونفلها، هذا وأبغا ملك التتار، معتقد أن ملكه بغير الإذعان لا يزار، وملكه لا يؤخذ بيد الغصب، ولا يستقر له بدار.

ولما شفى الولد[1] ـ رحمه الله ـ من تعجيز هذا الملك نفسه عاد/ والعود أحمد، ورجع ولكن ١٥٤/ب بعد أن أسجل بقوة سلطانه، وأشهد، ولم يزل يسوقه حسن التدبير إلى أن قضى بالوطن من ملكه نحبه، ولقى بعد أجر ملاقاة قهر هذا العدو ربه، وكانت هذه الغزوة خاتمة فتوحه، ومكنى صريحه، وسلم جنوحه، وعنان جموحه، وأنيسه[2] ضريحه، ودرج إلى عش مرقده الخالي من الغش، بعد أن لم يدع وراءه مملكة حتى افتتحها، ولا طائفة من أعداء الاسلام حتى مساها بالويل وصبحها، ولا قلعة مارق حتى اقتلعها، ولا مغصوب مملكة من الممالك حتى استرجعها، ولا ضالة حتى أنشدها، ولا ضالة رأى حتى أرشدها، ولا أرض[3] حتى مهدها، / ولا معدومة خيانة حتى ١٥٥/أ أوجدها، ولا غزوة في التتار والفرنج والأرمن حتى عددها.

---

(١) كذا في الاصل ولعلها «الوالد».

(٢) كذا في الاصل ولعلها «في ضريحه» أو «أنيسة ضريحه».

(٣) كذا في الاصل بدلا من «أرضا».

وكم موقف شهده وما في الموت شك لواقف، وجيش قابله حتى قاتله بما يعجز عنه وصف الواصف، وأعمل العزائم برا وبحرا، وأشهد أعداء الله ما بين قتلى وأسرى، وأمن الحريم في الأوطان، وأراح السيوف في الأجفان، والعوالي وتوعل[1] ما لها سنان، والجياد بكف العنان، وأشهد ملوك الكفر من الفرنج والتتار، الغزوة فالغزوة، والنبوة فالنبوة، وعاجلت أنفتهم فأخذت من أنوفهم العزة فالعزة، وأكفهم فكفتها وكفتها بها لسيوفه من هزة، وما من غزوة إلا وعند المولى/ يكتب ١٥٥/ب تهانيها الخبر اليقين، ولا آية نصر إلا وقد خص منها بالفضل المبين، لصداقته التي قدم أخاؤها، وصح ولاؤها، وسارت أنباؤها.

وعلى أثر ذلك فإنا لا نخليه من بشرى رقينا لكرسي سلطان أبينا الشهيد، ووفائنا، والوفاء بعهده فينا، من قريب وبعيد، ومشافهتنا

---

(١) هكذا في الأصل.

والمشافهة لنا بالطاعة من كل من ألقى السمع وهو شهيد، وامتداد الأيمان لنا بالأيمان، وخضوع الرقاب لسلطاننا بنافذ وصيته الصادرة عن قول الله: ﴿فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾[1].

وكتابنا هذا وقد دانت لنا الرقاب وخضعت، وانتظمت الممالك في سلك ملكنا بعد أبينا ورجعت، وأعلن باسمنا على المنابر وإن كان/ لم تزل الألسنة به معلنة، وبذكره سقى الله عهده مقرونة، وبالرغم منا أن افردت بغوائل الدهر التي لم تزل موهنة، وقد استقبلنا ما استدبره بعد موته من معدلة، وجرينا على سننه صلة لعمله المعدلة، وكتبنا بذلك إلى البلاد غربها وشرقها، واستنطقنا به حتى صامت حمامها وورقها، وانتصبنا للغزو في كل مناصب، وأوعدنا للخارج عن خط الاستواء كل عذاب واصب، وأخذنا برأيه في التيقظ ١٥٦/أ

(١) يلاحظ أن الاستدلال بهذه الآية الكريمة جيء به في غير موضعه.

لكل مهمة، والإلمام بكل ملمة، وأحيينا سنته بمطالعة كتاب وصيته متمسكين منهما بالكتاب والسنـة، وجعلنا تقـوى الله بيننـا وبين النار أعـظم جنـة، تحجب النـار وتـأذن للجنـة، وعقدنا/ على العصمة النيات، ونوينا عند لقاء ١٥٦/ ب العدو النيات[1]، وإن أدى إلى المهات.

هذه صورة حالنـا الحـاليـة بعـد العطلة، وقضيـة أمـرنـا على التفصيـل والجملة، وإنما طارحنـاه بهذا الحـديث، خطبـة لا تبـاع وده القديم بالحديث، وما أولاه ـ أعز الله سلطانه ـ بأن يورث الولد من وُدّه ما هو في ذمته للوالد، وأن ينسج على ذلك النوال، لينسج له على مثله في الصادر والوارد، لازال حسن الاستصحاب بحال إخائه، صحيح الولاء لأوليائه، ومحلفي أوليائه، بمنّه وكرمه ـ إن شاء الله تعالى ـ حسبنا الله ونعم الوكيل.

نجزت المناقب السريّة، المنتزعة من السيرة

---

(١) لعلها «الثبات».

الظاهرية يوم الجمعة الثاني من جمادى الأولى[1] سنة ستة[2] عشر وسبعمئة وصلى الله على محمد وآله وسلم.



(١) هكذا في الاصل بدلا من «الاولى».
(٢) هكذا في الاصل.

فهـــارس الكتـــاب



موضوعات الكتاب (١)

الصفحة

ثبت الأعلام (٢)

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(هـ)



ثبت الأماكن (٢)

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ي)

توزيع مؤسسة الجريسي
الرياض ت ٤٠٢٢٥٦٤ جـدة ت ٦٨٢٦١٠٥
الدمام ت ٨٢٧١٨١١ القصيم ت ٣٦٤٤٣٦٦
أبهـا ت ٢٢٢٠٧٥٨ المدينة المنورة ٨٣٨٠٥٢٩



مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ • الرياض